▪ غزة الصابرة والسنن الإلهية ▪ السلفيون هم العقلانيون! ▪ استدلال الخطيب بالسنة

هدية مع العدد

البيان

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن المنتدى الإسلامي

AL BAYAN

السنة الثالثة والعشرون . العدد ٢٤٨ . ربيع الثاني ١٤٢٩ هـ . أبريل ٢٠٠٨ م

▪ «غزة جيت»

▪ انظروا عمن تأخذون دينكم!



الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي (الدورة الثامنة)

تعلن إدارة حفاظ الوحيين عن بدء التسجيل لـ

الدورات الصيفية

بالمسجد الحرام والمسجد النبوي

فروع الدورة :

١- حفظ (المتفق عليه) من كتاب الجمع بين الصحيحين

٢- حفظ (مفردات البخاري ومسلم) من كتاب الجمع بين الصحيحين

٣- حفظ (زوائد السنن على الصحيحين)

٤- حفظ (زوائد المسانيد على السنن والصحيحين)

للتسجيل:

عنوان الموقع http://www.alwahyain.net/site111/

جوال الدورة / ٠٥٥٩٥٠٥٦٧٠١

ملاحظة / آخر وقت للتسجيل ١/٥/١٤٢٩هـ



مجلة البيان

إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن المنتدى الإسلامي

المراسلات والإعلانات:

الدول العربية:

السعودية:

ص. ب ٢٦٩٧٠ الرياض: ١١٤٩٦،

هاتف الاشتراكات مباشر ٢٢٥١٩٦٧

هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ ـ فاكس: ٤٥٣٢١٢١

للمراسلات عبر البريد الإلكتروني:

التحرير:

editors@albayan.co.uk

الاشتراكات:

sub@albayan-magazine.com

التسويق:

sales@albayan-magazine.com

عنوان المجلة على الشبكة العالمية: www.albayan-magazine.com

الموزعون:

- الأردن: الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص. ب ٣٧٥ هاتف: ٥٣٥٨٨٥٥، فاكس: ٥٣٣٧٧٣٣.
- الإمارات العربية المتحدة: شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص. ب ٦٠٤٩٩ هاتف: ٢٩١٦٥٠١، فاكس ٢٦٦٦١٢٦.
- سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع، ص.ب ٤٧٣ ـ العذيبة ١٣٠ ـ هاتف: ٢٤٤٩١٣٩٩ ـ فاكس: ٢٤٤٩٣٢٠٠.
- البحرين: مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ـ المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ ـ ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.
- السعودية: الشركة الوطنية للتوزيع: هاتف: ٤٨٧١٤١٤ ـ فاكس: ٤٨٧١٤٦٠.
- السودان: الخرطوم: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع، هاتف ٧٩٣٢٨٣ ـ فاكس ٧٩٣٢٨٤ ـ ص.ب ١١١٦٦ الخرطوم.
- قطر: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٤٥٥٧٨١٠ ـ ٤٥٥٧٨١١ ـ ٤٥٥٧٨١٢ ـ فاكس: ٤٥٥٧٨١٩.
- الكويت: شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع: ص. ب: ٢٩١٢٦ ـ الكويت الرمز البريدي ١٣١٥٠ ـ هاتف: ٢٤٠٥٣٢١ ـ ٢٤١٧٨١٠ ـ فاكس: ٢٤٧٨٠٩.
- المغرب: سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش جمال بن أحمد ص. ب ١٣٦٨٣ ـ هاتف: ٤٠٠٢٢٣ ـ فاكس: ٢٤٦٢٤٩.
- اليمن: دار القدس للنشر والتوزيع، صنعاء: ص. ب ١١٧٧٦ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ ـ فاكس: ٤٠٥١٣٥.
- طبعت بمطابع الأهرام التجارية ـ ٦ أكتوبر

- **افتتاحية العدد**
  - انظروا عمن تأخذوا دينكم! — التحرير — ٤
- **دراسات في العقيدة والشريعة**
  - صيانة الإسلام للمرأة — محمد بن شاكر الشريف — ٦
- **قضايا دعوية**
  - اغتيال القادة — د. أنور قاسم الخضري — ١٤
- **دراسات تربوية**
  - مشاهدة الأطفال للمواد الإباحية: ظاهرة هامشية أم مشكلة مجتمع — د. أحمد خضر — ١٨
- **تأملات تربوية**
  - بين التطوع والفريضة — د. محمد بن عبد الله الدويش — ٢٢
- **الإسلام لعصرنا**
  - السلفيون هم العقلانيون! — أ. د. جعفر شيخ إدريس — ٢٤
- **نص شعري**
  - دُلّوني عَلَى قَبْرِهَا — خالد الخليوي — ٢٦
- **أفق أخضر**
  - رعاية التوازن (٢ - ٢) — د. عبد الكريم بكار — ٢٨
- **النجاح إدارة**
  - الخيّرون.. وفخ التطوير! — إبراهيم الحيدري — ٣٠
- **تحقيقات**
  - المرأة: ريادة دعوية — إعداد مجلة البيان — ٣٢
- **حوار**
  - فضيلة الشيخ د. علي السالوس — حاوره: عمرو توفيق — ٤٤

الحسابات:

- السعودية: شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع الربوة ـ شارع الأربعين ـ حساب مجلة البيان رقم ٧/٢١٠٠
- ـ مصرف فيصل الإسلامي ـ حساب رقم: ٠٠٢ ـ ٤٥١٤ ـ ٤٢ ـ ١٠٩
- ـ الشركة الإسلامية للاستثمار الخليجي ـ حساب رقم ٦٢٤٩٢٤
- الإمارات: بنك دبي الإسلامي ـ (فرع دبي) رقم الحساب ٥٥٤٦٥٢٤
- قطر: بنك قطر الدولي الإسلامي رقم: ١١١١٠٠٥٤٢٣٠٠١



وجهان لعملة واحدة

تطاول كثير من الكفار المارقين على مقام رسـول الله ﷺ الذي أرسـله ربه رحمة للعالمين، وزعموا أن ذلك من باب حرية الرأي وهم كاذبون، وقد تمادوا في غيِّهم حتى دخل في ذلك الإجرام المسؤولون والسياسيون والمفكرون والكتّاب، ووصل الأمر إلى كاهنهم الأكبر. ولما كان موقف المسلمين الرسمي والسياسي من هذا الحدث الجلل أدنى بكثير مما يجـب فعله؛ زاد تمادي عُبَّاد الأوثان؛ حتى إنهم يتواصون بذلـك ويحرض بعضهم بعضاً، وها هم يُخْرجون الآن فيلماً هولندياً للتهجـم على القرآن الكريم ينتهي بتمزيقه!. وما لم تكن هناك وقفة جـادة وتصرف حازم يردع هؤلاء عن غيِّهـم فإن العدوان على ديننا مرشَّح للتفاقم في مجالات كثيرة. والمسلم بلا شك يحزن لهذه الأمور؛ وحزنه وغيظه على المتطاولين دليل إيمانه. غير أننا نجد في الجانب الآخر إسـاءة تأتي من بعض بني جلدتنا ممن يقولون: لا إله إلا الله محمد رسـول الله وأن الإسلام هو الدين الحق الناسخ لما تَقَدَّمَهُ من الرسـالات التي حرَّفها أصحابها، حيث يسارعون في السماح ببناء الكنائس والمعابد التي يُسَـبُّ فيها الله - تعالى - في أرض المسلمين، وهل هناك من سبٍّ أعظم من أن يقال: إن لله - تعالى - ولداً أو إن له صاحبة؟! تعالى الله عمَّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

الإسـلام لا يُكْرِه أحـداً على الدخول فيه، هـذا حق، لكنه في المقابل لا يسـمح بالتطـاول على الدين والشـرع وأن يُرخِّص لعُبَّاد الأوثان ببناء المعابد الشـركية في بلاد المسلمين، وقد جاء في فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالسـعودية: «السماح والرضا بإنشاء المعابد الكفريـة مثل الكنائس أو تخصيص مكان لهـا في أي بلد من بلاد الإسـلام؛ من أعظم الإعانة على الكفر، وإظهار شعائره». وإذا كانت تلك الرسـوم الفاسدة قد عُدَّت من باب الإساءة فإن الترخيص ببناء الكنائس في بلاد المسلمين والإعانة على ذلك بالتبرع والهبات ونحو ذلك هو من أشد أنواع الإساءة، والفرق أن الأولى يقوم بها المشركون، والثانيـة يدعمها أناس من بني جلدتنا ويدينون بعقيدتنا. وكلام أهل العلم في من يتبرع للمعابد الشـركية معروف معلوم، ومن أجل هذا نقول: إن الرسوم الفاسدة في بلاد الغرب وإحداث الكنائس في أرض المسلمين وجهان لعملة واحدة.

■ المسلمون والعالم
- فتح ملف الخيانة «غزة جيت» — ممدوح إسماعيل — ٥٠
- اللوبي الصهيوني وصناعة الأجندة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط — محمد الشيخ بنان — ٥٦
- الجمهوري والديمقراطي في أمريكا... هل يستويان؟ — أحمد فهمي — ٦١
- «الصندوق الأسـود» للعلاقات الأمريكية الإيرانية — أسامة سليم — ٦٢
- حكومة المنطقة الخضراء ولعنة صدام — د. يوسف بن صالح الصغير — ٦٥

■ مرصد الأحداث — ٦٦

■ في دائرة الضوء
من إساءة كوبنهاجن إلى مأساة غزة.. — د. أحمد محمد الدغشي — ٧٢

■ قصة قصيرة
أشجان طفل — عبد الله علي السعد — ٧٦

■ ملتقى الخطباء
استدلال الخطيب بالسنة النبوية — إبراهيم بن محمد الحقيل — ٧٨

■ متابعات
غزة الصابرة والسنن الإلهية — عبد العزيز بن ناصر الجليِّل — ٨٦

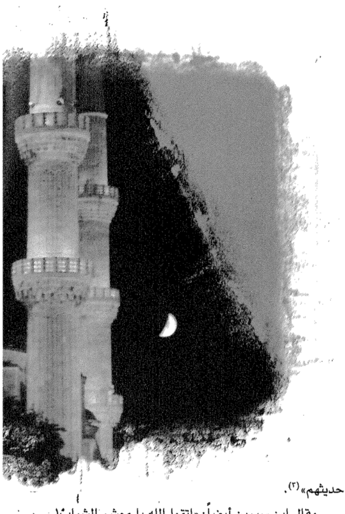
■ باقلامهن
رسالتي إلى ابنة الإسلام — لبنى شرف — ٩٢

■ الورقة الأخيرة
قُطَّاع الطريق — د. عبد العزيز آل عبد اللطيف — ٩٤

سعر العدد: السعودية ١٠ ريالات — قطر ١٠ ريالات — الأردن ٧٥ قرشاً — الكويت ٨٠٠ فلس — اليمن ١٠٠ ريالاً — الإمارات العربية ١٠ دراهم — مصر ٥ جنيهات — السودان ٢٠٠ دينار — البحرين دينار واحد — المغرب ١٢ درهماً — سلطنة عُمان ٨٠٠ بيزة — فلسطين نصف دولار أمريكي — أوروبا وأمريكا ٢,٧٥ يورو أو ما يعادلها

الاشتراكات: السعودية ودول الخليج ١٢٠ ريال سعودي — بريطانيا وإيرلندا ٤٧ يورو — أوروبا ٥٥ يورو — البلاد العربية وأفريقيا ٤٥ يورو — أمريكا وبقية دول العالم ٥٥ يورو — المؤسسات الرسمية ٦٠ يورو





انظروا عمن تأخذون دينكم!

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فقد روى مسلم في صحيحه: أنَّ بشير العدوي جاء إلى عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - فجعل يحدِّث ويقول: قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ... فجعل ابن عباس - رضي الله عنهما - لا يأذن[1] لحديثه، ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس! ما لي لا أراك تسمع لحديثي؟ أحدثك عن رسول الله ولا تسمع! فقال ابن عباس: «إنَّا كنا مرَّة إذا سمعنا رجلاً يقول: «قال رسول الله ﷺ...» ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا؛ فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف»[2].

وهذا النص يفيد أنَّ العلماء والأئمة كانوا يتثبَّتون أشدَّ التثبُّت في تلقِّي العلم، ويتحرَّوْن في نَقَلته ورواته، وبخاصة بعد أن ظهرت الفتن وكثُر الابتداع، ولهذا قال محمد بن سيرين: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد؛ فلما وقعت الفتنة قالوا: سمُّوا لنا رجالكم؛ فيُنظَر إلى أهل السنَّة فيؤخذ حديثهم، ويُنظَر إلى أهل البدع ولا يؤخذ حديثهم»[3].

وقال ابن سيرين أيضاً: «اتقوا الله يا معشر الشباب! وانظروا عمن تأخذون هذه الأحاديث؛ فإنها دينكم»[4].

فإذا كان ذلك الحرص في تلقِّي العلم في القرن الأول وأعلامُ السنة عزيزةٌ مرفوعةٌ؛ فكيف في هذا العصر الذي اندرست فيه معالم السنَّة، وكثُر فيه أهل الأهواء؟

إنَّ ثمة حقيقة لا شك فيها؛ وهي أن الساحة الإسلامية تشهد فوضى فقهية تَطاوَل فيها بعض أدعياء العلم وأنصاف المثقفين على الفتوى؛ فراحوا يخوضون فيها بدون ورع أو تثبُّت، بل تجرؤوا على المسائل الكبار التي لو عُرِضت على عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لجمع لها أهل بدر[5].

والعجيب أنَّ بعض الناس عندما تراجعه في بعض تلك الفتاوى والآراء، يبادرك بضرورة اتساع الصدر للرأي المخالف؛ لأنه ما زال العلماء يختلفون ولا يُنكِر بعضهم على بعض!

(١) أي: لا يصغي.
(٢) مقدمة الصحيح، باب: النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها، (١/١٢-١٣).
(٣) مقدمة صحيح مسلم (١١٥)، و(المجروحين) لابن حبان (١/٢٧).
(٤) الجرح والتعديل (٢/١٥)، والمحدث الفاصل (ص ٤١٥).
(٥) أدب المفتي والمستفتي (ص ٧٦).



بعض التجمعات الإسلامية مارست دور الإقصاء للقيادات الشرعية

ضعف المرجعية الشرعية في منطلقاتنا الدعوية مؤشر على انحراف منهجي

وهذا حق لا شك فيه لو أنَّه صادر عمن يحق له الفتوى والاجتهاد من أهل العلم الراسخين. أما وإنه صادر في أغلب الأحوال عن غير أهله؛ فكيف يراد منا أن نعذر فيه المخالف؟

ونحسب أن بعض المفتين في هذا الزمان أحق بالسجن من السُّرَّاق![1]

والأخطر من هذا: أن بعض محاضن الصحوة الإسلامية لم تسلم من هذه الفوضى الفقهية والمنهجية. وإذا كان المربون وروَّاد العمل الدعوي يتحدثون في وقت مضى عن الموازنة بين العزائم والرُّخَص؛ فإن بعض المعاصرين تجاوزوا الرُّخَص إلى الوقوع في بعض المنكرات الواضحات بحجة الواقعية، وتغيُّر الزمان، وعموم البلوى، وضرورة تقديم المصالح الدعوية، وإعادة قراءة مقاصد الشريعة، ونحوها من المعاذير الباردة التي أوجدت مناخاً دعوياً مهيّاً للتفلت من القيود الشرعية. ولا نبالغ إذا قلنا: إن بعض الدعاة أصبحوا لا يتورعون عن ممارسة بعض المناورات السياسية والحزبية، ويقع - أحياناً - فيما تقع فيه بعض التجمعات الحزبية العلمانية!

ولعل من بواعث هذا الضعف ثلاثة أسباب رئيسة:

الأول: ضعف المناهج التربوية في بعض التجمعات الإسلامية، وتقصيرها في التأكيد على تعظيم النص الشرعي والوقوف عند حدوده.

الثاني: التقصير في تربية الشباب على العبادة والخوف من الله - جل وعلا - وخشيته في السر والعلن؛ فالمتعبد الرباني من أكثر الناس حرصاً على طاعة الله - عز وجل - والتمسك بمرادات الشارع الحكيم.

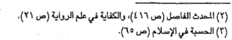
الثالث: بعض التجمعات الإسلامية مارست دور التهميش أو الإقصاء للقيادات العلمية المتخصصة في العلوم الشرعية؛ فمتطلبات المرحلة الحالية - عندهم - تقتضي ضرورة انطلاق القيادات السياسية بمعزل عن الشرعيين!

إن ضعف المرجعية الشرعية في منطلقاتنا الدعوية وبرامجنا التربوية، مؤشر خطير على انحراف منهجي أدى إلى تصدير غير الأكفاء. لذا؛ نرى أن من واجبات المرحلة: تربية الشباب على تعظيم النصوص الشرعية والوقوف عند حدودها، والاستسلام التام لدلائلها، ومن ذلك: أخذ الاجتهاد الفقهي والدعوي والسياسي ممن يوثق بعلمه وفهمه وفطنته وخبرته. وما أجمل قول الإمام مالك بن أنس: «إن هذا العلم هو لحمك ودمك، وعنه تُسأل يوم القيامة؛ فانظر عمن تأخذه»[2].

إن قوة البيان والتأثير في الجماهير لا تستمد جذورها من مجرد التقليد والانتماء الحزبي والرؤية العاطفية، وإنما ينبغي أن تعتمد على الخطاب العلمي الذي يُبنى على الدليل والبرهان الصحيح، تحقيقاً لقول الله - تعالى -: ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤]. وهذا يؤكد على التجمعات الإسلامية ضرورة إحياء ثقافة (الحجة والبرهان) عند الاستدلال والتلقي في شأنها كله. وما أجمل قول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكلٌ من دعا إلى شيء من الدين بلا أصل من كتاب الله وسُنَّة رسوله؛ فقد دعا إلى بدعة وضلالة. والإنسان في نظره مع نفسه ومناظرته لغيره؛ إذا اعتصم بالكتاب والسنة هداه الله إلى صراطه المستقيم؛ فإن الشريعة مثل سفينة نوح؛ مَنْ ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق»[3].

وفي الوقت نفسه ينبغي ألا يقتصر دور الشرعيين على النقد والتحفظ والانغلاق، وإنما ينبغي عليهم أن يرتقوا بخطابهم الإسلامي، ويقدِّموا بإيجابية مبادرات

(١) ينسب هذا القول لربيعة بن أبي عبد الرحمن. انظر: أدب المفتي والمستفتي (٨٥).



(٢) المحدث الفاصل (ص ٤١٦)، والكفاية في علم الرواية (ص ٢١).

(٣) الحسبة في الإسلام (ص ٦٥).



صيانة الإسلام للمــــرأة

محمد بن شاكر الشريف
alsharif@albayan.co.uk

الإسلام هو الدين الذي أنزله الله - تعالى - على رسله جميعـاً من لدن آدم - عليه السـلام - إلـى خاتم الأنبياء والمرسـلين محمد ﷺ، ورضيه للناس دينـاً ولم يرضَ ديناً سـواه، فليس هو مجموعة أفكار لبعض المفكرين، وليس هو اختيـار لبعض أقوال الفقهاء، لـذا كان الاعتراض على ما يقرره الدين هو اعتراض على رب العالمين.

وقد جاء الإسـلام فـي تشـريعـاته المتعلقـة بالمـرأة بما يصونهـا ويحفظ عليها كرامتها في كل شـأنها، وليس التحقير لهـا والحجر عليها تغليباً لجنس الرجل؛ كما يزعم ذلك من لا خلاق له من الناس، فما أمرُ الله للنسـاء بالقرار في البيوت ومنع اختلاطهن بالرجال ومنع الخلوة بهن؛ إلا من هذه الصيانة المتعلقة بالعلاقات الاجتماعية بين الجنسـين؛ فـإن الله - تعالى - خلق النسـاء على صفة وطبيعة معينة، وقد شرع الله لهن من الأحكام ما يناسب الخلقة التي خلقهن عليهـا. وفي ظل الحملة المسـعورة التي توظـف لها كبرى المؤسسـات العالمية كالأمم المتحدة لجعل الفسـاد والشذوذ والتفلـت من القيود الخلقية عن طريق المؤتمرات والقرارات والاتفاقيـات؛ نعالج تلك الصيانة فـي ثلاثة محاور؛ الأول: الأمـر بالقرار في البيت، والثانـي: منع الاختلاط بالرجال عند الخروج إذا احتجـن إليه، والثالث: منع الدخول عليهن والاختلاء بهن.

أولاً: أمر المرأة بالقرار في بيتها:

أمر الله - سـبحانه وتعالى - نساء النبي ﷺ - ونساءُ المسـلمين تبع لهن في ذلك - بالقرار فـي بيوتهن، فقـال - تعالـى -: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [الأحـزاب: ٣٣]، وقد قرئ قولـه - تعالى -: ﴿وَقَرْنَ﴾ بفتح القـاف؛ قرأ بذلك عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين، وهي بمعنى: اقررن، والقرار: الاستقرار والإقامة الدائمة من غير تحوُّل أو انتقال، كما قرأ عامة قراء الكوفة والبصرة بكسـر القـاف (وقِرن) وهي بمعنى: كنَّ أهل سـكينة ووقار. والآية الواحـدة إذا ورد فيها أكثر من قـراءة كانت كل قراءة فيها في إفادة المعاني والأحكام بمنزلة الآية المسـتقلة، قال شيخ الإسـلام ابن تيمية - رحمه اللـه تعالى -: (فهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلُّها حق، وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلهـا واتبـاع ما تتضمن مـن المعنى علماً وعمـلاً، لا يجوز ترك موجب

إحداهـا لأجل الأخرى)[1]. وعلى ذلك؛ فإن قوله - تعالى -: ﴿وَقَرْنَ﴾ يعبر عن الحالة أو الكيفية التي تكون عليها المرأة في البيت فهي في استقرار دائم وما يتبع ذلك الاستقرار من الطمأنينة وعدم الاضطـراب أو القلق، وقراءة (وقِرن) تدل على السكينة والوقار الذي يصاحب الاستقرار والإقامة، ولو جـاء التعبير بلفظ (الْزَمْنَ) أو (احتبسْـنَ) أو (ابقيْنَ) لأدَّت تلـك الألفاظ معنى البقاء في البيـت لكنها لن تؤدي معنى الراحة والسكينة والطمأنينة والوقار، وهكذا البيت بالنسبة للمرأة في ميزان الشرع. وقد رشح نظم الآية استقرار المرأة في البيـت وذلك بقوله - تعالى -: ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ ولم يقل في البيوت، فأضاف البيوت إلى النسـاء إضافة تمليك مع أن البيوت في غالب الأحوال ملك الرجل أو مسـتأجرة عن طريقـه - لأن سـكن الزوجة ونفقتها تلـزم الزوج - وهذه الإضافة تشـعر اختصاص المرأة بالقـرار في البيوت، فلما اختصت بذلك أنزلتها الآية منزلـة المالك للبيت، فإضافته إليها للدلالـة على الترابط الوثيق بين المـرأة والبيت، وقد نبَّه على هذا المعنى وأشـار إليـه - فيما يظهر لي - الإمام البخـاري - رحمه الله تعالى - حيث بوَّب في صحيحه على تلـك الآية فقال: (باب ما جاء في بيـوت أزواج النبـي ﷺ وما نسب من البيوت إليهن، وقول الله - تعالى -: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ و ﴿لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣]) فبـيَّن البخاري - رحمه الله تعالـى - أن البيوت على الحقيقة هي بيوت النبـي ﷺ بـدليـل قولـه - تعالـى -: ﴿لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ ومـع ذلك فقد أضيفت البيوت إلى أزواجـه ﷺ في قوله - تعالى -: ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾. وقد جاءت إضافـة البيت إلى المـرأة في أربعـة مواضع من كتاب الله - تعالى - وهي على ترتيب المصحف كما يلي:

الأول: قوله - تعالـى -: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ [يوسف: ٢٣].

الثاني: قوله - تعالى -: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

الثالث: قولـه - تعالى -: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

الرابع: قولـه - تعالـى -: ﴿لا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١].

وهناك موضع خامس لم يضـف فيه البيت إلى المـرأة وهـو قوله - تعالـى -: ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ [النساء: ١٥] ولم يقل المولـى - جل وعلا -: بيوتهن، وربما كان السـبب في ذلك أنها خانت فلم تحافظ على شرف البيت وطهارته، فلذلك لم تستحق أن يضاف إليها.

ثم جاء بعد ذلك ترشيح آخر لاستقرار النساء في البيوت وهـو النهي عـن التبـرج الـوارد فـي قـولـه - تعالى -: ﴿وَلا تَبَرَّجْنَ﴾ [الأحزاب: ٣٣] فكأن عـدم القرار في البيت وكثرة الخروج بغير مسـوِّغ شـرعي يؤدي إلـى تبرج المرأة وإظهار زينتها للرجال، وعلى ذلك فإن تركيب ألفاظ الآية قد انتظم حضَّ المرأة على القرار في البيت من ثلاثة أوجه:

الأول: التعبير عن ذلك بالقرار الذي فيه الراحة والوقار والطمأنينة.

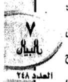
الثاني: إضافة البيوت إليهن للدلالة على الارتباط الوثيق بين المرأة والبيت.

الثالث: النهي عن التبرج الذي غالباً ما يكون الخروج من البيت سبباً فيه أو مدعاة له، فكأن عدم القرار في البيت من الوسائل المعينة على التبرج.

يتبـين مما تقدم أن قرار المرأة في بيتها هو الأصل وهو العزيمة التي ينبغي علـى كل امرأة أن تحرص عليها، والتي ينبغـي على كل ولي أمر أن يحضهـا عليها ويلزمها بها، إذا لم تلزم نفسـها بذلك، ومما يدل علـى ذلك الأصل أيضاً ما أخرجه البخاري عن عائشـة - رضي الله عنها - قالت: «خرجت سودة بعدما ضُرِبَ الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسـيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطاب فقال: يا سـودة! أما والله ما تخفـين علينا! فانظري كيف تخرجين! قالت: فانكفأتْ راجعة ورسـول الله ﷺ في بيتي، وإنه ليتعشـى وفي يده عَرْق، فدخلت فقالت: يا رسول الله! إنـي خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر: كذا وكذا، قالت: فأوحى الله إليـه ثم رُفِعَ عنه، وإن العَرْق في يده ما وضعه، فقال: إنه قد أُذِنَ لَكُنَّ أن تخرجن لحاجتكن»[2]. فقوله ﷺ: «إنه قد أُذِنَ لَكُـنَّ أن تخرجن لحاجتكن» يدلّ على أن الإذن بالخـروج مقيَّد بالحاجة؛ فما لم تكن هناك حاجة فالخروج غيـر مأذون فيه، وهو يبين أن مسـتقر المرأة إنما هو بيتها،

(١) مجموع الفتاوى: ١٣/٣٩٢.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، رقم٤٤٢١. ومسلم: رقم ٢١٧٠. العَرْق: عَظْمٌ عليه قليل من اللحم.



وأن الخروج منه إنما هو أمر عارض في نطاق الحاجة التي أَذِنَ الشرع بها.

يردد أصحاب الفكر النسوي (النساء والرجال) المتغربون أن الحديث عن قــرار المرأة في بيتها إنمــا يعبر عن رغبة بعض الرجال في التسلط على النـساء، وإرجاعهن إلى ما يسمونه بـ (عصر الحريم)، أو عن عــدم الثقة في المــرأة، أو أن هذا مما يضعف من شخصية المرأة ويحط من قــدرها ويــزري بمكانتها ويمنعها من حقوقها، وأن هذا من التمــييز ضــد المــرأة، أو ما يســمونه بـ (دونية) المــرأة في المجتمع الإســلامي. ولا شك أن هذا رأي خاطئ وظن فاسد، ونقول لهــؤلاء: إنّ الكلام عن قرار المرأة فــي البيت ليس مجــرد تصــور شــخصي أو رؤية فردية إنمــا هو حديث عن حكم شــرعي ثبت بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة الثابتة، وما كان كذلك فلا يقال عنه: إن فيه ازدراءً للمرأة وإضعافاً لشخصيتها إلى غير ذلك من الكلمات الشاردة الخاطئة التي لا يرددهــا إلا من لم يجعل النصوص الشــرعية حَكَماً على تصرفات الناس.

فوائد قرار المرأة في البيت:

ولقــرار المرأة في بيتها فوائد عظيمــة تعود على المرأة نفســها كما تعود على أســرتها وعلى المجتمع الذي تعيش فيه؛ فأُولى تلك الفوائد وأعلاها وأزكاها وأجلُّها: طاعة الله مولاها ورسوله ﷺ الجالبة لرضوان الله وتوفيقه وتسديده، ومنهــا: التفرُّغ لرعاية الزوج، والتفقد لمواضع رضاه وغضبه واحتياجاتــه والقيام بواجبها نحوه، ومنهــا: التفرغ لرعاية أولادها من البنين والبنات وتربيتهم والإحسان إليهم والقيام على شؤونهم ومتابعة أمورهم وعــدم تــرك ذلك للخــادمات أو الخدم، ومنها: التفقد لبيتها واحتياجاته ولوازمه والإشراف على نظافته وطهارته وترتيبه، ومنها: حفظ الوقت الذي هو من أثمن الأشــياء، فالوقت هو العمر من حافظ عليه حفظ عمره ومن ضيَّعه ضيَّع عمره، فينفعها ذلك في توفير الوقت للاطلاع على الكتب النافعة المفيدة التي تزيدها علماً وإيماناً وكذلك الاستماع إلى الأشرطة المفيدة، ومنها: إراحة الجسد من تعب الخروج والانتقال، ومنها: القدوة الحسنة لغيرها من النســاء القريبات أو الجارات مما قد يحملهن على الاقتداء بها فيعود عليها من وراء ذلك النفع الكثير والأجر العظيم.

كما أن قرار المرأة في بيتها يحفظ عليها دينها ويصونها، ويكف شرها عن الناس وشر الناس عنها، وتأمن بذلك أذيَّة الناس لها وشــرهم؛ سواء بالنظر إليها، أو التحــدث معهــا، أو التضييق عليها في الطرقات.

حالات الخروج المأذون فيها:

وقــرار المرأة في بيتها لا يعني عــدم خروجها منه أبداً بل تخرج للحاجة كما دل على ذلك حديث عائشــة - رضي الله عنها - الســابق. والحاجة هذه قــد تكون حاجة دينية وقــد تكون حاجة دنيوية كما أنها قــد تكون حاجــة المــرأة إلــى الخروج أو حاجة المجتمع إلــى خروجها، ولذلك أمثلة متعددة:

١ - فمن ذلك: الخروج للصلاة في المسجد بعد استئذان الــزوج أو الولــي، وإن كانــت صلاتها في بيتهــا خير لها وأفضل.

٢ - ومن ذلك: الخروج لطلب العلم الشــرعي المطلوب منهــا علمه والعمل به إذا لم تتمكــن المرأة من تحصيله عن طريــق الأب أو الأخ أو الزوج أو المَحْرَم، أو عن طريق الكتاب والشريط، ولم يمكنها تحصيل العلم الواجب عليها تعلُّمه إلا بالخروج إلى مجلــس العلم؛ فإن الخروج حينئذ يكون لطلب علمٍ ما أُمرت به أو نُهيت عنه وهذا من الحوائج الشرعية.

٣ - ومن ذلك: الخروج لصلاة العيدين، وقد ورد التأكيد على ذلك في الســنة الصحيحة، حتــى إن بعض أهل العلم يذهب إلى وجوبه.

٤ - ومــن ذلك: الخــروج لحضور العرس والمناســبات الاجتماعية، وقد بوَّب البخاري باباً في صحيحه فقال: باب: ذهاب النســاء والصبيان إلى العرس، قال ابن حجر - رحمه الله -: (كأنه ترجم بهذا لئلا يتخيل أحد كراهة ذلك، فأراد أنه مشروع بغير كراهة)[1]، لكن ذلك مقيد بعدم وجود المنكر في الأعراس؛ فإن كان فيها منكر فعليها أن تعمل على إزالته، فإذا لم تكن قادرة على ذلك فلا ينبغي لها الذهاب.

٥ - ومن ذلك: الخروج لحاجتها الدنيوية أو الدينية من عمل مشــروع ونحوه قد تحتاج المرأة إليــه أو يحتاجه منها المجتمع، كما خرجت ابنتا الرجل الصالح لســقي الأنعام؛ إذ كان أبوهما شــيخاً كبيراً كما ورد في قصة موســى - عليه الســلام - وكما كانت تخرج بعض النساء مع رسول الله ﷺ في الجهاد يسقين الماء ويداوين الجرحى.

وينبغــي للمرأة عند الخــروج - إذا احتاجت إليه - ألا تخرج متبرجة كاشفة عن زينتها أو بعضها، ولا أن تقوم بعمل

(١) فتح الباري: ٩/١٥٦.



مما يدل على الزينة المخفية، أو تخرج متعطرة، بل عليها أن تخرج بغير ذلك؛ فالعطر من المرأة فتنة قد يدفع إلى ما لا تحمد عقباه، ولذا جاء في الحديث: «إذا استعطرت المرأة فمرت على القوم ليجدوا ريحها فهي كذا وكذا، قال قولاً شديداً، وفي رواية: فهي زانية»[1]، ولتكن مشيتها سوية بغير تكسُّر أو تهتُّك، بل تكون مستقيمة في مشيتها إلى حيث تريد، يزينها الحياء كما جاء في وصف ابنة الرجل الصالح التي أتت إلى موسى - عليه السلام - تدعوه لمقابلة أبيها قال - تعالى -: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ [القصص: ٢٥]، وإذا احتاجت إلى الكلام مع الرجال فليكن الكلام بغير خضوع أو ليونة في الحديث، ولا تكتمل الصيانة في الجانب الاجتماعي إلا بغضِّ البصر، فيغضُّ الرجل بصره عن المرأة، وتغضُّ المرأة بصرها عن الرجل.

والخروج من غير حاجة له مفاسد كثيرة، فمن ذلك:

- تبذُّل المرأة واضطرارها للتحدث مع الرجال الأجانب.
- حدوث الاختلاط بين الرجال والنساء.
- إضاعة الأوقات.
- حدوث الخلافات الأسرية.
- تشتت الأولاد وتعرضهم للضياع.
- تعرض النساء للأذى من الفسّاق.
- حدوث الخلوة المنهي عنها إذا ركبت مع السائق بمفردها.
- الوقوع في التبرج والسفور نظراً إلى كثرة الخروج، أو على الأقل التعرض لانكشاف شيء منها نظراً إلى ذلك.

ثانياً: منع الاختلاط عند الخروج:

والاختلاط في اللغة هو الممازجة، واختلط الرجال والنساء أي: تداخل بعضهم في بعض.

جاء في معجم (لسان العرب) في مادة خلط: خلط الشيء بالشيء يخلِطه خلطاً وخلَّطه فاختلط: مزجه واختلطا، وخالط الشيء مخالطة وخِلاطاً: مازجه[2].

قد تحتاج المرأة إلى الخروج على ما سبق ذكره وبيانه، وحينئذ عليها أن تجتنب مخالطة الرجال، وقد دل على ذلك عدة أدلة؛ فعن نافع عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «لو تركنا هذا الباب للنساء» قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات[3]. وقد بيَّن أهل العلم العلة في تخصيص النساء بباب من أبواب المسجد؛ فقال العلَّامة أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي في شرحه على ذلك الحديث: (لئلا تختلط النساء بالرجال في الدخول والخروج من المسجد، والحديث فيه دليل أن النساء لا يختلطن في المساجد مع الرجال، بل يعتزلن في جانب المسجد ويصلين هناك بالاقتداء مع الإمام)[4].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها»[5]. قال النووي - رحمه الله تعالى -: (أما صفوف النساء فالمراد بالحديث صفوف النساء اللواتي يصلين مع الرجال، وأما إذا صلين متميزات لا مع الرجال فهن كالرجال خير صفوفهن أولها وشرها آخرها، والمراد بشرِّ الصفوف في الرجال أقلها ثواباً وفضلاً وأبعدها من مطلب الشرع، وخيرها بعكسه). ثم أردف - رحمه الله تعالى - معللاً ذلك بقوله: (وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبُعْدهن عن مخالطة الرجال ورؤيتهم وتعلق القلب بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم ونحو ذلك، وذم أول صفوفهن لعكس ذلك. والله أعلم)[6]، وما روته أم سلمة: «أن النساء في عهد رسول الله ﷺ كن إذا سلَّمن من المكتوبة قُمْن وثبت رسول الله ﷺ ومن صلى من الرجال ما شاء الله، فإذا قام رسول الله ﷺ قام الرجال»[7]. وفي لفظ: «كان يسلم فينصرف النساء فيدخلن بيوتهن من قبل أن ينصرف رسول الله ﷺ»[8]. قال محمد بن شهاب الزهري - رحمه الله - في تفسير مكث الرسول ﷺ: (فأرى - والله أعلم - أن مكثه لكي ينفذ النساء قبل أن يدركهن من انصرف من القوم)[9]. قال ابن حجر - رحمه الله تعالى -:

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الترجل، رقم ٤١٧٣. والترمذي: كتاب الزينة، رقم ٥١٢٦. وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، كما أخرجه ابن حبان وابن خزيمة في صحيحيهما.

(٢) لسان العرب: مادة: خلط، ٧/٢٩١.

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، رقم ٤٨٤، وقال: رواه إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن نافع قال: قال عمر وهو أصح، وصحح الألباني المرفوع منه «لو تركنا هذا الباب للنساء» صحيح أبي داود رقم ٥٣٤. فالحاصل أن الحديث روي مرفوعاً وموقوفاً، قال شمس الحق صاحب عون المعبود: والأشبه أن يكون الحديث مرفوعاً وموقوفاً، وعبد الوارث (الراوي عن أيوب عن نافع) ثقة تقبل زيادته (عون المعبود: ٢/٩٢).

(٤) عون المعبود: ٢/١٣٠.

(٥) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، رقم ٦٦٤.

(٦) المنهاج شرح النووي على صحيح مسلم: ٤/٢١٠.

(٧) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، رقم ٨١٩.

(٨) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، رقم ٨٠٣.

(٩) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، رقم ٧٩٣.

(وفي الحديث مراعاة الإمام أحوال المأمومين والاحتياط في اجتناب ما قد يفضي إلى المحذور، وفيه اجتناب مواضع التهم وكراهة مخالطة الرجال للنساء في الطرقات فضلاً عن البيوت. ومقتضى التعليل المذكور أن المأمومين إذا كانوا رجالاً فقط أن لا يستحب هذا المكث)[1]. وما رواه ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما -: «أشهد على رسول الله ﷺ لصلَّى قبل الخطبة قال: ثم خطب فرأى أنه لم يُسمِع النساء فأتاهن فذكَّرهن ووعظهن...» الحديث[2].

قال النووي - رحمه الله تعالى -: (وفي هذه الأحاديث استحباب وعظ النساء وتذكيرهن الآخرة وأحكام الإسلام وحثهن على الصدقة، وهذا إذا لم يترتب على ذلك مفسدة وخوف على الواعظ والموعوظ أو غيرها، وفيه أن النساء إذا حضرت صلاة الرجال ومجامعهم يكُنّ بمعزل عنهم خوفاً من فتنة أو نظر أو فكر ونحوه)[3]. وفي لفظ البخاري: «ثم أتى النساء ومعه بلال فوعظهن وذكَّرهن».. الحديث، قال ابن حجر - رحمه الله تعالى -: (قوله: «ثم أتى النساء» يُشعر بأن النساء كن على حِدَةٍ من الرجال غير مختلطات بهم، قوله: «ومعه بلال» فيه أن الأدب في مخاطبة النساء في الموعظة أو الحكم أن لا يحضر من الرجال إلا من تدعو الحاجة إليه من شاهد ونحوه؛ لأن بلالاً كان خادم النبي ﷺ ومتولِّي قبض الصدقة)[4]. ومن ذلك: ما رواه حمزة بن أبي أسيد الأنصاري عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال رسول الله ﷺ للنساء: «استأخرن؛ فإنه ليس لَكُنَّ أن تحْقُقْن الطريق[5]، عليكن بحافات الطريق»، فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به[6]. فكما منع الإسلام الاختلاط في أماكن التجمعات الدائمة كالمساجد ونحوها كذلك منعه في أماكن التجمعات المؤقتة كالطريق الذي يجمع من مرَّ فيه من الناس، ومع أن هذا الاجتماع عارض؛ فهذا يمشي لشأنه وذاك يمشي لشأنه وقد يمضيان معاً في طريق واحد ثم لا يلتقيان بعد

(١) فتح الباري: ٢/ ٣٩١ - ٣٩٢.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صلاة العيدين، واللفظ له، رقم ١٤٦٥. والبخاري: كتاب الزكاة، رقم ١٣٧٥.

(٣) المنهاج شرح النووي على صحيح مسلم: ٦/ ٢٤٦.

(٤) فتح الباري: ٢/ ٥٤٠.

(٥) تحققن الطريق: تركبن حُقّها وهو وسطها.

(٦) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، رقم ٤٥٨٨، وقال الألباني: حسن (صحيح أبي داود رقم ٤٣٩٢).

ذلك أبداً؛ ومع ذلك فإن النص الشرعي قد جاء بالمنع من الاختلاط في هذه الحالة العارضة؛ لما يترتب على الاختلاط من مفاسد. ولما كان وسط الطريق وصدره من شأنه أن يبرز ويظهر من يمشي فيه؛ فقد منع النص النساء من التصدر في الطريق، وبيَّن أن وسط الطريق وصدره إنما هو للرجال وليس للنساء، وأن أمر النساء مبني على الستر، فعليها لذلك أن تتنحى جانباً من جوانب الطريق استكمالاً للستر المطلوب، وذلك أحفظ لهن وأبعد عن مخالطة الرجال؛ وفي هذا صيانة لهن ولدينهن. ولقد تجاوبت النساء الكريمات مع هذا التوجيه النبوي الكريم الذي يحفظ للمرأة مكانتها ويحافظ عليها، فكانت الواحدة منهن - رضي الله تعالى عنهن - تمشي أقصى حافة الطريق حتى تلتصق الواحدة منهن بجدار البيوت التي في الطرق من شدة بُعْدهن عن وسط الطريق.

وهذا الحديث فيه بيان لفساد توهم قد يتوهمه بعض الناس وهو أن الاختلاط إنما يُنهى عنه إذا كان بالجلوس وطول المكث في مكان واحد مع ما يصاحب ذلك من كلام وأحاديث، فهذا وإن كان منهياً عنه بلا شك؛ فإن مجرد الاختلاط العارض الذي يقع في الطريق فإنه منهي عنه أيضاً، وهذا الحديث موافق لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس للنساء وسط الطريق»[7]. ولعل ذلك ما دعا علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - أن ينكر ما رآه مخالفاً لتلك النصوص من اختلاط النساء بالرجال، فقال: «أما تغارون أن يخرج نساؤكم»، وفي رواية: «ألا تستحيون أو تغارون؛ فإنه بلغني أن نساءكم يخرجن في الأسواق يزاحمن العلوج»[8]. وفيه إشارة إلى أن ترك النساء يزاحمن الرجال في الأسواق دليل على ضعف الغيرة أو الحياء.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: (ولِيُّ الأمر يجب عليه أن يمنع اختلاط الرجال بالنساء في الأسواق، والفُرَج، ومجامع الرجال). وقال: (وقد منع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - النساء من المشي في طريق الرجال، والاختلاط بهم في الطريق. فعلى ولي الأمر أن

(٧) أخرجه ابن حبان في صحيحه: ١٢/ ٤١٥، وقال الألباني: حسن لشواهده (السلسلة الصحيحة: ٢/ ٥١١، رقم ٨٥٦).

(٨) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في المسند: رقم ١٠٦٣، وقال الشيخ أحمد بن محمد شاكر: إسناداه صحيحان، والعلوج: جمع علج وهو الرجل الكافر من العجم.

يقتدي به فـــي ذلك..). إلى أن يقـــول: (ولا ريب أن تمكين النســـاء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أســـباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أســـباب فساد أمور العامة والخاصة)[١].

ومن ذلك: مـــا قاله ابن جريج: أخبرنـــي عطاء إذ منع ابن هشـــام النســـاء الطواف مع الرجال، قال: كيف يمنعهن وقد طاف نســـاء النبي ﷺ مع الرجال؟ قلت: أَبَعْدَ الحجاب أو قبـــل؟ قال: إي! لَعَمْري لقد أدركتـــه بعد الحجاب، قلت: كيف يخالطن الرجال؟ قال: لم يَكُنَّ يخالطن، كانت عائشـــة - رضـــي الله عنها - تطوف حَجْرة من الرجال لا تخالطهم، فقالت امرأة: انطلقي نســـتلم يا أم المؤمنين! قالت: انطلقي عنك، وأبت...)[٢]. ولما ظن ابن جريج أن اعتراض عطاء على فعل ابن هشـــام يعني اختلاط النساء بالرجال أثناء الطواف احتاج أن يستفســـر منه: أطواف نساء النبي مع الرجال بعد الحجاب أو قبله؟ فبين لـــه عطاء أنه لم يدرك ذلك إلا بعد الحجاب قطعاً؛ لأنه تابعي، والتابعي لم يعاصر الرسول ﷺ، وتشـــريع الحجاب إنما نزل في عصره ﷺ، حينئذ قال ابن جريج مستفهماً أو مســـتنكراً: كيف يخالطن الرجال؟ وذلك لظنِّه أن طواف الرجال والنساء معاً يستلزم الاختلاط، وهنا بيَّن عطاء - رحمه الله - أن طواف النســـاء في وقت طواف الرجال لا يستلزم بالضرورة الاختلاط؛ إذ كن النساء يطفن مبتعدات عـــن الرجال ولذا ردَّ عليه بقوله: لم يَكُنَّ يخالطن، كانت عائشـــة - رضي الله عنها - تطوف حَجْرة من الرجال أي: مبتعدة عنهم لا تخالطهم. أقول: هذا الحوار الدائر بين ابن جريج وبين عطـــاء - رحمهما الله تعالى - يدل على أن المنع من اختلاط النساء بالرجال كان من أمر الناس القديم، وأنـــه كان مقرراً معروفاً عندهم، وهـــذا يبين أيضاً أن منع الاختلاط داخلٌ في معنى الحجاب المأمور به.

ثالثاً: منع الدخول عليهن والاختلاء بهن:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَـــاءِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قَالَ: الْحَمْوُ الْمَوْتُ»[٣].

أمرت الشـــريعة المـــرأة بالقرار في بيتهـــا، ومنعتها من الخروج إلا لحاجة، فإذا احتاجت المرأة إلى الخروج جاز لها ذلك، وفق الضوابط الشـــرعية التـــي تقدم ذكر بعض منها؛ صيانة للمجتمع وحفظاً لدينه؛ فلما ســـدَّت الشريعة منافذ اجتماع الرجال والنساء واختلاطهم مع بعضهم بما تقدم من التدابير الســـابقة؛ بقي منفذ واحد: ألا وهو دخول الرجال الأجانب على النساء في بيوتهن، ولا يكتمل الحفظ والصيانة المطلوبة إلا بإغلاق هذا المنفذ، ومنع الدخول عليها في بيتها والخلوة بها؛ فإن الدخول عليها في بيتها والخلوة بها فيه من الشـــر أكثر مما في خروجها، لذا كانت العلة التي دعت إلى منـــع خروجها إلا لحاجة قاضية بمنع الدخول عليها والخلوة بها، وهو ما جاء في هذا الحديث وما شابهه.

فاختلاط الرجال والنســـاء إما يكـــون بخروج المرأة إلى مجامع الرجـــال، وإما يكون بدخول الرجال بيوت النســـاء، والشريعة قد سدَّت هذا وهذا، ووضعت لكل حالة ضوابطها، وقد حذَّر الرســـول ﷺ في حديث الباب أشـــد التحذير من الدخـــول على النســـاء الأجنبيات، فقـــال: «إياكم والدخول على النســـاء»، أي: أحذركم التحذير الشـــديد من الدخول على النســـاء. وقـــد فهم الصحابة - رضـــوان الله عليهم - من ذلك العموم، وأن هـــذا دال على المنع من دخول الرجال جميعهم على النســـاء، فاحتاجوا إلى الاستفســـار عن حكم دخول أقارب الزوج على المـــرأة، وكأن عادة الناس قبل هذا التشريع التساهل في هذا الأمر؛ اعتماداً على الثقة الناتجة من القرابـــة، التي تجعل الحفاظ على أعراض الأقارب همّاً مشـــتركاً، فكان جواب الرســـول ﷺ في ذلك جواباً حاسماً قاطعاً، لم يدع لســـامع مجالاً أن يفهـــم غير تحريم دخول الرجال الأجانب على النســـاء، وقـــد كان التعبير النبوي عن ذلك في أعلى درجات البلاغـــة والبيان، بل كان أبلغ من أن يقول: حرام، وأقدر على تأدية المعنى المراد وتوصيل الرسالة المطلـــوب إيصالها، وأوقع في ذهن الســـامع، وجالب لصورة من الصور البشـــعة في مخيلة السامع، حيث يقول الرسول ﷺ: «الحمو الموت»، فكأن أشـــد الداخلين على المرأة خطراً وأعظمهم مصيبة: الحمو.

قـــال النووي - رحمه الله تعالـــى -: (فمعناه أن الخوف منه أكثر من غيره، والشـــر يتوقع منه، والفتنة أكثر؛ لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة من غير أن يُنكر عليه، بخلاف

(١) الطرق الحكمية، ص ٢٣٧ - ٢٣٩.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الحج، رقم ١٥١٣. وعبد الرزاق في المصنف: ٥/٦٦، وفيه حجزة بدلاً من حجرة.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، رقم ٥٢٣٢. ومسلم: كتاب النكاح، رقم ٢١٧٢.



الأجنبـي)[1]. وقال ابن حجر: (قال عياض: معناه أن الخلوة بالأحماء مؤدية إلى الفتنة والهلاك في الدين، فجعله كهلاك الموت، وأورد الكلام مورد التغليظ، وقال القرطبي في المفهم: المعنى أن دخول قريب الزوج على امرأة الزوج يشبه الموت في الاستقباح والمفسـدة؛ أي: فهو محرم معلوم التحريم، وإنما بالغ في الزجر عنه وشبَّهه بالموت لتسامح الناس به من جهة الـزوج والزوجة؛ لإلفهم بذلك حتى كأنـه ليس بأجنبي من المرأة، فخرج هذا مخرج قول العرب: الأسد الموت، والحرب الموت، أي: لقاؤه يفضي إلى الموت، وكذلك الدخول على المرأة قد يفضي إلى موت الدين، أو إلى موتها بطلاقها عند غيرة الزوج، أو إلى الرجم إن وقعت الفاحشة)[2].

والدخول على المرأة يفضي غالباً إلى الخلوة بها، خاصة مع تزيين الشـيطان ذلك، وهذه مفسدة خالصة ليس وراءها مصلحة شرعية معتبرة، لذلك حرمت الشريعة الدخول على النسـاء والخلوة بهن، ولذلك أيضاً قال الرسـول ﷺ: «ألا لا يخلُوَن رجـل بامرأة؛ فإن ثالثهما الشـيطان»[3]، فإذا كان الشـيطان هو جليس الرجل والمرأة في الخلوة، فبماذا عساه أن يأمر؟ وإلى أي شـيء يدعو؟ إن الشيطان داعية كل شر، فإذا خلا رجل بامرأة حضرهما الشـيطان وزيَّن لهما الشر، ووسوس به وحضَّ عليه، وسهَّل لهما أمره، ووعدهما ومنَّاهما أن الأمر مسـتور، وأن الحال غير مكشوفة، وأن باب التوبة بعد ذلك مفتوح، ليوردهم مـوارد الهلكة؛ ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠].

لكن الحاجة قد تدعو وتلجـئ إلى دخول الأجنبي على المرأة؛ فما العمل حينئذ؟ لقد راعت الشـريعة ذلك لكن في ظـل الحفظ والصيانـة والديانة، فاشـترطت لذلك وجود المَحْرَم الذي يمثل وجوده صِمَام أمان؛ حيث يكون وجوده في هذه الحالة طارداً لكل وساوس الشيطان. وقد ورد اشتراط المحـرم في أكثر من حديث؛ فمن ذلك: قوله ﷺ: «لا يخلُوَنّ رجل بامـرأة إلا مع ذي محرم..» الحديـث[4]؛ قال النووي - رحمـه الله تعالى -: (قوله ﷺ: «ومعها ذو محرم»، يحتمل أن يريد محرماً لها، ويحتمل أن يريد محرماً لها أو له، وهذا الاحتمال الثاني هو الجاري على قواعد الفقهاء؛ فإنه لا فرق بـين أن يكون معـها محـرم لها كابنها وأخيها وأمها وأختها، أو يكون محرماً له كأخته وبنته وعمته وخالته، فيجوز القعود معهـا في هذه الأحـوال، ثم إن الحديـث مخصوص أيضاً بالـزوج؛ فلو كان معها زوجها كان كالمحـرم وأَوْلى بالجواز، وأمـا إذا خلا الأجنبي بالأجنبية مـن غير ثالث معهما فهو حرام باتفاق العلماء، وكذا لو كان معهما من لا يسـتحي منه لصغره؛ كابن سـنتين وثلاث ونحو ذلك؛ فإن وجوده كالعدم، وكذا لو اجتمع رجال بامرأة أجنبية فهو حرام، بخلاف ما لو اجتمع بنسـوة أجانب فإن الصحيح جوازه... قال أصحابنا: ولا فـرق في تحريم الخلوة حيـث حرمناها بين الخلوة في صلاة أو غيرها، ويستثنى من هذا كله مواضع الضرورة؛ بأن يجد امرأة أجنبية منقطعة في الطريق أو نحو ذلك فيباح له اسـتصحابها، بل يلزمه ذلك إذا خاف عليها لو تركها، وهـذا لا اختـلاف فـيه، ويـدل عليه حديث عائشة في قصة الإفك، والله أعلم)[5].

والخلوة المنهيّ عنها ليسـت هي الخلوة التي تكون بحيث تحتجب أشـخاصهما عن أعين النـاس داخل حجرة أو بناء أو مـا أشـبه ذلك فقط، بـل لو خلا بها بحيـث احتجبت أشـخاصهما عن أعين الناس، ولو كانا في فضاء أو خلاء، أو ظلام، أو كانا في طريق أو مكان مهجور لا يسلكه الناس؛ فإن هذا من الخلوة المنهي عنها، والشر حاصل منها. أما إذا خلا الرجل المأمون بالمرأة بحيث لا تحتجب أشخاصهما عن أعين الناس، بل بحيث لا يسـمع النـاس كلامهما فقط مع رؤية الناس لهما؛ فإن هذا مما يجوز عند الحاجة إليه، وقد دل علـى ذلك حديث أنس - رضي اللـه تعالى عنه - قال: «جـاءت امرأة من الأنصار إلى النبـي ﷺ فخلا بها، فقال: والله إنكـم لأحب الناس إليَّ»[6]، وقد بـوَّب عليه البخاري بقوله: (باب: ما يجوز أن يخلـو الرجل بالمرأة عند الناس)، قال ابن حجر في شرح ذلك: (أي: لا يخلو بها بحيث تحتجب أشـخاصهما عنهم، بل بحيث لا يسمعون كلامهما، إذا كان بما يُخافَتُ بـه؛ كالشـيء الذي تسـتحي المرأة مـن ذكره بـين النـاس، وأخذ المصنف قوله: عند الناس، من قوله في بعض طرق الحديث: فخلا بها في بعض الطرق أو في بعض السكك، وهي الطرق المسلوكة التي لا تنفك عن مرور الناس

(١) المنهاج، شرح صحيح مسلم: ١٤/ ٢٢٠.
(٢) فتح الباري: ٩/ ٢٤٣ - ٢٤٤.
(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه: ١٢/ ٣٩٩، والحاكم في المستدرك: ١/ ١٩٧، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، والترمذي: كتاب الفتن رقم ٢٠٩١، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وأحمد: رقم ١٠٩، قال الشيخ الأرناؤوط: صحيح.
(٤) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، رقم ٥٢٣٣، ومسلم: كتاب الحج، رقم ١٣٤١.
(٥) المنهاج، شرح صحيح مسلم: ٩/ ١٥٥ - ١٥٦.
(٦) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، رقم ٥٢٣٤، ومسلم: فضائل الصحابة، رقم ٢٥٠٩.

غالبـــاً). ثم نقل عن المهلب قولـــه: (لم يُرِدْ أنس أنه خلا بها بحيـــث غاب عن أبصار من كان معـــه، وإنما خلا بها بحيث لا يســـمع من حضر شـــكواها، ولا ما دار بينهما من الكلام؛ ولهذا ســـمع أنس آخر الكلام فنقله، ولم ينقل ما دار بينهما لأنه لم يسمعه).. ثم قال ابن حجر معلقاً على شرح الحديث: (وفيه أن مفاوضة الأجنبية سراً لا يقدح في الدين عند أمن الفتنة، ولكن الأمر كما قالت عائشـــة: وأيكم يملك إربه، كما كان رسول الله ﷺ يملك؟)[1].

وممـــن يُنهى عن الدخـــول على النســـاء والخلوة بهن: المخنثون. والمخنث هو: (من يشـــبه خلقه النساء في حركاته وكلامه وغير ذلك، فإن كان مـــن أصل الخلقة لم يكن عليه لـــوم، وعليه أن يتكلف إزالة ذلك، وإن كان بُقصَد منه وتكلَّف له فهو المذموم. ويطلق عليه اسم مخنث سواء فعل الفاحشة أو لم يفعل؛ قـــال ابن حبيب: المخنث هو المؤنث من الرجال، وإن لم تُعرَف منه الفاحشـــة؛ مأخوذ من التكسر في المشي وغيره)[2]، فمن كان من هؤلاء المخنثين لا يفطن لشـــيء من أمر النســـاء مما يفطن له الرجال ولا إربة له في ذلك؛ فإن دخوله على المرأة وخلوته بها لا محذور فيه، وهي مما تجوز ولا ينهـــى عنهـــا؛ لأنه مثل المرأة، وأمـــا إن كان ممن يتكلف الانخناث، ويفطن من أمر النســـاء ما يفطن له الرجال، فإنه لا يحل دخوله على النســـاء والخلوة بهن، وقد جاء في ذلك حديـــث؛ فعن أم ســـلمة - رضـــي اللـــه تعـــالى عنها - أن النبـــي ﷺ كان عندهـــا وفي البـــيت مخنـــث، فقال المخنث لأخـــي أم ســـلمة - عبد الله بن أبي أمية -: إن فتح الله لكم الطائـــف غداً أدلُّك على ابنة غيلان؛ فإنها تُقْبِل بأربع وتُدْبِر بثمان. فقـــال النبي ﷺ: «لا يدخلن هـــذا عليكن»[3]. فهذا المخنث كان يدخل على نســـاء النبي ﷺ لأنـــه كان منظوراً إليه لمشـــابهته للنســـاء على أنه من غـــير أُولـــي الإربة من الرجـــال، الـــذين لا يفطنون لأمر النســـاء، كمـــا دل عـــلى ذلـــك حـــديث عائـــشة - رضي الله تعالى عنها - قالت: «كان يدخـــل علـــى أزواج النبي ﷺ مخنث، فكانوا يعدُّونه من غير أولـــي الإربة، قالت: فدخل النبـــي ﷺ يوماً وهو عند بعض نســـائه، وهو ينعت امرأة، قـــال: إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبـــرت أدبرت بثمان، فقـــال النبي ﷺ: ألا أرى، هذا يعرف ما هـــا هنـــا، لا يدخلن عليكن! قالت: فحجبوه»[4]. فلما تبيَّن أنه ليس كذلك بدليل كلامه على ابنة غيلان ووصفه لها بما يدل على معرفته بمواطن الجمال في النساء؛ منع النبي ﷺ من دخوله على النساء، وقد بوَّب البخاري على هذا الحديث بقـــوله: (باب: ما ينهى من دخول المتشـــبهين بالنســـاء على المرأة).

وخلـو الرجـل بالمرأة ومســـاررته لهـــا مظنة التهمة، لذا ينبغي لمـــن رُئي في مـــكان ومعه امرأة وهو مَحْـــرَم لها أن يتحرَّز من التعرض لســـوء الظن من الناس، ويطلب السلامة لنفسه في ذلك ويعتذر بالأعذار الصحيحة الواضحة صيانةً لعرضـــه؛ فعـــن أنس - رضي الله عنه - أن النبـــي ﷺ كـــان مع إحـــدى نـــسائه، فمـــر به رجل، فـــدعـــاه فجـاء، فـقـال: يا فـــلان! هذه زوجتي فلانـــة، فقـــال: يا رسول الله! من كنت أظن، فلم أكن أظن بك، فقال رسول الله ﷺ: «إن الشـيطان يجري من الإنســـان مجرى الدم»[5]. فالإنسان متى مـــا فعل ما هو حق مما قد يُنكَر ظاهره عند من لا يعلم حقيقة الأمر؛ فعليه أن يبين حاله ليدفع عن نفســـه ظن الســـوء، وليرحم إخوانـــه من وقوعهم فيه، وقد قـــال النووي في ترجمة هذا الحديث: «يســـتحب لمن رئي خالياً بامـــرأة، وكـــانت زوجتـــه أو محرماً لها، أن يقول: هذه فلانة ليدفع ظن السوء»[6].

تنبيه: في حكم الخلوة بالأمرد:

الأمـــرد هو الفتى الذي لم تنبت لـــه لحية؛ قال النووي: «والمختار عند أصحابنا أن الخلوة بالأمرد الأجنبي الحســـن كالمـــرأة، فتحرم الخلوة به حيث حرمت بالمرأة إلا إذا كان في جمع من الرجال المصونين»[7].

وهكذا يتبين لنا أن الشرع الإســـلامي، في كـل ما تقدم، لا يهـــدف إلا إلى حمـــاية المـــرأة وصـــيانتهـــا؛ لأن اللـــه - تعـالـــى - هو الذي خلق الذكر والأنثى وهـــو أعلم بهـــما، بعكـــــس ما يحاولـــه الكثيرون من فتح أبـــواب الاختلاط والخروج بدون ضوابط، والدخول على النســـاء والخلوة بهن فـــي غير وجود محرم؛ بزعم الثقـــة (الكاذبة) وأن المرأة قد بلغت رشدها، وأن المدنية قد هذَّبت من طباع الناس، ويوشك هؤلاء أن يكونوا من الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَـةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

(١) فتح الباري: ٩/٢٤٤ - ٢٤٥.
(٢) فتح الباري: ٩/٢٤٦.
(٣) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، رقم ٢٢٣٥.
(٤) أخرجه مسلم: كتاب السلام، رقم ٢١٨١.
(٥) أخرجه مسلم: كتاب السلام، رقم ٢١٧٤.
(٦) المنهاج، شرح صحيح مسلم: ١٤/٢٢٣.
(٧) المنهاج، شرح صحيح مسلم: ٩/١٥٦.

قضايا دعوية

اغتيال القادة

د. أنور قاسم الخضري
Alkhudhari@hotmail.com

(العدد ٢٣٥) استعرضت من خلاله «أحاديث القرآن الكريم والسنة المطهرة عن القادة». وهنا أحب أن أضيف أننا - معشرَ المسلمين - ونتيجة «الظروف» و «البيئة» و «الهزيمة النفسية» إزاء أقدار الله الصعبة؛ نمارس سلوكاً إجرامياً تجاه الشخصيات القيادية، بحيث يُغتالون بدون قصد وشعور.

فقد أشرت إلى أن الشخصيات القيادية شخصيات ملهمة وجريئة، وصاحبة مشروع جديد، ورائدةُ تحوُّل، وذات تأثير فعال، بحيث تصوغ الآخرين في لوحة حية متكاملة وقوية، لذلك فهي تحتاج إلى قَدْرٍ من الحرية، وقدر من التشجيع، وقدر من الاهتمام ابتداء.

وسأذكر هنا صوراً من اغتيال القادة بحسب تصوري للقضية:

أولاً: الاستعجال في تقديم الشخصيات القيادية إلى معترك المواجهة مع الواقع، بدون تزويدها بالعلم والمعرفة والمهارات الضرورية، وبدون صقلها بالخبرات والتجارب المفيدة، التي تكوِّن لها مرجعاً ثرياً للإلهامات الصائبة والمشروعات الناجحة.

والاستعجال آفة خطيرة، وقد قيل قديماً: (من استعجل الشيء قبل أوانه؛ عوقب بحرمانه)، ومن التهور أن يقدِّم العمل الإسلامي في بعض فصائله - اليوم - قيادات غير واعية ولا ناضجة ولا متسلحة بالعلم؛ لأن أنصاف المتعلمين والخبراء مشكلة بحد ذاتهم؛ فكيف إذا سلَّمنا لهم مفاتيح القيادة؟! أليس هذا أشبه بتسليم شخص نصف متعلم ونصف خبير قيادة الطائرة في رحلة ركاب طويلة وخطيرة؟ لعل الكثيرين يتفقون على خطورة المثال الحسي

- السابق - على الرغم من أن مضرب المثل أشد خطورة في حقيقـــة الأمر. وما أجمل قول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - منبهاً: «تفقهوا قبل أن تُسَوَّدوا»!

ثانياً: حرمان القادة الذين تدل مواهبهم الشخصية وقدراتهـم العقليـة والنفسـيـة، مـن واقع المعايشـة لهم وتجربتهم:

وذلك بحرمانهم من أخذ فرصتهم في القيادة، من خلال المشـــاركة في صنع القرار، أو إيكال بعض المسؤوليات إليهم ومحاســـبتهم عليها حتى تتم لهم الفائدة، أو إعطائهم بعض المهام المســـتقلة، أو تحميلهم إنجاز بعض المشروعات في ظل رقابة عليا.

إن هذا الحرمان يكبت فيهـــم روح القيادة، ويحيلهم مع الوقـــت إلـــى آلات طيِّعـــة، أو إلى عفاريـــت جامحة تفتعل الأزمـــات وتختلـــق المشـــكلات حتى تنتقـــم مـــن بيئتها؛ فالحرمان يدفع بالإنســـان إلى الظلم والانتقام وتعويض ما حُرِم منه.

وهذا الصنف من القادة المحرومين كالصقر المدرب الذي يُحبَس ثم يباهي به صاحبه، هذا إن باهى به فعلاً!

وقيل في بعض الحِكَم: (الســـهم الذي لا ترمي به عدواً؛ ينكأ لك جرحاً)!

ثالثـاً: غيـاب روح الشـورى الجماعيـة في البيئـة المسـلمة، على صعيد الأسـرة والمسـجد ومحاضـن العلم وأماكن العمل وأنظمة الحكم:

ولذلك فقد المســـلمون بركة الاتفـــاق والاجتماع والعون الإلهي.. «يد الله مع الجماعة».

إن الشورى تفتِّق الأذهان، وتوسع آفاق الإلهام، وتوسع من دائرة النظر، وتبعث على إدراك مناهج الآخرين وطرقهم في التفكير، ومن ثم معرفة منطلقاتهم وآليات فهمهم، والعوامل الشخصية والخارجية المؤثرة على صنع القرار لديهم، وغير ذلك من الجوانب، ومن ثم يخرج المتشاورون بإيجابيات أبعد من مجرد اتخاذ القرار، فهناك جانب غير مرئي في الشورى يجري بالموازاة مع الحوارات وتقليب وجهات النظر والجدال، وهو يتسرب إلى الجميع.

والشـــخصية القيادية هي التي تســـتوعب الآخرين من خلال عملية (الشورى)، لتنطلق في التعامل معهم بفهم كامل لشـــخصياتهم وكيفية التأثير عليهم عبـــر المداخل المقبولة والمحبوبة في نفوسهم.

رابعـاً: تفصيـل الخطة لهـم ممـا يحرمهم مـن إبراز قدراتهم:

القياديـــون بطبيعتهم يمتلكون القـــدرة على التخطيط والإدارة معاً، وحصرهم في خطة مفصلة إلى حد الذرة يعني إلغـــاء جانب كبير من هذه القـــدرة، وغياب عنصر التحفيز لديهم للقيام بالعمل؛ فهم بطبيعتهم ميالون للابتكار والإبداع، ويرسمون لوحاتهم الفنية ولا يشترونها جاهزة، وإذا اشتروها فإنهم لا يباهون بها؛ لأنهم في الأصل لم يرسموها.

القياديـــون لا يميلون إلى جانـــب «التنفيذ الحرفي» إلا بمقدار الضوابط والمحددات. لـــذا؛ فإن لغـــة التكـليف لهم لا بد أن تراعي آفاق تطلُّعهم دون بخس أو إسراف.

خامسـاً: تقديم تجاربنا لهم على أساس أنها صالحة لكل زمان ومكان:

لكل فرد منا شـــخصيته، ولكل بيئة ظروفها، ولكل زمان وسائله، ولكل دولة رجالها، ومهما يكن نجاحنا في تعاطينا مع بيئتنا وظروفنا وزماننا غير أن ما نحققه يظل تجربة إنسانية تقاس في إطارهـــا الزماني والبيئي والظرفي مهما نجحت، ولا يحق لنا أن نضع منها بديلاً عن تجارب الآخرين.

إن العدد الكبير من القصص القرآني بشـــأن الأنبياء لم تأتِ في القرآن حشـــواً، حاشا لله! بل جاءت لحِكم متعددة، منها: عرض التجارب الإنسانية المختلفة للرسل والأنبياء في تبليغ الدعوة؛ لكي يأخذ الرسول - عليه الصلاة والسلام - بالجـــوانب المضـــيئة منهـا والأنســـب لزمانه ومكانه وظرفه، بحيث يفرق بين جوانب الثبات والتغير في قضية الرســـالة، ولكي يعلم - وتعلم أمته من بعده - جوانب السعة في الدعوة والتغيير والإصلاح، بل ليعلـــم أن التغيير هو حصيلة جهود متتابعة وميراث تجارب أدت مهامها خلال عصرهـا، وأن دوره - كما هو دور الأنبياء من قبله - هو الإكمال في البناء ذاته، وإتمام سلســـلة الحلقات التي ابتدأها نوح - عليه الســـلام - وختمها الرسول الكريم محمد ﷺ.

إن القـــرآن لم يعرض على محمد ﷺ تجارب الأنبيـــاء فحســـب، بل تجـــارب أتـــباعهم الذيـــن ورثوا القيادة عنهم، فطالوت وذو القرنين شـــخصيتان في سياق تقديم التجارب الناجحة مهما كان مقام أصحابها أنقص من مقام النبوة.

ومن عجيب ما يلفت الانتباه أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - لم يغلق الباب على مصراعيه في مَجال الاجتهاد، والعمل على تطبيق شـــريعة الله في الأرض وسياسة الناس

بها على آلياته ووسائل عصره فقط، بل ترك للأمة أن تأخذ بسُــنَّة «الخلفاء الراشدين المهديين من بعده» دون أن يسمي أحــداً؛ لأنه لا حاجــة لذلك ما دام أنه بيَّن معالم الرشـــاد والهداية.

سادساً: التوجيه المباشر لهم في دقائق الأعمال وتفاصيلها:

من وســائل اغتيال القادة، توجيهُهم توجيهاً مباشراً في تفاصيل الأعمال، وقديماً قيل:

إذا كـنـتَ فـي حـاجـة مـرسِـلاً
فـأرسـلْ حكيماً «ولا تـوصِـهِ»

ذلــك أن تفاصيل الأمــور قابلة للتعــدد، ومتعددة في خياراتها وبدائلها، ومن إضاعة الوقت أن نتدخل في رســم جميع الخطوات التي ينبغي أن يقوم بها الجنود حتى يصلوا إلى أرض المعركة؛ لأننا بذلك نستهلك أوقاتنا ونهلك عقولهم ليَكِلُوا التفكير مطلقاً لنا، فنكون كمن يملك عشرات الأجهزة وفي يديه عشرات «الريموتات» ليتحكم بها عن بعد.

وقد توصل العلم الحديــث إلى قضية جوهرية وفاصلة بين الإنســان والإنســان الآلي؛ وهو أن الأول يسير بإرادته وتفكيره وخبرته، ويتخذ قراره وفق معطيات حواسه وخبرته، أما الآخر فمعلق بالآخر يسيِّره كيف يشاء، ومن كان مسلوب التفكير والإرادة كان مسلوب الحياة والفعل.

سابعاً: تخويفهم من المستقبل، وزرع الرهبة لديهم من التجديد:

إن من طبيعة القادة حبَّ الاستكشاف، والمغامرة، واقتحام الصعاب، والإتيان بالجديد، والتغيير، وكل هذه المسائل تدفع الآخرين للخوف، وتبث فــي ثناياهم الرهبة، وتحجزهم في المألوف من الأعمال والأدوار والأشخاص والأحوال.

وغالباً مــا يُعاق القادة بهواجس الخوف من المســتقبل والرهبــة مــن التجديد على خــلاف طبيعتهــم وقدراتهم وطموحهم.

ومن هنا كان دأب الأنبياء زرع الأمل، وحب الفأل والثقة في اللــه، ومحاربة اليأس والقنوط والملل. ونذكر هنا موقف يعقوب - عليه الســلام - وهو يحث أبنــاءه أن يبحثوا عن يوســف وأخــيه بعــد عقــود من الســنين، قال - تعالى -: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٤ - ٨٧].

وهذا العلم بالله الذي لا يعلمه إخوة يوســف هو اليقين والرجاء في الله، وهو الذي جلَّاه يعقوب بعد مجيء البشير بقوله: ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٩٦]، فقد روى الطبري في تفســيره عند الآية الأولــى، هذا الأثر: «حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد عن قتادة: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ...﴾ [يوسف: ٨٦] الآية، ذكر لنا أن نبي الله يعقوب لم ينزل به بلاءٌ قط إلا أتى حُسْــنُ ظنِّه بالله من ورائه». وعند ابن كثيــر في الآية: «أي: أرجو منه كل خير». أما القرطبي فقال في الآية: «أي: من جميل صنعه، وغريب لطفه، وعائدته على عباده».

هذه - والله - العقيدة الحيــة والدين القويم، والإيمان الــذي لا تزعزعه الحوادث ولا تقلبــه الصروف! وعلى مثل هذا يقوم عود القادة.

وموقف آخر لســيد الخلق وخاتم الرسل ﷺ في معركة حاسمة مع الكفر، يرى الرؤيا ويتأولها بذبح أصحابه (ورؤيا الأنبياء حق، ويشاورهم - كما هي عادته - فيذهب غالبيتهم إلى الخــروج من المدينة المنورة لقتال المشــركين، فيوافقهم ليزرع فــي قلوبهم أن العزيمــة مكلِّفــة، وأن للهمة العالية ضريبتها، وأن على المرء مواجهة المســتقبل طالما اجتهد في الأسباب. ولنترك القرآن يعرض الحادثة كما هي في حقيقة الواقع وحقيقة النفوس:

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦ - ١٥٠]... إلى قولــه - تعالى -: ﴿...إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[آل عمران: ١٦٠].

بهذه الروح يُجابَه المستقبل، ويُقتحَم الغيب، ويُغيَّر الواقع باتجاه الأفضل والأكمل.

ثامناً: استقلال نتائجهم ونكران جهودهم:

كان من هدي الرسـول - عليه الصلاة والسـلام - أن لا يستقلَّ عملَ عاملٍ من أصحابه. روى البخاري عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِـنِينَ، وَاللَّهِ مَا قَالَ لِي: «أُفٍّ» قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ: «لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا!»، هذا مع خادمه، عليه الصلاة والسلام.

أما مع قواد جيشه، فيحكي البخاري هذه الواقعة: «بَعَثَ النَّبِـيُّ ﷺ خَالِدَ بْـنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَـةَ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يُحْسِـنُوا أَنْ يَقُولُوا: «أَسْلَمْنَا» فَجَعَلُوا يَقُولُونَ «صَبَأْنَا صَبَأْنَا»، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِـرُ، وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِـيرَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ أَمَرَ خَالِدٌ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِـيرَهُ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ! لَا أَقْتُلُ أَسِيرِي وَلَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي أَسِـيرَهُ، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَـى النَّبِيِّ ﷺ فَذَكَرْنَاهُ، فَرَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ فَقَـالَ: «اللَّهُمَّ! إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ!» مَرَّتَيْنِ.

إن الخطـأ مردود، لكن ذلك لا يعنـي إنكار الإنجازات؛ فقد ظل خالد بن الوليد (سـيف الله المسلول) قائداً فاتحاً حتى عهد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه.

تروي أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أن مسكينة جاءتها «تَحْمِـلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِـدَةٍ مِنْهُمَـا تَمْرَةً، وَرَفَعَـتْ إِلَى فِيهَا تَمْـرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْـتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا؛ فَشَـقَّتْ التَّمْرَةَ الَّتِـي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا! فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا فَـذَكَـرْتُ الَّـذِي صَنَعَـتْ لِـرَسُـولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَـا الْجَنَّـةَ - أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنْ النَّارِ».

إن الإشـادة بالمنجزات مهما قلّت يدفع النفوس لإعطاء المزيد منها، ومن أعظم الناس تأثراً بالمدح والإطراء والتشجيع القادة الذين يشـكِّل العطاء محوراً مهماً فـي حياتهم؛ فـإذا ما وقع إنكار هذا العطاء.. توقف.

والجحود المطلق سبب لهدم الحياة وتعطيل لروابطها، وبه دخل معظم النساء النار، «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ؛ لَوْ أَحْسَـنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًـا؛ قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ».

تاسعاً: التخوف من مستقبلهم:

إن قيادات العمل الإسلامي في كافة تياراتهم حريصون على تأمين سـير الدعوة، وأن لا يقدَّم من ليس بأهل ليرأس فيها ويُتَّخذ مرجعاً، وهذا أمر لا نزاع عليه ولا جدال حوله، غيـر أن المغالاة في الحيطة والحذر قـد تدفع بعضهم إلى إفقاد المجتمع بروزَ قيادات جديدة تملأ السـاحة، وتسـد الثغرات، وتلبي الحاجات الاجتماعية.

إن من واجب العلماء (الذين هم شهداء الله في الأرض) أن يبذلوا وسـعهم في اختيار الأقويـاء الأمناء الحفظة، إلا أنهم - كالأنبياء - غير مسـؤولين عمَّا قد يطرأ على الناس من انحراف، فهذه ليسـت مسـؤوليتهم، ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ١٠٧].

قال ابن إسـحاق: (وقد كان رسـول الله ﷺ عهد إلى أمرائـه «ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم»، غيـر أنه أهدر دم نفر سمّاهم وإن وُجدوا تحت أسـتار الكعبة، وهم: عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان قد أسلم وكتب الوحي ثم ارتد، فلما دخل رسـول الله ﷺ مكة وقد أهـدر دمه؛ فرّ إلى عثمان - وكان أخاه من الرضاعة - فلما جاء به ليستأمن له؛ صمت عنه رسول الله ﷺ طويلاً، ثم قال: «نعم!». فلما انصرف مع عثمان، قال رسـول الله ﷺ لمن حولـه: «أما كان فيكم رجل رشـيد يقوم إلى هذا - حين رآني قد صَمَـتُّ - فيقتله؟!» فقالوا: يا رسـول الله، هلَّا أومأت إلينا! فقـال: «إن النـبي لا يقتل بالإشارة»، وفي رواية: «إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين».

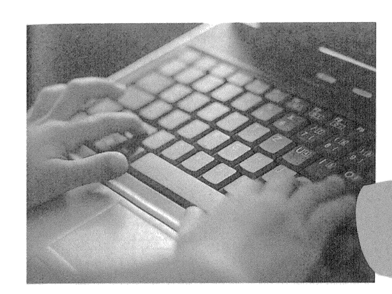
قال ابن هشام: وقد حسُن إسلامه بعد ذلك، وولّاه عمر بعض أعماله، ثم ولاه عثمان[1].

فهذا مثال على أن النبي - عليه الصلاة والسلام - أوكل مهمة من أخص المهام إلى من كان أهلاً لها ما دام أنه يمتلك المهارة والقدرة ولا يوجد وجه للطعن فيه، ولم يكلفه الله بما لا يطيق، ولم يكن من شـأن الوحي إبلاغه بشـأن مستقبل صحابته؛ لأن من شأن ذلك زرع القلق والريبة والظن بالناس، فتفوت معه المصالح، وتضيع معه سنة السير في الحياة.

وإذا كـان ذلـك شـأن الرسـول - عليه الصلاة والسلام - فإن من هو دونه أَوْلى بهذه القاعدة وهذا المنهج، غيـر مهملين لجانب الحيطـة والحذر، كما قـال عمر بن الخطاب: «لست بالخب، ولا الخبُّ يخدعني!» وغير متناسين مناسبة حديث: «إن الله لَينصرُ هذا الدين بالرجل الفاجر»، وأن الله قد تضمن نصرَ هـذا الدين وحفظ أتباعه.. والله المستعان.

(١) راجع: السيرة النبوية لابن كثير.





مشاهدة الأطفال للمواد الإباحية: ظاهـــرة هامشية أم مشكلة مجتمع؟

د. أحمد إبراهيم خضر

«إذا غاب تأثير الدين ظهر تأثيـــر العوامل الاجتماعية والنفسية». هذه القاعدة اعترف بها وأقرَّها الباحثون العرب حتـــى أولئك الذين ينتمون إلى أشـــد الاتجاهـــات الفكرية العَلْمانية تطرفاً. كما أكدتها الدراسات الغربية التي تعرضت لدراسة الظواهر الاجتماعية والمشكلات النفسية.

ولبيان ذلك سنتعرض لمثال واحد يتناول ظاهرة اجتماعية امتدَّ تأثيرها إلى الأســـرة المســـلمة وأطفالها بفعل انتشار القنوات الفضائية وشبكة الإنترنت، والظاهرة هي «مشاهدة الأطفال للمواد الإباحية».

«المادة الإباحية» كما يرى الكُتَّاب الغربيون هي «مصطلح يعرَّف عـــادة بـ (البورنو) أو (البورنوجرافي)، وهو في أصله كلمة مشـــتقة من كلمة يونانية تعني: الكتابـــة إلى البغايا». وبالرغـــم من عدم وجود تعريف حديـــث مقبول لها، إلا أن القاســـم المشترك في كل التعريفات هو أن هذه المادة تحتوي على جنـــس فاضح ينتهـــك القيم الأخلاقيـــة للناس. لكن التعريف الأقرب إلـــى ثقافتنا هو أن المادة الإباحية هي «كل مادة تحتوي علـــى جنس فاضح أو ضمني، بدءاً من الصورة العادية الكاشـــفة للعورة، وانتهاءً بالفيلم الذي يصور العلاقة الجنســـية الكاملة بين أطراف متماثلـــة أو متغايرة، أطفالاً كانوا أو كباراً، وتهدف أساســـاً إلى إثارة الشـــهوة الجنسية عند القارئ أو المســـتمع أو المشاهد، أياً كانت الوسيلة التي تُعرَض بها».

في الولايات المتحدة رأس الســـيناتور (ســـام براونباك) عضو الكونجـــرس الأمريكي في ١٠ نوفمبر ٢٠٠٥م اجتماع اللجنـــة الفرعية للدســـتور لمناقشـــة قضية تأثيـــر المواد الإباحية على الزواج والأســـرة والأطفـــال؛ قال (براونباك): إن معظم الأمريكيين يعلمون تماماً أن المواد الإباحية شـــيء ســـيِّئ، ولكنهم لا يقدِّرون حجم الأذى الذي تتسبب فيه لمن يستخدمها وللأســـر بصفة عامة، وبينما يعلو الحديث عنها على أنها تدخل تحت مظلة حرية التعبير، يخفت عن آثارها المدمرة على الأســـرة والطفل . وأشار «السيناتور الأمريكي» إلـــى أن ثلثي المحامين مـــن أعضاء الأكاديميـــة الأمريكية الخاصة بمحاكم الأســـرة قد كشـــفوا فـــي اجتماعاتهم أن انغماس عملائهم المتزايد فـــي الإنترنت الإباحي لعب دوراً كبيراً في قضايا الطلاق التي يباشرونها.

وفي كندا أشـــار التقرير الصادر عن المؤسســـة الكندية للتربية والأسرة في عام ٢٠٠٤م إلى أن العديد من الدراسات أثبتت أن هنـــاك ارتباطاً قوياً بين تعـــرُّض الأطفال للمواد الإباحية والسلوك الجنسي المنحرف، وأن هناك حاجة ماسة إلى قوانين وتشـــريعات لحماية الأطفال من التعرض للمواد الإباحية؛ ســـواء عبر المصادر التقليدية؛ كالتلفاز والمجلات،



أو عبر التحدي الحديث الـذي يواجهونه والمفروض عليهم من الإنترنت.

وفي ألمانيا أوضحت واحدة من الدراسات أن معدلات الجرائم الجنسية قد انخفضت بعد صدور تشريع يقنّن مسألة «المادة الإباحية».

وفي اليابان طالبت بعض الأحزاب بإصدار تشريع يحمي الأطفال من التعرض للمواد الإباحية خاصة بعد أن أصبحت هذه القضية محطَّ اهتمام اجتماعي عريض. وكشفت «الهيئة اليابانية لتعليم الجنس» أن في اليابان وحدها ١٢٠٠ موقع أطفال إباحي، وليست هناك من قوانين تواجه هذا الطوفان المدمِّر لبراءة الطفل.

وتُعَدّ (دونا رايس هوجز) واحدة من أبرز المهتمين بشؤون حماية الطفل من خطر مشاهدة المواد الإباحية. كتبت (هوجز) تفصيلاً عن آثار هذه المشاهدة في دراستها التي نشرها موقع «حماية الطفل». تقول (هوجز):

أولاً: مشاهدة الأطفال للمواد الإباحية تجعلهم فريسة للعنف الجنسي:

أثبتت الدراسات أن الإنترنت أداة على درجة عالية من النفع لهؤلاء المولعين بحب الأطفال وذئاب الجنس، فهذه الفئة من الناس هي التي تقوم بتوزيع المواد الإباحية التي تعرِّض الأطفال للجنس، وتدخل في محادثات جنسية صريحة مع الأطفال، وتبحث عن ضحاياها في غرف الشات، وكلما زاد تعامل هؤلاء مع المواد الإباحية ارتفعت مخاطر ممارستهم لما يشاهدونه؛ سواء أكانت هذه الممارسة في صورة اعتداء أم اغتصاب جنسي أم تحرش بالأطفال.

وبيَّنت دراسات أخرى أن التعرُّض المبكر – في سن الرابعة عشرة تقريباً – للمواد الإباحية له علاقة بالدخول إلى عالم الممارسات الجنسية المنحرفة وخاصة الاغتصاب. وأوضحت هذه الدراسات أن أكثر من ثلث المتحرشين بالأطفال ومغتصبيهم كانوا قد تعرضوا للتحريض بارتكاب اعتداء ما بعد مشاهدتهم للمواد الإباحية، وأن ٥٣٪ من الذين تم تحريضهم على التحرش استخدموا عمداً المواد الإباحية لإثارتهم ونفّذوها كما رأوها. وأوضح الخبراء أن التعود على مشاهدة المواد الإباحية يمكن أن يؤدي إلى التقليل من حدة الإشباع الذي تحققه المواد الإباحية المعتادة ويدفع بقوة إلى الرغبة في التعامل مع مواد أكثر عنفاً وأكثر انحرافاً.

كما بيَّنت دراسات أخرى أجريت على المتحرشين جنسياً بالأطفال أن المواد الإباحية تعمل على تيسير التحرش بطرائق مختلفة، فعلى سبيل المثال: وجد أن هؤلاء الذين يستخدمون الصور الفوتوغرافية الإباحية يستخدمونها كذلك لشرح ما يريدونه من ضحاياهم، فهم يستخدمونها لإثارة الطفل أو للتقليل من حدة ممانعته ورفضه لما يرغبونه، كما يرون فيها وسيلة لإقناع الأطفال بأن فعلاً جنسياً معيناً لا غبار عليه؛ كأن يقولون له: «هذا الشخص يستمتع به، وأنت أيضاً ستستمتع به كذلك».

ثانياً: مشاهدة المواد الإباحية تؤدي إلى الإصابة بالأمراض الجنسية والحمل غير الشرعي والإدمان الجنسي:

يتعرض الأطفال لمشاهدة مواد إباحية على درجات مختلفة من الخطر تبدُأ بالصور الكاشفة للعورة وتنتهي إلى أفعال جنسية فاضحة بشدة، وهنا يستقبل الأطفال رسالة شديدة الخطورة من تجار الجنس مؤداها: «إن الجنس بلا مسؤولية مترتبة عليه شيء مقبول ومرغوب فيه. وبما أن المواد الإباحية تشجع على التعبير الجنسي بدون مسؤولية فإنها تعرِّض صحة الأطفال للخطر. ولعل أحد الآثار الضارة للنشاط الجنسي بين الأطفال الذين على وشك البلوغ هو زيادة فرص إصابتهم بالأمراض التناسلية المعدية. وقد أوضحت الإحصائيات أن هناك ثلاثة ملايين مراهق أمريكي من النشطين جنسياً يصابون كل عام بهذه الأمراض. وقد تضاعفت الإصابة بمرض (السفلس) منذ منتصف الثمانينيات الميلادية من القرن الماضي في الولايات المتحدة. (وهو مرض جنسي غالباً ما ينتقل بالعدوى بين الشركاء المصابين، ويمكن أن يتطور إلى مرض خطير إذا لم يعالج في الوقت المناسب، حيث يؤدي إلى الإصابة بمشاكل صحية تؤثر على الجهاز المناعي للمُصاب وتؤدي في النهاية إلى الإصابة بمرض نقص المناعة المكتسبة: الإيدز).

وتتزايد كذلك معدلات الحمل بين المراهقات المنغمسات في الأنشطة الجنسية. وتوضح البحوث أن الذكور الذين يتعرضون للمواد المثيرة جنسياً قبل سن الرابعة عشرة هم أكثر نشاطاً من الناحية الجنسية ويدخلون في سلوكيات جنسية مختلفة بوصفهم بالغين عن الذكور الذين لا يتعرضون لهذه المواد المثيرة. وبيَّنت إحدى هذه الدراسات أن من بين ٩٣٢ مدمناً على الجنس هناك ٩٠٪ من الرجال و٧٧٪ من النساء أكدوا أن مشاهدة المواد الإباحية أحد الأسباب القوية



لإدمانهم.

ثالثا: مشاهدة المواد الإباحية يدفع الأطفال إلى سلوكيات جنسية منحرفة ضد الأطفال الآخرين:

غالباً ما يقلّد الأطفال ما يرونه أو يسمعونه أو يقرؤونه. وتبيّن الدراسات أن مشاهدة المواد الإباحية يمكن أن تدفع الأطفال إلى سلوكيات جنسية منحرفة ضد الأطفال السذج والذين هم أصغر منهم سناً. يقول الخبراء في ميدان الإساءة الجنسية ضد الأطفال: إن أي نشاط جنسي في مرحلة قبل النضوج يؤدي بالأطفال غالباً إلى احتمالين هما: اكتساب الخبرة، والتعرض لمثل هذا النشاط، وهذا يعني أن الطفل المنحرف جنسياً ربما يكون قد تعرَّض للتحرش الجنسي أو تعرَّض لمشاهدة الجنس عبر المواد الإباحية.

وفي دراسة أخرى أجريت على ستمائة طالب وطالبة من المستجدين في المدارس الثانوية الأمريكية تبيَّن أن ٩١٪ من الذكور و٨١٪ من الإناث شاهدوا مواداً إباحية شديدة الانحراف، وأن ما يزيد عن ٦٦٪ من الذكور و٤٠٪ من الإناث ينتظرون محاولة ممارسة السلوك الجنسي الذي شاهدوه، وأن ٣١٪ من الذكور و١٨٪ من الإناث اعترفوا بأنهم مارسوا فعلاً بعض ما شاهدوه في المواد الإباحية خلال أيام قليلة من هذه المشاهدة.

رابعا: مشاهدة المواد الإباحية تعمل على تشكيل اتجاهات وقيم الأطفال:

إن معظم الآباء المتمسكين بالقيم العالية الخاصة بالحب والجنس والزواج يحرصون على نقل هذه القيم إلى أبنائهم، لكن المؤسف أن رسائل المواد الإباحية تربي أطفالهم على قضايا حياتية مختلفة؛ فالإعلانات التجارية التي تروِّج لمنتج على حساب منتج آخر تكون الإباحية عاملاً هاماً فيها مما يعمل على تشكيل قيم الأطفال واتجاهاتهم ومن ثَمَّ سلوكياتهم.

إن الصور الفوتوغرافية والفيديو والمجلات والألعاب الخيالية والمواد الإباحية على الإنترنت التي تصور الاغتصاب وتعمل على تجريد المرأة من إنسانيتها في مناظر جنسية؛ تشكل أداة قوية تعمل على إحداث تغييرات مدمرة في اتجاهات الأطفال. وأكدت الدراسات المتعددة أن التعرض المكثف نسبياً للأشكال المختلفة من المواد الإباحية له تأثير مأساوي على النظرة إلى المرأة والعلاقات الجنسية بصفة عامة. وقد توصلت هذه الدراسات إلى نتيجة هامة هي: أن الأطفال الذكور حينما يتعرضون لمدة ٦ أسابيع على الأقل لمواد إباحية فاضحة تنمو لديهم الصفات التالية:

١ - سلوكيات جنسية شديدة القسوة بالنسبة للمرأة، وإدراكات مشوهة عن النشاط الجنسي.

٢ - لا ينظرون إلى الاغتصاب على أنه اعتداء إجرامي، بل لا يعدّونه جريمة بالكلية.

٣ - الشهية نحو سلوك جنسي أكثر انحرافاً وأكثر شذوذاً وأكثر عنفاً كما يرونه في المواد الإباحية، ولا يصبح الجنس العادي ذا قيمة عندهم.

٤ - يفقدون الثقة في الزواج بوصفه مؤسسة حيوية ودائمة. كما ينظرون إلى العلاقات مع نساء غير زوجاتهم بوصفها أمراً عادياً وطبيعياً.

ويرى الخبراء أن دماغ الطفل في مرحلة هامة من مراحل نموه يكون أشبه بالقرص اللاسلكي الصلب الذي يمكن برمجته وَفْقاً لتوجيهات جنسية معينة. فإذا تمت هذه البرمجة على أساس معايير واتجاهات جنسية صحيحة؛ فإنها تكون الأساس لما يحتمل أن ينجذب إليه ويثار به الطفل مستقبلاً، بمعنى: أنه تنمو لديه اتجاهات ومعايير جنسية صحيحة، وعلى النقيض من ذلك فإنه إذا تعرَّض للمواد الإباحية فقد ينطبع الانحراف الجنسي على هذا القرص الصلب ويصبح جزءاً دائماً في توجهه الجنسي. ويرى الباحثون الغربيون «أن ذكريات الطفولة والخبرة العاطفية بما فيها خبرة الإثارة الجنسية تنطبع في الدماغ بواسطة هرمون الأدرينالين، ويكون من الصعب إزالتها بعد ذلك؛ فإذا كان الشاب قد تعود على إشباع رغبته الجنسية بممارسة العادة السرية، أو مشاهدة الصور والأفلام الإباحية تصبح هذه الممارسة لاحقاً هي أداة إشباعه الجنسي حتى لو تزوج، وهذا ربما يفسر بعض أسباب الإدمان الجنسي.

وبمعنى آخر: إن الهوية الجنسية تنمو بالتدريج خلال مراحل الطفولة والمراهقة. ولا يكون للطفل عادة أي مقدرة جنسية طبيعية حتى السن ما بين العاشرة والثانية عشرة، وبمجرد أن يكبر يتعرض لتأثيرات تلعب دوراً هاماً في نموه، فإذا تلقى معلومات صحيحة عن الجنس من أبويه ومعلميه تنطبع هذه المعلومات في ذاكرته وينمو نمواً صحيحاً، أما إذا دخل دائرة التعرض للمواد الإباحية في سن مبكرة فسيتكوّن



لديه إحســـاس مبكر ودراية مبكرة عـــن الجنس، فتتعرض شـــخصيته وكذلك فكرته عن الذات والجســـد والنشـــاط الجنســـي لعملية تشـــويه مما يزيد مـــن احتمالات تعرضه للخطر.

انتهت دراســـات الغرب إلى أن سَـــنَّ التشريعات وبيان مخاطر تعرُّض الأطفال لمشـــاهدة المـــواد الإباحية هو أكثر الوســـائل فاعلية للحدِّ من آثار هـــذه الظاهرة؛ لأن «حرية التعبير» هي القاعدة المقررة في الديموقراطية الغربية، وهو نفس ما يواجه به الغرب علاجه لمشـــكلة «الإيدز»، فهو يقوم ببحوث علمية مضنية لمقاومة «الإيدز» دون المســـاس بمبدأ حرية ممارسة اللواط وحتى الزواج بين رجل وآخر.

ويختلف ذلك تماماً عن موقف الإسلام من هذه الظاهرة وغيرها من الظواهر؛ فالإســـلام - كما يقـــول العلمـــاء -: «لا يعترف بهدف ولا عمل لا يقوم على أساس العقيدة مهما بدا في ذاته صالحاً. ويرى أن أمر ســـعادة وشـــقاء البشرية - التي هي من صنع الله - وعـــلاج أمراضها وشـــفاء عللها؛ لا يتـــم إلا بمفاتيح من صنع الله نفســـه. والله - ســـبحانه وتعالى - جعل في منهجه وحده هـــذه المفاتيح، وجعل فيها شفاء لكل داء».

وخلاصة ما أفتى به علماء الإسلام في مسألة مشاهدة المواد الإباحية هـــو قولهم: «تحريم النظر إلى العورات وإلى النســـاء المتبرجات أمر معلوم بالضرورة من دين الإســـلام، ومشاهدة هذه المواد الإباحية داخل في هذا البـــاب، وأنـــه لا شك في حرمته، حتى لو كان المقصود هو الإثارة والتشويق قبل ممارســـة الجماع بـــين الرجل وزوجتـــه» (فتاوى موقع الإسلام اليوم). ويقول الشيخ محمد صالح المنجد: «مشاهدة المواد الإباحية محرَّمة ســـواء كان الشخص متزوجاً أو غير متزوج، وعلى فاعلها التوبة إلى الله».

المشـــكلة هنا هي أن هذه الفتاوى لا حرمة لها عند من لا حرمـــة عندهـــم للحق والعقيـــدة، ولا وزن لها لمن فرغت قلوبهم منها، فنفوسهم فارغة هاوية، وحين تفرغ النفوس من العقيـــدة القويمة والقيم الرفيعة والـمُثُل العالية فإنها - كما يقول المفكرون الإســـلاميون - لا ترى إلا مصالحها القريبة وقيمها الدنيا.

ولعل هذه المســـألة هي التي دفعت الباحثين الإسلاميين في شؤون الأخلاق إلى القول: إن «الدعوة إلى الأخلاق يجب ألا تحتل المرتبة الأولى فـــي إصلاح المجتمع أو إعادة بنائه، إنما يجب أن تكـــون الدعوة إلى العقيـــدة هي الأصل؛ لأن الأخلاق نتاج لأوامر الله، وهي تأتي من الدعوة إلى العقيدة وإلى تطبيق الإسلام بصفة عامة».

المشـــكلة إذن ليســـت ظاهرة أطفال أفسدتهم مشاهدة المواد الإباحية، وعلينـــا حمايتهم من الآثار الناتجة عن هذه المشـــاهدة، بالدعوة إلى الأخلاق القويمـــة وغير ذلك. إنها - كما يقول المفكرون الإســـلاميون - مشكلة انطلاق بهيمي يســـتحيل ضبطـــه وتطهير المجتمع منه إلا بعقيدة تمســـك الزمام، وســـلطان يُســـتَمَد من هذه العقيدة، وسلطة تأخذ هؤلاء الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في المجتمع بالتأديب والعقوبة، وتردُّ الكبـــار والصغار وترفعهم من درك البهيمية إلى مقام الإنسان الكريم على الله.

إن هـــذه الظاهرة وغيرها من مئـــات الظواهر الأخرى هي مشكلة عالَم قد فسد ففسدت مجتمعاتنا تبعاً له؛ لأنها اتبعت سنن هذا العالم شبراً بشـــبر وذراعاً بذراع، فدخلت جحر الضب الذي دخله هـــذا العالم. كما أن هذه الظاهرة وغيرهـــا لا تمثل إلا جزئيـــة هزيلة أو منكـــراً جزئياً على هامش الحقيقة الإسلامية، وتفريغ الجهد لحلِّها أو التحمُّس لاســـتنكارها لن يجدي نفعاً؛ لأن المجتمع كلـــه قـــد فســـد، فـــلا جدوى إذن من الإصلاحات الجزئيـــة، ولهذا ينبغي أن تبدأ المحاولة من الأســـاس، وتنبت مـــن الجذور، وأن يتركز الجهد أصلاً علـــى إقامة مجتمع صالح يقوم على دين الله، بدلاً من التركيز على إصلاحات جزئية.

ينبغي إذن - كمـــا قال العلماء - إعـــادة إدخال الناس في الدين أولاً، ثم تقرير ســـلطة هذا الديـــن في المجتمع؛ فالناس لا يستجيبون لعقيدة ضائعة لأنها لا سلطة تحميها، وحين تستقر هذه السلطة يصبح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شـــيئاً يرتكز إلى أساس، أي: أنه لا جدوى من ضياع الجهـــد في مقاومة المنكرات الجزئيـــة والمنكر الأصلي باقٍ، وهو منكر الجرأة على الله، وانتهاك محارمه، وتطبيق شريعة غير شـــريعته. ويمكن القول بمعنـــى آخر: إن الحق لا يحق، ولا يوجد في واقع النـــاس، وإن الباطل لا يبطل، ولا يذهب مـــن دنيا الناس؛ إلا بأن يكون للعقيدة ســـلطان داخلي يملأ قلوب الناس أولاً، وسلطان خارجي قادر على الإمساك بزمام الأمور ودحر الباطل ثانياً.





بين التطوع والفريضة

د. محمد بن عبد الله الدويش
dweesh@dweesh.com

جاءت الشـــريعة الإســـلامية بما يُصلح حال الناس في دينهم ودنياهم، والإسلام هو المنهج الوحيد الذي يتوافق مع طبيعة النفس ويصلحها.

ولقد جاءت الشريعة الإسلامية بفرائض لا يسوغ لمسلم تركها دون عذر، وبمحرمات لا يجوز فعلها دون سبب مبيح، كما جاءت بمندوبات وســـنن ومكروهـــات. وتتفاوت مراتب الواجب والمندوب، كما يتفاوت قُبْح المنهيات والمحرمات.

ويعتني كثير من المربين اليوم بالنوافل والســـنن؛ لما يرون من أثرها في إصلاح النفـــس وتحقيق التقوى، وتقوية صلة المتربي بربه، عز وجل.

ومع أهمية ذلك؛ فإن المنهج التربوي لا بد أن يتوافق مع الشـــريعة؛ إذ وظيفة التربية ربطُ الناس بالشريعة، والتربية - كغيرها من الوظائف الشـــرعية - ينبغي أن تكون محاطةً بسياج الشريعة منضبطةً بضوابطها.

إضافـــة إلى أن المربي إنما يســـتهدف إصلاح النفوس، وصلاح النفوس لا يمكن أن يتحقق إلا بالمنهج الشرعي، وأي منهج يخالف الشريعة في مقاصدها أو أحكامها أو أولوياتها؛ فهو بعيد عن إصلاح النفس بقدر بعده عن الشريعة.

ومن هنا؛ فإنه ينبغي أن يراعى فيما يتصل بتربية الناس على النوافل ما يلي:

• لا بد من الاعتناء بالنوافل، والحرص عليها، وحث الناس عليها، وبيان منزلتها، وأن يكون المربي قدوة لغيره في الاعتناء بها والالتزام بها، وهذا الأمر لا يحتاج إلى مزيد تأكيد.

• العنايـــة بالفرائض والتأكيد عليها؛ فهي أحب إلى الله تعالى، وما تقرَّب عبد لربه بأحب إليه - ســـبحانه - منها. ولأنها قد فرضت على الناس كلهم؛ فهذا يعني ما يلي:

- أنهم جميعاً يطيقون فعلَها والمحافظة عليها.

- أنها ضرورية لإصـــلاح النفس وتزكيتها، وأي تقصير فيها يترك أثره على تزكية النفس.

- أن أثرهـــا فـــي تزكية النفـــس أبلغ من أثـــر النوافل والسنن.

• أن يُتعامل مع النوافـــل باعتدال؛ فلا يجفو المرء عنها ويهملها، أو يقلل من شأنها، وفي المقابل ألاَّ يغلو المربي فيها ويتجاوز القدر الشرعي.

ومن مظاهر الغلو في التعامل مع النوافل ما يلي:

- التركيـــز عليها عنـــد الحديث عن إصـــلاح النفس وتزكيتها، على حساب الفرائض والواجبات.

- المبالغة في الأمـــر بها، أو إلزام المتربين بفعلها؛ وهذا خلاف الشريعة التي جعلت الأمر فيها اختياراً، كما أن قيمة النوافل تتمثل فـــي كونها تطوعاً يؤديه صاحبه وهو يرى أنه مخيَّر في فعله أو تركه.

- عدّها علامة على الاستقامة والتدين؛ فكثيراً ما نسمع من يشكك في صدق الاستقامة أو جديتها؛ مستدلاً بإهمال النوافل من صلاة تطوع وصيام وصدقة... إلخ.

إن الاعتدال والتوازن، والنظرة الكلية لمقاصد الشـــريعة والفقه فيها؛ مما يجنب المربي الوقوع في آفتي الغلو والجفاء، ويعينه على بناء جيل صالح متوازن بإذن الله، تعالى.





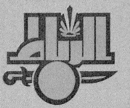
- كيف ومتى نشأة أفراخ الإفرنج .
- مخططاتهم وحقائق تكشفهم .
- أفراخ الإفرنج والحصاد المر .
- كيف نواجه هؤلاء الأفراخ .
- مشاريعهم الكبرى .
- الثالوث الخطير .
- قواعد ومتطلبات .
- رموز ومصطلحات .

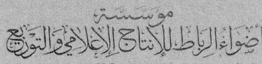
للتوزيع الخيري ٠٥٥٦٤٩٨٩٠٠

القومية
العلمانية
الليبرالية
الحداثة
الديمقراطية

هم العدو فاحذرهم !

بدر بن نادر المشاري





الرياض ص ب ٥٢٨٢٤ الرمز البريدي ١١٥٧٢ تليفاكس ٤٢٥٩٥٠٢ ـ ٢٦٦٠٥٤٣
موزع الرياض ٠٥٠٣٤٣٤٧٧٠ موزع الغربية ٠٥٠٤١٩٦٨٤٥
موزع الشمالية ٠٥٠٤٤٤١٦٠٢ موزع الجنوبية ٠٥٠٣٧٤٧٩١٧
موزع دولة الإمارات مؤسسة المروج للإنتاج الفني تليفاكس ٥١١٤٥٥٥





السلفيون هم العقلانيون!

أ. د. جعفر شيخ إدريس
jsidris@gmail.com

قال صاحب العالِم السلفي له وهو يحاوره: إنكم - معشرَ السلفيين - متهمون بأنكم ليسوا بعقلانيين!

قال العالم السلفي: إذا كان المقصود بالعقلانية قبول مقتضيات العقل، بأن تقبل النتائج التي تؤدي إليها الحجة العقلية الصحيحة، وبأن لا يقبل التناقض وألا تُقبَل دعوى إلا بدليل، وإذا كان المقصود به إعمال العقل والتفكر؛ فنحن أجدر من غيرنا بوصف العقلانية.

قال صاحبه: كيف تكونون أكثر عقلانية من غيركم وفيهم من يقدم العقل على النص؟ أليس مثل هذا أجدرَ بوصف العقلانية منكم؟

قال العالم: بل هذا من قلة عقلهم!

قال صاحبه: كيف؟

قال العالم: أليسوا مسلمين دلّتهم عقولُهم على أن محمداً رسول الله ﷺ، وأن الكتاب الذي جاء به هو كلام الله؟

قال صاحبه: بلى!

قال العالم: فقد علموا - إذن - أن ما قاله الله في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ هو الحق الذي لا ريب فيه؟

قال صاحبه: أَجَلْ!

قال العالم: فما معنى أن تجعل العقلَ فوق كلام تعلم أنه الحق؟

قال صاحبه: فماذا تقولون أنتم معاشر السلفيين؟

قال العالم: نقول ما قال كثير من أئمتنا: إن ما دل عليه العقل الصريح لا بد أن يكون موافقاً لما جاء به النقل الصحيح، فإذا حدث خلاف بينهما في أمر معين؛ فلا بد أن يكون راجعاً إما إلى: خطأ في نقل النص، أو في فهمه، أو في أن ما نُسِبَ إلى العقل ليس في الحقيقة بعقل صريح.

قال له صاحبه: إن هؤلاء المسمين بالعقلانيين يقولون: إنكم لا يمكن أن تكونوا عقلانيين، وأنتم تبنون دينكم على التبعية لأناس لا مزية لهم إلا أنهم سلف عاشوا في الماضي؟

قال العالم السلفي: نحن أولاً لا نأخذ ديننا من الرجال سواء كانوا في الماضي أو في الحاضر. إن مصدر الدين عندنا هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لا نقدم عليهما غيرهما، كما أمرنا الله - تعالى - بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١].

قال صاحبه: فما صلتكم بأولئك السلف إذن؟

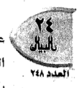
قال العالم السلفي: دعنا أولاً نحدد ماذا نعني بالسلف. السلف عندنا هم أصحاب رسول الله ﷺ، ثم التابعون لهم، ثم تابعو أولئك التابعين. وصِلَتُنا بهم هي الاقتداء بهم في فهم الدين وتطبيقه لأسباب إذا تدبّرها الإنسان وجدها في غاية العقلانية.

قال صاحبه: ما هذه الأسباب؟

قال العالم: منها أولاً: أن الله - تعالى - قد أثنى على أصحاب رسول الله ﷺ ثناء يدل على فقههم للدين وإخلاصهم في العمل به، من ذلك قوله - تعالى -: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ١٨ - ١٩]

﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ [الحجرات: ٧].

وثانياً: أن الرسول ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».



والخيرية تتضمن الفقه في الدين وحسن العمل به، كما قال ﷺ: «من يُرِدِ اللهُ به خيراً يفقّهْهُ في الدين».

وثالثاً: أن هذه الأجيال الثلاثة هي الأجيال التي نزل القرآن بلغتها وتكلم الرسول ﷺ بلسانها؛ فهي أجدر بأن تفقه كلام الله وكلام رسوله ﷺ من غيرها؛ ولأن الصحابة منهم عاصروا نزول الوحي، وشهدوا المناسبات التي تكلم فيها الرسول ﷺ، فتعلموا منه مباشرة كما تعلم بعضهم من بعض.

ورابعاً: أن الله - تعالى - أمرنا بأن نقتدي بكل من شهد له بأنه على الحق، كما قال - تعالى -: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

قال صاحبه: لكن هذا معناه أنكم تجمدون على فهم قديم للدين ولا تسمحون بفهم جديد له ولا اجتهاد فيه؟

قال العالم: أولاً: إنه لا يضير الفهم الصحيح أن يكون قديماً أو جديداً؛ فنحن ما نزال نحاول فهم الشعر الجاهلي كما فهمه من سبقنا، ولا يزال الغربيون يحاولون فهم فلسفات اليونان كما فُهمت في عصرها.

وثانياً: إن مما نتلقاه من السلف هو ما يمكن أن تسميه بالإدراك الأساس لمعاني النصوص، وهو إدراك ضروري لكل تفكّر في النصوص واجتهاد فيها.

قال صاحبه: ما ذا تعني؟

قال العالم: أعني أنك إذا لم تدرك المعنى الأساس للكلام؛ فكيف تتأمله أو تفكر فيه؟

قال صاحبه: إذن؛ فأنتم تُعمِلون العقل حتى في النصوص؟

قال العالم: أجل! لأن ربنا يأمرنا بأن نتدبر كتابه؛ وهل يكون تدبر إلا بإعمال العقل؟

قال صاحبه: ما الفرق إذن بينكم وبين من يسمَّوْن بالعقلانيين؟

قال العالم: نحن لا نسلِّم بأنهم هم العقلانيون، بل نرى في منهجهم تناقضاً يتنافى مع العقلانية كما ذكرت لك من قبل.

قال صاحبه: فما مجال العقل في الشرع في رأيكم؟

قال العالم: يعمل العقل في مجالات كثيرة بيّنها القرآن الكريم، فمنها إدراك المعنى الأساس، وهو إدراك عقلي يستوي فيه المؤمن والكافر الذي يتكلم اللغة التي نزل بها كتاب الله وتحدث بها رسول الله ﷺ. قال - تعالى -: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

إن الإنسان لا يؤمن بكلام أو ينكره، ولا يرويه على حقيقته أو يحرفه؛ إلا بعد أن يعقله.

قال صاحبه: شيء آخر مهم يتهمونكم به ويعدونه أمراً مخالفاً للعقل؛ يقولون: إنه على الرغم من أنكم تقرؤون قول الله - تعالى -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، إلا أنكم في الواقع تشبِّهون الله - تعالى - بمخلوقاته حين تصفونه باستواء حقيقي، ونزول حقيقي، أو تقولون: إن له عيناً حقيقية؟

قال العالم: فماذا يقولون هم؟ أيقولون إن الله - تعالى - يصف نفسه بأوصاف غير حقيقية؟

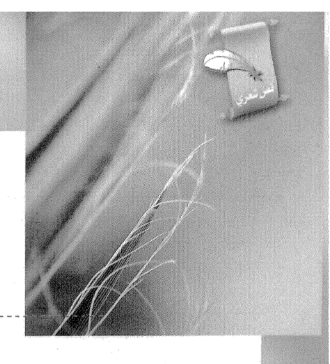
قال صاحبه: يقولون: إن هذه الصفات لا يتصف بها على حقيقتها إلا المخلوقات، ولذلك فلا بد من تأويلها حين يوصف بها الله، تعالى.

قال العالم: هذا أيضاً من قلة عقلهم وضيق عطنهم، وإلا فأين وجدت في العقل ما يدل على أن الصفات الحقيقية هي صفات المخلوقات؟ بل إن الذي يدل عليه العقل وتدل عليه المشاهدة؛ هو أن للصفات معاني تأخذ كيفيات مختلفة بحسب الموصوف بها؛ فالعين - مثلاً - لها معنى واحد، لكن عين الإنسان غير عين الحمامة، وعين الحمامة غير عين الجمل، وهكذا. فإذا صح هذا في المخلوقات التي بينها شبه، فلماذا لا يصح بالنسبة لله الذي ليس كمثله شيء؟

إننا نعرف معاني صفات مثل: العين، والاستواء، والنزول، والرحمة؛ لكننا لا نعرف الكيفيات التي يتخذها حين يتصف بها الخالق، سبحانه. وهذا هو معنى قول الإمام مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول.

ثم إنك إذا جعلتها قاعدة لك مطّردة؛ أن لا تصف الله - تعالى - بصفة يتصف بعض مخلوقاته بمعنى من معانيها؛ انتهى بك الأمر إلى إنكار وجود الخالق؛ لأنك لن تستطيع حينئذ أن تصفه - سبحانه - حتى بأنه موجود ما دمت تصف مخلوقاته بهذه الصفة، ولن ينفعك أن تقول (إنك تلجأ إلى التأويل) لأنك حين تؤول لا بد لك من استعمال صفة الصفات، كل ما هنالك أنك تستبدل بالصفة التي جاءت في كتاب الله صفة أخرى؛ فهل تؤوّل هذه ثم تؤوّل التي أوّلت بها.. وهكذا إلى ما لا نهاية؟





دُلّونِي عَلَى قَبْرِهَا (*)

خالد الخليوي

أبشرْ أُخَيَّ سيظهر الإسلامُ   ولسوف تُمحى ذِلّةٌ وظلامُ

ولسوف تعلو رايةٌ ومبادئٌ   يعلو بها بين الأنامِ كرامُ

يعلو بها مَن للإله تجرّدت   منهم قلوب صاغها الإسلامُ

ليست قلوباً مِلؤُها الدنيا التي   جعلت فئاماً فوقها الأنعامُ

لن ينصر الإسلامَ إلاّ زمرةٌ   صدقت فعالٌ منهمُ وكلامُ

لن ينصر الإسلامَ إلاّ زمرةٌ   كانت لهم فوق السماء مرامُ

ومتى دُعوا للحقّ دوماً أسرعوا   قد كان ديدنُهم هو الإقدامُ

هم يطلبون رضى الإلهِ وحبَّهُ   حتى وإن قطع الرقاب حسامُ

فالفرد منهم في الإله يسير في   درب الكراهة وجهه بسَّامُ

لن ينصر الإسلامَ حفلةُ مطربٍ   كانت تخدِّر أهلها الأنغامُ

فليبتعد عنّا الكذوبُ بطبعِه   وكذا أخوه المفتري النمَّامُ

وليبتعد عنّا المخذّل دائماً   تلك النفوس أصابها استسلامُ

يا أيها المرءُ المحقِّر نفسَه   بالقول: إني مُعْدَمٌ وغلامُ

(*) أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن امرأة سوداء كانت تقمُّ المسجد، ففقدها رسول الله ﷺ فسأل عنها، فقالوا: ماتت. فقال: «أفلا كنتم آذنتموني»؟ قال: فكأنّهم صغّروا أمرها، فقال: «دُلّوني على قبرها» فدلّوه، فصلّى عليها ثم قال: «إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله – عز وجل – ينوّرها لهم بصلاتي عليهم».

ويقول: إني بالقعود لَمُغرمٌ ... قد كبَّلتني بالهوى آثامُ

ابذلْ - هُديتَ إلى المعالي - دعوةً ... من عُمق قلب ملؤُه الآلامُ

واعلم بأنّك لست وحدك عاملًا ... فهناك جندٌ كُلّهم عزّامُ

ولَساحة العمل المبارك رحبةٌ ... إن سادَ نهجَ العاملين وئامُ

فاصنع جسورَ الصّدق فيما بينكم ... وذرِ الأماني إنّها أوهامُ

إيّاك لا ترمِ العتابَ لواحدٍ ... فالشعبُ مسؤولٌ كذا الحكّامُ

لا تستجبْ لعواطفٍ في حينها ... حتى تنوّرَ دربَها الأحلامُ

واذكر بأنّ الحزمَ منك تقدم ... والحزمُ أحياناً هو الإحجامُ

والمرأة السوداء كانت مضرِباً ... ولمثلها تتطامن الأعلامُ

قامت بتطهيرٍ لبيت مليكنا ... ولنعم ما سارت له الأقدامُ

ثم انقضت أنفاسُها وتوقّفت ... عند الذي كَتَبَت به الأقلامُ

عَلِمَ الصحابةُ موتَها لكنّهم ... لم يخبروا المسؤولَ وهو إمامُ

أخذ الرسولُ بحِسّهِ وبلطفهِ ... يُعطي الدروسَ وقبلها استفهامُ

أين التي كانت تُطهّر مسجداً؟ ... الله يشهد والأنام نيامُ

قال الصحابة: إنها قد فارقت ... هذي الحياةَ وقد مضت أيّامُ

غَضِب الرسولُ عليهمُ وبحرقةٍ ... لامَ الصحابةَ لم يكن إعلامُ

بدأ الكرامُ يحقّرون لشأنِها ... عَتَبٌ عليهم ظاهرٌ ومَلامُ

طَلَب الرسولُ من الكرام دلالةً ... عن قبرها حيث البِلى وعِظامُ

وأمامهم بدأ الرحيمُ بدعوةٍ ... فدعاؤه أمْنٌ لها وسلامُ

لم يحتقر لوناً ولا جهداً لها ... فالظلم حكم جائرٌ وحرامُ

هذا الذي قَدِرت عليه بجُهدِها ... أين الرجالُ مهنّدٌ وعصامُ؟!

إنّ المذلّة لن تعود كرامةً ... حتى يعود إلى الهدى أقوامُ

وَعْدُ الإلهِ وقولُه متحقّقٌ ... قسماً به وستثبت الأيامُ

مَنْ يَخدمِ الإسلامَ يخدمْ نفسَه ... تلك الحقيقةُ والختامُ سلامُ

رعاية التوازن

د. عبد الكريم بكار
www.islamtoday.net/bakkar

ذكرت في المقال السابق أن علينا أن نفكر في الوسائل والأساليب التـي تجعل حياتنا العامة أكثر توازنـاً، وذلك لأن الأمة حين تفقد توازنها تتكاثر الأخطاء لديهـا، وتضيع الواجبات، ويتغير مع الأيام مزاجها العام، وتفقد بذلك ثوابتها وخصوصيتها.

ولعلَّ مما يساعدنا على أن نكون أفضل توازناً الآتي:

١ - أمة الإسـلام هي الأمة الوحيدة اليوم - بحمد الله - التي تسـتطيع معرفة نقطة التوازن في كل مجـال من مجالات الحياة، وهذا يعود في الأسـاس إلى المنهجية والمعياريـة التي ملَّكنا إياها المنهـج الرباني الأقوم. وهذه المنهجية تقوم على شـيئين جوهريين هما: الهدف، والواجب.

إن هدفنا الأسمى فـي هذه الحياة هـو الفـوز برضوان الله - تعالى - ودخول الجنة مع خلَّـص أنبيائه وأوليائه، وهذا الهدف يشكِّل أحد معايير التوازن المطلوب. إن المسلم لا يكون متوازناً حين يغلب على أنشـطته مـا يُبعده عن ذلك الهـدف، فالذي كوَّن ثروة بالكذب والاحتيال والرشـوة وتأخير مستحقات الموظفين والخروج عن النُّظُم السـارية.. لا يمكن أن يكـون متوازناً ما لم يتوقف عن المضيِّ في هذا الأسـلوب فـي توليد الثراء، وما لـم يجد طريقة لمعالجة ما تمكن معالجته من الأخطاء السابقة.



واجب هو الآخر يدلنا على كيفية رعاية التوازن، ونحن نحمد الله على أن واجباتنا اليومية والعامة واضحة تمام الوضوح، وعلى سبيل المثال: فإن على الموظف المسلم أن يؤدي صلاة الظهر في وقتها، وهو آنذاك كثيراً ما يكون في عمله، ومن الواضح أن تركه لمكتبه مدة (٤٥) دقيقة من أجل أداء هذه الفريضة إخلالٌ بواجب الوظيفة، كما أن الانهماك في العمل من غير القيام إلى الصلاة يشكّل وجهاً آخر من وجوه الإخلال بالواجب وإن عليه أن يبحث عن صيغة التوازن الملائمة.

لدى كل الثقافات ما يُسمى سُلَّم القيم، حيث يتم ترتيب القيم بشكل تصاعدي، وكل الثقافات تؤكد على التضحية بالقيم الصغرى وتأجيل تجسيدها من أجل الامتثال للقيم الكبرى. والحقيقة أن أكثر من (٩٠٪) من القيم مشترك بين كل الأمم، والذي يشكّل الفرق بينها هو تصنيفها لتلك القيم بحسب الأهمية في الرؤية الخاصة لكل أمة، وقد أشار القرآن الكريم إلى الخطأ الفادح الذي يسبِّبه الترتيب الخاطئ لبعض القيم؛ حيث قال الله - سبحانه -: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٩].

إن إلانة الكلام للناس والتبسّم في وجوههم وقضاء بعض حاجاتهم.. قيمٌ إسلامية وعالمية مرموقة ومهمة، لكنها في الرؤية الإسلامية ليست بمنزلة أداء فرض الصلاة أو الزكاة أو الحج أو بر الوالدين، ومن هنا فإن حرص الناس عليها في معاملاتهم اليومية من باب الكياسة واللطف والشعور بالآخر - كما يقولون - شيءٌ جيد، لكن إذا تعارض شيء منها في موقفٍ ما مع أداء فريضة من الفرائض أو تعارض مع مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فإن على المسلم أن يكون مع الفريضة، وإذا لم يفعل ذلك فقد وقع في خلل كبير.

أما المسلم الذي يؤدي الفرائض ولا يملك اللباقة الكافية في معاملة الناس فإنه أيضاً وقع في خلل، لكن الخلل الذي وقع فيه لا يكاد يُذكر إلى جانب الخلل الذي سبَّبه التفريط في أداء فريضة من الفرائض، وهكذا... إنني أقول هذا الكلام؛ لأن من المسلمين من فرَّط بأداء كل الفرائض، ويزعم أنه أقرب إلى الله من غيره ممن يصلُّون في الصف الأول ويسبب أن أحدهم أساء إليه في كلمة وعامله بجفاء!

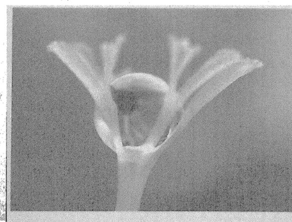
إن مما يساعدنا على رعاية التوازن أن نفرق بين الشروط والمواصفات المساعدة على الخير، وبين الغايات التي نسعى إلى تحقيقها، حيث إن من السهل على كثير من الناس أن يضعوا الأسباب في مقام الأهداف والغايات أو يجعلوها مثلها، وفي هذا إخلال كبير بالتوازن. وعلى سبيل المثال: فإن توفير بيئة صحية جيدة وتوفير قدر من الرخاء والسعة والرفاهية، وتسهيل حياة الناس وتحركاتهم؛ عبارة عن شروط وأسباب، الهدف منها جعل الناس في وضعية تساعدهم على أن يكونوا أقوم بأمر الله - تعالى - وأقرب إليه، وفي وضعية تساعدهم على الفوز برضوان الله تعالى.

وإذا كان هذا الكلام صحيحاً - وهو صحيح إن شاء الله - فإن مما يخل بالتوازن في الحياة العامة الغفلة عن هذا المعنى وجعل التنمية الاقتصادية وتحقيق أكبر قدر ممكن من الرفاهية هدفاً نهائياً لكل مساعي التطوير والإصلاح. إن المتوقع في هذه الحالة انقسام الناس إلى طبقتين كبيرتين: طبقة مشغولة بتنمية ثرواتها والاستمتاع بها، وطبقة مشغولة بسدِّ رمقها والحصول على الضروريات لبقائها، وهذا ما تدعمه الأنشطة الرأسمالية اليوم.

إن هدف التنمية في الرؤية الإسلامية توجيه غنى الغني وفقر الفقير نحو هدف واحد هو صلاح السلوك واستقامة الأخلاق، وهذا يتطلب عوناً مباشراً للفقير من أجل تخفيف درجة فقره، وعلاجاً مُعيِّناً للغني كيلا تفسده ثروته، وعلى مدار التاريخ كانت الرؤى والطروحات الإصلاحية مرتبكة حيال تحقيق نوع من التوازن بين الحرية الفردية والعدل الاجتماعي.

تحقيق التوازن العام مسؤولية عامة، وعلى كل واحد منا أن يبحث عن وظيفته في ذلك.

والله الموفق.. وللحديث صلة بإذن الله تعالى.





الخيِّرون .. وفخ التطوير!

إبراهيم الحيدري(*)
alhaidari@hotmail.com

استفاقت كثير من المنظمات الخيرية على صرخة جارفة تسود أرجاء المنطقة بأهمية التطوير وتحسُّن الأداء، فخُصصت المبالغ المالية، وصُرفت الأوقات، واستثمر الكثيرون في تطوير ذواتهم.

غير أن المؤسف أن تلك الرغبة الجارفة في التغيير والتطوير لم توازِها عند بعضهم رؤية إستراتيجية راشدة ولا آليات ملائمة، ولم يحظَ التطوير في بعض المنظمات الخيرية - للأسف - بقيادة ذات طاقات مؤهلة، فكانت عمليات تطوير مشوّهة، وبرامج تغيير مبتورة، ورحلات تحسين قصيرة النفَس.

واحد من أعراض عمليات التطوير المشوهة هي انكباب المنظمات الخيرية على الدورات التدريبية على أنها طرق الخلاص والسبيل الأوحد لبلوغ المرام! وراجت في كثير من الدورات التدريبية بضاعة معرفية خالصة لا تمتّ إلى الميدان بصلة ولا ترتبط بالواقع في أي وجه، وأُغفِل الجانب المهاري والسلوكي في مثل هذه الدورات. وكان من نتائج هذا التشويه قبول المنظمات الخيرية أن يكون متدرِّب الأمس هو مدرب اليوم، مغفلين متطلبات مهمة كالتخصص والخبرة، وقَبِل الناس أن تكون وظيفة المدرب حمل أسفار غربية وأخرى شرقية لا تلائم الواقع المحلي، كما راجت بين بعض الأحبة مفاهيم تُتناقل كالمسلّمات، مثل:

حتى تكون مبدعاً؛ فلا بد أن تكون فوضوياً. ولكي تكون قائداً؛ يجب أن تكون فردياً، والشخصية التنفيذية أقل درجة من القيادية.

«سافر أحدهم ذات مرة من مدينة إلى أخرى لكي يحضر دورة في تعزيز الثقة بالذات التي تستمر لمدة يومين؛ فكان المدرب نفسه هو أحوج الناس لأبجديات هذه الدورة، وكانت مهمة المتدربين في أغلب الوقت تعزيز ثقة المدرب بنفسه!».

على مستوى المنظمات الخيرية؛ فإن التدريب لا ينحصر في إرسال الموظفين أو المتطوعين لحضور دورات تدريبية، بل إن هناك خيارات أخرى أقل تكلفة وأبلغ أثراً؛ كتبنِّي مفهوم (المدير المدرِّب)، الذي يجعل من مسؤوليات المدير أن يطور معارف العاملين معه ومهاراتهم في مجالات عمل إدارته، فهو أقرب لمعرفة نقاط ضعفهم ومكامن قوتهم، واحتياجاتهم لتطوير ذواتهم وتحسين أدائهم. وإذا ما كان المدير غير مؤهل لذلك؛ فإن إحدى الوسائل المغفلة في بعض المنظمات الخيرية هي إحضار المدرب لبيئة العمل؛ ليقوم بتحليل احتياجات الموظفين التدريبية، وتدريبهم - خلال مدة وجوده - على المعارف والمهارات التي يحتاجونها فعلاً في إنجاز أعمالهم.

ثمة نقاش عريض بين الباحثين في التدريب عن أثر الدورات التدريبية على الأفراد والمنظمات والقدرة على قياس نتائجها؛ فالأَوْلى - والحال كذلك - ألا يحصر الأحبة الخيِّرون في المنظمات الخيرية أفقَ التطوير الواسع في زاوية الدورات التدريبية فقط.

(*) ماجستير في الإدارة، باحث في إدارة العمل الخيري.



المرأة:
ريادة دعوية

إعداد مجلة البيان

في القرن الحادي والعشرين، امتطى جمع من رؤوس الفتنة والضلال مراكبهم وانطلقوا لكي يشوهوا صورة المرأة عموماً والمسلمة خصوصاً، بغية إظهارها بصورة الفتاة تغرق في الزينة وداعي الجمال وعري الأجسام، وفراغ العقول إلا من هلوسات المكياج والموضة والأزياء!

لكنَّ من وراء سُدُف الظلام المعتمة، وطغيان ضلالات العولمة، تبرز لنا جهود نساء داعيات إلى الله تعالى يبذلن أوقاتهن ومهجهن وأرواحهنَّ في سبيل الدعوة، ومحاربة فساد المفسدين والمفسدات، والمتراقصات على جراحات أمتنا المسلمة.

كيف لا وقد قمن بما افترضه الله ـ تعالى ـ عليهن بتعليم شقيقاتهن العلم النافع والخلق الفاضل وزرع روح الأمل والعمل في براعم الإيمان وفتيات الإسلام.

فكان من واجبنا إبراز هذه الجهود التي قلَّ من يبرزها من وسائل الإعلام صحفاً ومجلات وإذاعات وفضائيات التي تبرز الوجه الكالح للساقطات في مستنقع الفساد إلا من رحم الله وقليل ما هم.

وفي هذا التحقيق نستهدف كوكبة من النساء اللواتي كان لهنَّ ولا يزال دور مشهود محمود في الدعوة إلى الله والتأثير في بنات جنسهن، ليعرف جمع من المسلمين والمسلمات تلك الأعمال المباركة التي يقوم بها المسلمون والمسلمات رائدات في العمل الإسلامي الدعوي شحذاً لهممهن، واقتداءً بهن، ليقدمن كما قدمومن بل أفضل في عالم نسوي بحاجة ماسة إلى بذل مزيد من الجهود والعمل الفاعل في تنمية الجهود الدعوية النسوية.

في هذا التحقيق تساؤلات عديدة واستفسارات مهمة تقدمنا بها إلى الداعيات الفاضلات المشاركات في التحقيق لعلها تفيد وتنفع العاملات في الحقل الدعوي النسوي

فما عوامل النجاح الذي حظي به العمل الدعوي النسائي؟

وما أهداف العمل الدعوي؟ وما الطريقة المثلى لتقويمه؟

وكيف أسست شبكة المعلومات (الإنترنت) في خدمة جهود الداعيات؟

وبماذا قابلت الداعيات جهود الحركة النسوية الليبرالية؟

وكيف واجهت الداعيات تلك العقبات التي اعترضت طريقهن في الدعوة إلى الله؟



ومـا دور الداعيات في منازلهـن وبين أروقة الجامعات ومباني المستشفيات وماذا قدموا لهذه الشرائح؟

• الداعيات اللواتي شاركن في التحقيق:

١ - أسـماء الرويشد - السعوديَّة (المشـرفة على موقع آسية).

٢ - أم علاء قاطرجي - لبنان (مسـؤولة القسم النسائي في جمعية الاتحاد الإسلامي).

٣ - بشـرى العوَّامي - اليمن (مشـرفة الدور الشرعيَّة بصنعاء، ماجستير شريعة).

٤ - عبير الحلو - فلسطين (داعية، ماجستير شريعة).

٥ - د. فريدة الصادق الزوزو - الجزائر (أكاديميَّة، وداعية إسلاميَّة).

٦ - مـريم النعيمي - الإمارات (مدير عام مؤسسـة قيم للإنتاج العلمي).

٧ - منى العجلة - فلسـطين (رئيسـة جمعية الشـابات المسلمات، وإحدى الداعيات البارزات في قطاع غزَّة).

• أهداف العمل الدعوي النسائي:

لكل عمل دعوي أهداف ينشدها العاملون لتطبيقها، ومن ذلـك ما تحدَّثت به الداعية منى العجلة بأنَّ أهداف الدعوة في الوسط النسائي متعددة، ومنها:

- توجيه النساء إلى عبادة الله - عز وجل - وَفْق ما شرع الله.

- إعانة النساء على إحياء سنة التعارف فيما بينهن. قال - تعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾. [الحجرات: ١٣]

- تغيير الواقع السـيِّئ الذي يعيشـه المسلمون في هذا العصر إلى واقع إسـلامي يقربهم مـن الله - تعالى - ثم من الناس.

- تربية العنصر النسائي تربية إسلامية صحيحة متكاملة، والتركيز على الأخلاق الإسلامية والمعاني الاجتماعية.

- إعداد البيت المسـلم ومحاولة تربية جميع أفراده وَفْق منهج الإسلام ونظامه.

- إعداد المجتمع المسلم الذي يجب أن تسوده قيم الإسلام وأخلاقه.

- إعادة الوحدة بين المسـلمين في العـالم كله ونشـر دعوة الله في الأرض.

- الدعوة إلى مقاومة أعداء الأمة الإسلامية.

- تفعيل دور المرأة في المجتمع وإبرازه في وعيها بطبيعة الصراع في المنطقة ووسائل العلاج لمشكلات المجتمع وهمومه (اقتصادية واجتماعية)، ووضع برامج عملية لها.

• نجاح العمل الدعوي النسوي:

في بداية التحقيق وجَّهنا سؤالاً للداعيات وسألناهنَّ عن عوامل النجـاح الذي تجلى به العمل النسـائي الدعوي في زمننا المعاصر، فقد أشـارت الأستاذة أسماء الرويشد إلى أنَّ المجتمعات الإسلامية شهدت في السنوات الأخيرة توسُّعاً في دائرة النشاط الدعوي النسائي وتنوُّعاً في برامجه، وأنَّ هذا المؤشر يدعو إلى التفاؤل واستشـراف مستقبل أفضل لهذه الأمة، خاصة إذا رافقه تقويم لـلأداء وتوزيع منظم للأدوار الدعوية وإعدادها إعداداً يتناسب مع وجود التحديات.

واتفقت الداعيتان أسـماء الرويشد وأم علاء قاطرجي على عدَّة أسـباب كان لها الدور بعد الله - تعالى - في نجاح العمل الدعوي، ومن ذلك:

- الحاجة الماسـة إلى راحة النفس وطمأنينة القلب بعد الضياع والشتات الذي أثمره اتِّباع سبيل الشيطان.

- استشـعار المسلمة بالتحديات التي تواجهها وخصوصاً مع التجربة القاسـية التي خاضتهـا مع مرحلة الانفتاح والمدِّ التغريبي.

- بروز حركة طلب العلم ونشـاطها في البلاد الإسلامية، مما وجَّه اهتمام الكثير من طلبة العلم والمصلحين إلى الاهتمام بشؤون المرأة وتعليمها، وتنشيط وتوجيه عمل الدعوة في الأوساط النسائية.

وتضيف أم علاء قاطرجي إلى هذه النقطة قولها: وكما هو معلوم في كل زمان ومكان أن الله - تعالى - يغرس لهذا الدين غرساً يسـتعمله في طاعته، ولذا نهضت المرأة المسلمة تدعو وترشد وتوقظ من الغفلة، مدركةً قول الداعية د. مصطفى السـباعي: لا يزال المجتمع أعرج يسـير على قـدم واحدة ما لم تنهض المرأة بالنصف الآخر. نهضت مستشـعرةً ضخامة المسـؤولية، حاملةً إرث النبوة الشـريف مع صِنْوها الرجل، فطلبت العلم الشـرعي، ففقهته وعلَّمته بنات جنسـها لكي يطبِّقنه واقعاً في حياتهن مقتديات بأمهنَّ عائشـة وأختهنَّ رفيدة والصحابية المجاهدة أم شـريك؛ رضـي الله عنهن أجمعين.

وتضيف الأستاذة منى العجلة عدَّة عوامل ساعدت على

ثراء العمل الدعوي النسائي وتقدُّمه، ومنها:

- استحضار النية الخالصة لوجهه - سبحانه - في هذا الأمر؛ إذ إنه من وسائل الدعوة إلى الله، وبدون إخلاص تصبح كل هذه الأعمال هباء منثوراً.

- الثقة بنصر الله والتفاؤل بالخير خاصة في مثل هذا الوقت الذي قلَّ فيه الناصر؛ وهكذا كان هدي الرسول - عليه الصلاة والسلام - عند الفتن، وحسن الظن بالله مع العمل الجاد والمستمر.

- اهتمام كثير من الداعيات بالدعوة إلى الله وعدم الاستعجال في قطف الثمار، مع التضحية في سبيل ذلك بالنفس والمال، وجعلها من أولويات أعمالها، وهدفها بذلك مرضاة الله، وشعارها: «اللهمَّ إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي».

- الإيمان أن في العمل الدعوي سلبيات وإيجابيات، وأن واقعنا ليس سلبياً محضاً، كما أنه ليس سليماً من الخطأ والتقصير، وأنه من الممكن تجاوزه، بحيث لا نستسلم أمام العقبات.

• ليس كل عمل يخلو من سلبيات:

من رَحِم الدعوة تُولَد الإيجابيَّات والسلبيات، وبما أنَّ المقصدَ في التحقيق البحث عن طبيعة العمل الدعوي النسائي، ودراسة هذه التجربة من جميع جوانبها، فقد أدلت بعض الداعيات المشاركات في التحقيق برؤيتهن عن القصور والسلبيات التي لاحظنها أثناء عملهنَّ الدعوي، وقد ذكرت الداعية أسماء الرويشد أنَّ من هذه السلبيات:

- غياب ثقافة العمل التطوعي والدعوي، وعدم استيعاب أهميته ومزاياه، وحداثة نشاط المؤسسات الدعوية المعاصرة وخاصة النسائية.

- التركيز على الكمِّ دون الكيف، أمام الحاجة إلى انتشار الدعوة، وكثرة القضايا التي تحتاج إلى معالجة، مع قلة الطاقات الدعوية المؤهلة.

- الارتجالية والاهتمام بآنية التأثير وردود أفعال الجمهور دون الاعتناء بالتأسيس والتخطيط الذي يتَّسم بطول المدى وبُعْد الأثر.

- الانفراد والأَنَفَة من الانطواء تحت قيادة مؤسسة منظمة.

- مراعاة المصالح الشخصية، وإعطاء الفضل من الجهد والوقت للعمل التطوعي والدعوي.

ومن ناحيتها ترى الدكتورة فريدة الصادق أنَّ من أهمِّ ما يمكن عدُّه من سلبيات العمل النسائي الدعوي عدمَ المواصلة والاستمرارية؛ فالمسلمة تبدأ بشحنة عمل وفاعلية ضخمة، ثم ما تفتأ تخبو وتنطفئ وتخمد الجذوة، وهذا أيضاً له أسبابه التي من أهمها: عدم التشجيع من طرف الزوج أولاً والأسرة تبعاً، وكذلك لجهلها بالخطوة التالية، والإمكانات التي يجب توفيرها، والإجراءات العملية التي يجب أن تُطبَّق.

وترى الداعية أم علاء قاطرجي أنَّ العمل الدعوي النسائي يتعرَّض لبعض الفجوات مثل أي عمل خيري آخر؛ لكونه جهداً بشرياً غير معصوم. ولعل أبرز هذه السلبيات - في نظرها - ما يلي:

- شرك النية وحب الظهور عند بعض الناس.

- التنافس على المناصب، مع العلم أن المنصب أمانة وعاقبته - إن لم يُؤدَّ حقُّه - خزيٌ وندامة يوم القيامة.

- الاكتفاء بالعلم القليل والتقصير في حضور مجالس العلماء والاقتصار على الفضائيات والسمعيات.

- ترقيع الدين بحجة قبول الآخرين لنا.

- إلغاء بعض الرجال لدور المرأة الفعال؛ أنانيةً أو للجهل بهذا الدور وقصره على العمل داخل الأسرة فقط.

أمَّا الداعية منى العجلة فترى أنَّه ليس كل عمل يخلو من سلبيات، وأنَّ العمل الدعوي النسائي ضحية إهمال الدعاة والمصلحين، ثمَّ تذكر شيئاً من السلبيات فتقول:

- نقص الداعيات المؤهلات، وعدم وجود المرجعية النسائية أو القيادية الدعوية النسائية القادرة على ترتيب الأوراق ودراسة الأولويات وإنشاء المشروعات الدعوية المناسبة.

- ضعف اهتمام الدعاة حتى هذه اللحظة بإيجاد محاضن تربوية تخرج للمجتمع المصلحات المؤهلات.

- ندرة وجود مؤسسات دعوية نسائية متخصصة توفر كل ما تحتاجه المرأة من استشارة اجتماعية وفقهية وتربوية وغيرها.

• أيهما أكثر تأثيراً على النساء: الدعاة أم الداعيات؟

تختلف نظرة الداعيات بهذا الخصوص، وهذا يتجلَّى في إجاباتهنَّ عن السؤال التالي: هل ترين تأثير الداعيات على النساء أكثر من جهود المشايخ المختصين بالقضايا النسائية؟ ولماذا؟

فترى الداعية أم علاء قاطرجي أنَّه لا زال دور المشايخ والدعاة وتأثيرهم على النساء أقوى إلا في بعض الحالات

النادرة، والسبب في ذلك يرجع إلى قلة ثقة النساء بالنساء في هذا المجال، وإلى ندرة وجود المرأة العالمة بمعنى الكلمة.

وتوضح قولها بأنَّه إلى الآن لم نجد أيَّ امرأة وصلت إلى ما وصل إليه العلماء الأفذاذ الذين نستمع إليهم ونتلقى عليهم العلم، معلِّلةً رأيها بأنَّ الشيخ متفرغ، أما المرأة فعندها مسؤولية البيت والزوج والأولاد، إضافة إلى عملها الدعوي؛ لذا فإن نتاجها وتأثيرها أقل.

بينما تخالف بعض الأخوات المشاركات الداعية أم علاء قاطرجي رأيها، حيث تقول الدكتورة فريدة الصادق: أعتقد أنَّ تأثير الداعيات على النساء أكثر من جهود المشايخ المختصين بالقضايا النسائية، وذلك يرجع إلى سبب قوي وهو ما ألمسه عند جلوسي للنساء والطالبات، وهو أن النساء لا يجدن حرجاً في سؤال الداعية أيّ سؤال يخطر ببالهن؛ لأنهن متيقنات أنهن سيجدن الإجابة الشافية الوافية، لكن مع العلماء والمشايخ فإن أسئلتهن تحيط بها مجموعة من الشكليات الخارجة عن صميم السؤال، وفي الوقت نفسه فإن المشايخ أيضاً يتحرجون من الإجابات الصريحة، وقد يدور الجواب حول عموميات الموضوع. ولنا في سيرة رسول الله ﷺ أسوة حسنة، حيث إنه كان يكلِّف بعض زوجاته الطاهرات - رضي الله عنهن - بإجابة النساء في أمور النساء، مما يستحيي منه الرجال.

وهكذا ترى الموقف نفسه الداعية أسماء الرويشد، والأستاذة منى العجلة، وتتفق معهن الدكتورة فريدة حيث تقول: المرأة الداعية أكثر فاعلية في دعوة المرأة، وأكثر إيجابية في التأثير عليها مقارنة بالدعاة من الرجال المختصين.

وتشترك أسماء الرويشد مع الأخوات اللواتي يرين تأثير الداعيات على النساء أكثر من تأثير الرجال الدعاة عليهنَّ، وتُعقِّب بقولها: ولا مانع مع هذا أن تستشير السائلة أهل العلم والدعوة من الرجال، مع تنبيه بعض النساء اللواتي يحبِّذن أو يتعمَّدن أحياناً الاتصال ببعض المشايخ أو الدعاة لعرض مشكلاتهن الاجتماعية أو النفسية أن التساهل في هذا التواصل والتوسع فيه كثيراً ما يوقع في الفتنة للطرفين أو أحدهما.

• الإنترنت وسيلة العصر:

للشبكة العنكبوتيَّة أو (الإنترنت) دور بارز وأثر واضح في التأثير على النساء، فكيف أسهمت هذه الشبكة في توصيل الدعوة إلى الله لمشاهداتها من النساء؟

تحدَّثت الداعية أسماء الرويشد في إجابتها بأنَّ هناك الكثير من مواقع الإنترنت النسائية تؤدي دوراً تثقيفياً واسعاً، وتراعي خصوصية احتياجات النساء وبخاصة في القضايا والمشكلات ذات العلاقة بواقعهن، مؤكدة على الداعيات وذوات الأقلام البنّاءة أهميةَ استغلال وسيلة الإنترنت وتوظيفها لإيصال رسالة الإسلام إلى العالم، ولا سيما في هذه الفترة التي لحق فيها الإسلام ما لحقه من الاتهامات وتشويه الحقائق لكون ذلك جزءاً من منظومة الحرب الظالمة ضد الإسلام، وهي الحرب الفكرية الإعلامية بوسائلها المتنوعة؛ وخاصة بقضايا المرأة.

> " على الداعيات وذوات الأقلام البنّاءة استغلال وسيلة الإنترنت وتوظيفها لإيصال رسالة الإسلام إلى العالم. "

أما الداعية بشرى العوَّامي فتقول: لا شك أن لمواقع الإنترنت الأثر الكبير في ثقافة المرأة المسلمة، كما أن المواقع الإلكترونية باتت تحتل جزءاً كبيراً من وقت المرأة المسلمة، سواء في جانب الخير والشر، وتلك هي طبيعة الحياة الدنيا القائمة على الابتلاء بالخير والشر في كل الأشياء، كما قال - تعالى -: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فللإنترنت أثر سلبي لدى بعض ضعيفات النفوس، وناقصات الدين والتدين، والمصابات بالانهزامية. أما من كانت على نور وهدى من ربها فقد جعلت من هذه الوسيلة أسلوباً عصرياً جميلاً وناجحاً في الدعوة إلى الله، وإلى الفضيلة والقيم والأخلاق، وحققن نجاحات عظيمة في هذا الباب؛ سواء في المنتديات أو المواقع الإلكترونية التي يدرنها ويقمن بالإشراف عليها، أو عبر النوافذ في بعض المواقع الإسلامية التي تُعنى بشؤون المرأة ودورها في المجتمع والأمة، وهذا له تأثيره الفاعل والملموس.

الداعية عبير الحلو قالت: الدعوة عبر الإنترنت لها مزايا وأساليب كثيرة تكمن في أننا من الممكن أن نخاطب آلاف العقول ونحن جالسون أمام شبكة الإنترنت. أما



بالنســبة لتأثيره على الفتاة فنحن نحرص دائماً على توعية الفتاة المسلمة بهذه الوسـيلة التي هي سلاح ذو حدَّين؛ كي تتمكن من الحصول على الإيجابيات مع تلافي السـلبيات.

وهنـا نرغب في التطـرق لنقطة هامة وحيويـة، وهي أن مجلس طالبات الجامعة الإسلامية في غزَّة بفلسطين ابتكر طريقة جميلة للمحادثة (الشات) الهادفة والبنّاءة عن طريق الإنترنت، حيث يتم من خلالها تبـادل الآراء والخبرات في عدة قضايا من خلال (مشـروع صداقـة نت)، وهو خاص بالأخوات المسـلمات من الجامعة وخارجها، وبذلك يتجنَّبن الاختلاط والكلام الفارغ ويرفّهن عن أنفسهن بطريقة سليمة وصحيحة.

وعن هذه القضيَّة قالـت الدكتورة فريدة: الإنترنت فتح أبواباً من الفتن والتحديات التي تهدِّد المرأة والرجل والأطفال بل والأسرة عموماً، وبخاصة إذا غاب الوعي عمن يتعامل مع هذه الوسـيلة. وفي هذا الاتجاه نجد أن المرأة وهي تلج هذا العالم العجيب في ظل غياب الرقابة الأسرية، تمارس حياتها التي تنشـدها في الأحلام، والتي قد لا تسـتطيع تحقيقها واقعاً.

ولكنها أشـارت أن للإنترنت جوانب إيجابية يمكنها أن تطغى على الجانب السـلبي، إذا ما وعت النساء؛ فالمشكلة ليست في الإنترنت أو التلفزيون ـ فهذه وسائل يمكن أن توجه نحو الخير أو أن توجه نحو الشـر؛ فالتأثير الإيجابي نحن الذين نصنعه بالبحث عنه.

• ولتيارات التغريب نصيب في المواجهة النسائيَّة:

حينما يتوالـى كلام أهل الباطل بلَمْز الدعاة والداعيات إلى الإسـلام، وترتفع رايات الفسـاد وتحـاول غرس روح الانحراف في نفوس المسـلمين؛ لأجـل الضلال والإضلال ليس إلاَّ فإنَّه من المتوجب حتماً في ظل هذا الواقع أن تشتد جهود الدعاة والداعيات إلى الله بمقاومة فساد أهل الباطل، ومراغمة كيدهم وخصوصاً مع ظهور تيارات التغريب. وحول هذه المسـألة جمعنا آراء بعض الداعيات، وفي هذه المسألة تقول الدكتورة فريدة الصادق: الدعوة في الوسـط النسائي مهمة لاعتبارات كثيرة؛ أهمها الانتشار السريع لمظاهر تقليد الغربيات في الوسط النسوي، وسرعة تأثُّر المرأة العربية بما ينشر حول النجاح الذي تحققه حركات تحرير المرأة الغربية في ظل الظلم والقهر والسـلبية التي تعاني منها في وسطها ومجتمعها، متناسـية أن المجتمع العربـي حقيقة قد ظلمها قديماً إلا أن ديننا الحنيف قد أزال عنها الظلم ورفع مكانتها وكرَّمهـا إلى جنب أخيها الرجل تكريمـاً لم تصله الغربيات اللواتـي ما زلن ينادين بحقوقهن المهدورة، وها هنَّ الكثيرات منهنَّ يُسْلمن إعجاباً بديننا الحنيف.

المطلوب منّا أن نزيل الغشـاوة عـن عينَيْ المرأة العربية عموماً والمسلمة خصوصاً، غشـاوة التقليد الأعمى للغرب، غشـاوة النموذج المقتدى لـ (الفنانـة الفلانية) أو (المطربة العلّانية). فعلينا أن نزيل صورة (المرأة الوهم) التي تنشدها نسـاؤنا وهنَّ جاهـلات بمصيرهن المحتـوم الذي يقودهن إلى الابتعاد عن النهج الصحيـح، والابتعاد عن مرضاة الله تعالى.

أما الداعية أم علاء قاطرجي فتقول: من الواجب تحذير المرأة من فتنة التغريب والتضييع المنبثقة من مؤتمرات متآمرة وإعلام ماجنٍ وتوجيهٍ فاسـد من دعـيٍّ فاجر... وردُّها إلى أصالتها وعزتها وطهرها وشرفها عبر المؤتمرات الإسلامية النسـائية ـ خاصة الطلابية ـ والإعلام الإسـلامي الراقي والإرشاد الديني السامي.

• كيف نواجه الحركات النسويّة التغريبية؟

هناك حركات تغريبيَّة، وتوجهات ليبراليَّة مشبوهة تحيق بنسـاء الأمَّة المسلمة لإفسـادهنَّ وتلقينهنَّ مبادئ التغريب والفسـاد؛ فما الجهود التي ينبغي أن تقـوم بها الداعيات لمقاومة تلك الاتجاهات المنحرفة لإفسـاد النساء؟ وهل من خطط أعدَّتها الداعيات لذلك؟

تحدَّثت الأسـتاذة أسـماء الرويشـد بقولها: لا بد من اسـتيعاب مسـتجدات هذه المرحلة وفهم مشاريع التغريب وإدراك أن هناك جهوداً شيطانيَّة ضد المرأة تجاوزت مرحلة التخطيط إلى مرحلة التفعيل والتنفيذ.

وعلـى كل فتاة مسـلمة أن تحرص على رفع مسـتوى الوعي والثقافة لديها؛ بتكثيف ساعات الاطِّلاع والقراءة، مع الاهتمام بالاطِّلاع على واقع الحركات التغريبية لإفساد المرأة، والنظر فـي أبعادها الخطيرة والإلمام بهـا؛ لكي تقوم بنقل هذا التصور الواقعي لنسـاء الأمة، وبث الوعي لديهن تجاه ذلك الزحف، والوقوف في وجه التغريب بتكثيف المشـاريع الإصلاحية والبرامج الثقافية، والمشـاركة العملية في تقديم حلول ومشاريع واقعية لحلِّ مشاكل المرأة والأسرة.

والمجتمع المسـلم اليوم ينفتح مع الوقت وبشـكل مطَّرد على متغيـرات ثقافية واجتماعية خطيرة، خاصة في مجال المرأة والأسـرة؛ من خلال نشاط تلك الحركات، لذا أرى أن الداعية عليها أن تركز فـي الخطاب الدعوي على الجانب

العقدي والإيماني بشــكل خاص وترسيخ القيم، مع الاعتناء بلغة الإقناع والحوار الموضوعي.

وأما الأســتاذة عبير الحلو فتقــول: لا بد أن نعرف أن هذا التغريب يقصد بالدرجة الأولى إحداث تغيير اجتماعي وأخلاقي وفكري في حياة المســلمين حتــى ينقادوا للمدنية الغربيــة تاركــين مبادئهــم وأخلاقهم المنبثقــة عن دينهم الإســلامي الحنيف، ومن هنا يتبين لنــا أهمية الدور الذي لا بد أن تمارســه الداعيات عندما تُســتهدف النساء عبر إثارة الشبهات حول حقوق المرأة المزعومة ومن خلال إطلاق الشــعارات الداعية إلــى تحرير المرأة من الإســلام وقيمه وتشريعاته.

وتجيب الداعية منى العجلة عن السؤال بقولها: التغريب الآن أصبح واقعاً في حياة المســلمات، ولكنه واقــع مــرير لا بد من تغييره، وليس معنى ذلك أن ننبذ ما جاء من الغرب برُمّتــه، بل أن نأخذ منه ما يكون فيه فائدة متحققة. ونذكر على سبيل المثال بعض الخطوات لمواجهة حركات التغريب:

- اتخــاذ زوجــات المصطفى - عليه الصلاة والســلام - أنموذجاً تاريخيــاً ومثلاً يُحتذى به بدلاً مــن النماذج التي أُقحمت في حياتنا عنوةً بما تحمله من فساد.

- أهميــة مواجهــة الإعلام الغربــي وإن كان معرَّياً في ظاهره ويحمل أفــكار الغرب في حقيقته، وذلك ببيان ضرر ما يبثه من أفكار وبطــلان كثير من الدعاوي المغرضة حول حقوق المرأة وطبيعة حجابها.

- الحــرص على توزيــع مطويات وكتيبــات صغيرة بين النســاء فيها تحذير لهن من نتائج تلــك الحركات الهدامة، وتذكيرهــن بأقوال الرســول ﷺ التي تتحدث عن التشــبُّه بالنصارى واليهود.

- بيان نتائج التغريب الحقيقية التي جنتها المرأة المسلمة ســواء في إطار بيتها أو في عملها؛ من شتات نفسي وفكري وإهدار للجهود والأوقات والثروات.

- الاســتعانة بأصحاب التخصصــات الدقيقة والذين يحملون همَّ الإســلام؛ كالأطباء؛ لبيــان الأضرار الصحية لبعض معطيــات الحضارة الغربية والمتعلقــة بأنواع الزينة المستحدثة والملبوسات الضيقة وأساليب الطعام الخاطئة.

- الاستشــهاد دائماً بتصريحات كثير من نســاء الغرب اللاتي يعانين من قسوة أسلوب معيشتهن ونتائج بُعْدهن عن مجالهن الحقيقي في الحياة وهو رعاية البيت والأولاد.

وتختم الأجوبة عن الســؤال الدكتــورة فريدة الصادق؛ حيث تحدثت عن تجربتها الشخصية تجاه الحركات النسوية، فتقول: من أهم الخطط التي أنتهجها شــخصياً: أولاً: قراءة ما تنتجه الحركات التغريبية، خاصة أفكارها التي تروِّج لها المؤتمرات الدولية المشبوهة والتي عادة ما تكون تحت وصاية الأمم المتحدة تحت مســمى (مؤتمرات السكان والتنمية)، ثم متابعة تأثير هذه الأفكار على المجتمعات العربية والإسلامية عموماً من خلال النساء المسلمات المحسوبات على الإسلام، فإنه عند قراءة كتاباتهن والاستماع إليهن تلحظ في تعابيرهن أنهن يــردِّدن المصطلحات والمفاهيم نفســها التي تروِّج لها الحــركات التغريبية، ومن هنا وجــب التنبه لهذا الأمر، من خلال نشر الوعي في الأوســاط النسوية بهذه المصطلحات وما تخفي وراءها من سموم.

• الداعيات يقترحن آليات للعمل في الوسط النسائي:

بالتأكيــد؛ فمن تريد عمــلاً دعوياً فعَّــالاً فإنَّه يتطلب منهــا العناية بقيام الدعوة النســائية على مفهوم التخطيط الاستراتيجي المبنيِّ على الأهداف القريبة والبعيدة، وإعداد الخطط وتكثيف الأنشــطة وإيجاد آلية عمل منظمة تُرسَم مــن خلال جداول زمنيــة وتقارير ميدانيــة، ومن ثم إقامة لجــان متخصصة في المتابعة والتقييم لأداء العمل والعاملين في المؤسســة، مع تفعيل بنود ضوابط العمل وشروطه وبنود المكافآت والحوافز، ومحاولة معالجة المشــاكل الصغيرة قبل توسُّعها واستفحالها، وخاصة تلك الآفات التي كثيراً ما تنتشــر بين العامليــن والعاملات في حقل المؤسســات الدعوية، والتي يتولَّد منها البغضاء والتنازع فيما بينهم، والله - جل وعلا - يحذر منها ويبين أنها ســبب الضعف والفشل: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وبذلك يسلم العمل الدعوي من أسباب الضعف والفشل، ويسير نحو آفاق الإنتاج والتطوير والإبداع.

وفي هذا الإطار تتحدَّث الأستاذة أسماء الرويشد عن أنَّه ينبغي التركيز على أهمية التواصل والتنسيق بين المؤسسات الدعوية النســائية وتكثيف الاجتماعات لتنشــيط وتطوير البرامج العملية للمرأة والأسرة، فها هم أهل الباطل يمكرون ويعملــون بالليل والنهار لا يملّون أنــه لا بد من إيجاد مراكــز تدريبية ودورات متخصصة فــي التخطيط الدعوي لإيجاد الكفاءات النسائية الدعوية.

وتقتــرح أم عــلاء قاطرجي عدَّة آليــات، منها: التنويع في أســاليب الدعوة وعدم الجمود، التركيز على الطالبات والاهتمام بالناشــئات، محاضرات للأمهات، دورات لأمهات



الأيتام، تقديم الخدمات - ما أمكن - لكل هؤلاء ومشـــاركتهن فـــي مناســـباتهن الاجتماعية والعيش معهـــن في أفراحهن وأتراحهن، إقامة المنتديات الإســـلامية التي تعرِّف بالإسلام وتدعو لـــه، عمارة دُور القرآن لتخريج الحافظات والتاليات، وتوظيف الطاقات واستثمارها دعوياً.

أمَّا الأستاذة منى العجلة فتقترح التالي:

- القيام بمتابعة النشاطات ذات العلاقة بالمرأة ورصدها من خلال ما ينشر في الصحافة والمؤتمرات واللقاءات.

- توفير المراجع العلمية ومســـاعدة الباحثين والباحثات في اختيار الموضوعات التي نرى أنها مهمة وتحتاج إلى بذل جهود فكرية متميزة.

- ترشـــيد الكتابات الموجهة للمرأة والتي تســـاعد على تكوين رأي عام مؤيد للرأي الشـــرعي المبنـــيِّ على الكتاب والسنة المستصحب لظروف الواقع.

- التعرف على المشـــكلات الاجتماعيـــة التي تعاني منها المرأة، ووضع الحلول الشاملة، وهذا يحتاج إلى إجراء بحوث مكثفة وربما دراســـات أكاديمية للوصول إلى أفضل الوسائل للتعامل مع هذه المشكلات.

- التعرف على الجهود التي تســـتهدف تغيير تشـــريعات الأحوال الشـــخصية التي كانت إلى وقت قريب أحد البنود في الدســـاتير الوضعية التي لا تتعارض مع الشـــريعة. وإن المعـــارك التي دارت في المغرب - مثلاً - ونتج خلالها - بحمد الله - تـــآزر وتكاتف بين الغيورين هنـــاك؛ نحتاج أن نعرف عنها؛ فكم من تحقيق ينشـــر في مجلة أو اثنتين ثم ينســـى



بعد فترة! إننا نحتاج إلى توثيـــق كل هذه التطورات وإجراء الدراسات القانونية الشرعية، ومثل ذلك ما حصل في لبنان حول مســـألة الزواج العرفي، وفي مصر حول قضية إسقاط حـــق التطليق من الرجل وإعطائه للقاضي، وتطليق المرأة إذا رغبت، كل ذلك يحتاج إلى مؤسسات متخصصة.

- التعرُّف على مجالات العمل الإعلامي وإمكانية إنشـــاء مجلات أو دور نشـــر متخصصة، وإجراء دراسات الجدوى الاقتصادية لمثل هذه المشروعات.

- تنشـــيط حركة التأليف الأدبي الملتزم خاصة في مجال القصـــة والرواية والشـــعر، وأركِّز علـــى العناية بمواهـب الفتيات الأدبيـــة وتربيتهن على الأدب الملتزم؛ حتى لا يقعن وسط الضجيج الإعلامي في تمجيد أمثال نزار قباني والبياتي وغيرهما من رموز الحداثة والفساد.

الدكتورة فريدة الصادق نبَّهت إلى أنَّ من أسباب الارتقاء بالعمل الدعوي النسائي أن تعرف كل داعية ما المشكلات التي تواجهها النساء في بلدها، وإن أكثر ما يواجهنا في الجزائر - مثلاً - ليس هو التيارات التغريبية، فهي ليست متجذرة في المجتمـــع الجزائري المعروف عنه أنـــه (مجتمع محافظ إلى أبعد الحدود)، وإنما مشكلتنا في الفراغ الذي تعيشه المرأة، فهي وإن تهيّأت لها وســـائل العيش الرغيد، وخرجت للعمل خـــارج البيت فإنها تظل تعاني من الفراغ وعدم وجود هدف واضح تســـعى له وإلى تحقيقه سوى الماديات من شراء بيت وسيارة.

فمهمتنا تكمن في تصحيـــح أهدافها القريبة والبعيدة، المباشـــرة وغير المباشرة، ونشـــر الوعي بضرورة العمل في سبيل الارتقاء بأسرتها وبنفسها أولاً إلى مرضاة الله تعالى.

هـــذه المهمة قد تختلـــف في المجتمـــع الخليجي الذي يعاني من مشـــاكل (الخادمة) وتأثيرها السلبي على الأبناء وخاصة إن كانت نصرانية أو بوذية أو هندوسية كما هو شأن الهنديات والفلبينيات.

وقد تختلف أيضاً عن مشـــكلات الجاليات المســـلمة في المجتمعات الغربية التي تعاني فيها الأسرة من توجيه أبنائها التوجيه العميق نحو دينها وعقيدتها الإسلامية التي قد تصطدم بقيم المجتمع الذي يحيط بهم، إلى مشكلة (التعايش أو الاندماج)، وخطر هذه الإشكالية في الحفاظ على الهوية.

• عقبات في طريق الدعوة النسائية:

العولمة تفرض على الدعوة الإســـلامية أن تجدِّد أدواتها الدعوية وطرق تفكيرها ومؤسساتها وعناصرها؛ حتى يمكنها



مواجهة تحدِّي العولمة بلا خسارة.

ولكن هناك عوائق وعراقيل بالتأكيد في طريق الدعوة، تحدّ من الطموح الدعوي النسائي؛ فعن هذه القضيَّة تحدَّثت الداعيات. وبإجابة مشرقة ومتفائلة تقول الداعية أم علاء قاطرجي: لا شيء يعيق الداعية عن دعوتها إن صمَّمت وأرادت، مستعينة بالله - عز وجل - ملتمسةً رضاه وتوفيقه، مستخدمةً أنجح الأساليب لإقناع من يمنعها بنبل هدفها أو تذليل المصاعب التي تواجهها حتى ولو كانت على فراش الموت. وأعرف أختاً في أيامها الأخيرة وهي على سريرها في المستشفى كانت ترسل عبر جوالها رسائل دعوية لمن تعرف ومن لا تعرف، وبعد أيام أسلمت الروح لله؛ رحمها الله.

وتقول الداعية منى العجلة: العوائق كثيرة، ومنها: ندرة الطاقات النسائية القادرة على تبنّي الدعوة وتقديمها للمجتمع، وكذا دعوى الكمال الزائف وأن ما عندنا من جهد يغني عن الحاجة إلى الآخرين! وكذلك تدخُّل بعض المسؤولين عن النساء؛ مثل: (الأب، الأخ، والزوج) في عدم قناعتهم بدور المرأة في الدعوة وأن مسؤوليتها الكبرى البيت والأولاد فقط، وانشغال كثير من النساء في أمورهن الشخصية؛ مثل: الوظيفة وتربية الأبناء وطلب العلم وعدم التوفيق بينها وبين العمل الدعوي.

وتختتم الحديث حول هذه القضيَّة الأستاذة أسماء الرويشد فتقول: من أخطر ما يفتُّ في عضد العمل الدعوي المؤسسي عموماً والنسائي بشكل خاص: الرتابة في العمل، والفتور في تنفيذ الخطط، والتهاون في متابعتها.

• بين الدعوة وتربية الأولاد.. هذا هو الطريق:

سؤال مشروع: كيف تجمع الداعية إلى الله بين دعوتها وبين تربيتها لأبنائها والمحافظة على ذلك؟

تجيب الأخت الداعية أم علاء قاطرجي بقولها: يكون ذلك بالتنظيم وترتيب سُلَّم الأولويات واتِّباع الحكمة والاستعانة بالله - عز وجل - أولاً ثم بزوجها وأهلها وأخواتها في الله لتوزيع الأدوار وحمل الأعباء.

وقد أشارت الداعية منى العجلة لذلك وأضافت: الأسرة في نظري نعمة من النعم تسخرها المرأة لطاعة الله، وتدرس ماذا أمرها الله كزوجة؛ من حسن التبعُّل لزوجها وحسن رعايتها لأولادها، وهو بداية للنشاط الدعوي الكبير في نظري، فالزوجة الداعية لديها من مجالات الدعوة ما ليس لغير المتزوجة، إذ تحاول دلالة زوجها على الخير وحثّه على أن يكون في الصف الأول في كل شيء، وتؤهل أولادها للخير وتعلّمهم وتحثهم على معالي الأمور، وتتعاهدهم في صلاتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم، كما تعامل أقارب زوجها معاملة راقية فتعتني بمراعاة خواطرهم وهدايتهم والبعد عما يسبب المشاحنات والبغضاء.

وتختتم الحديث عن ذلك الداعية بشرى العوامي فتقول: يجب على المرأة المسلمة أن تعدَّ نجاحها في تربية أبنائها وبيتها على نهج الكتاب والسنة فإنه النجاح الأكبر، وإن الخسارة في ذلك هي الخسارة الكبرى، كما قال - تعالى -: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

إن الربح الحق والفوز الأكبر هو النجاح في تربية الأبناء والأقارب والأهل، حيث يلتقي الجميع عند مليك مقتدر، في جنات عدن، كما قال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]. ومن هنا فالدور الأكبر الذي يجب على المرأة المسلمة أن تؤدِّيه لدعوتها هو أن تنجح في تربية بيتها وأهلها على هدي الإسلام.

• الفجوة الحاصلة بين الداعيات:

يوجد من يقول: إن هناك فجوة موجودة بين الداعيات والمشتغلات بالدعوة، وقد أخذنا آراء الأخوات الداعيات حيال هذه القضيَّة، فتقول الداعية أسماء الرويشد: إن من أشد الأمور فتكاً بالدعوة أن تُصاب من الداخل، بتقطيع شبكة الاتصال فيما بين أفرادها، مما يحتم ضرورة التواصل والتنسيق بين العاملات في حقل الدعوة والتخطيط المشترك للمشاريع الدعوية، مع أهمية إدراك قضايا الأمة وبحث السبل لمعالجتها، والاستفادة من ذوات الخبرات والسبق؛ لصقل المواهب وتأهيل الداعيات المبتدئات.

أما الداعية الدكتورة فريدة الصادق فتقول: لا أنكر على الإطلاق أن الإهمال الذي تحدثت عنه قد يحدث لفترة معينة إذا ما اضطرت بعض العاملات في الوسط الدعوي أن تكون هي المسؤولة كلياً عن نشاط معين ولفترة معينة قد لا تتعدى الأيام الثلاثة خلال أشهر عديدة، خاصة في ظل الانسحاب المفاجئ ولظروف قاهرة من قِبَل عاملات أخريات؛ هنا فقط يحدث الإهمال الذي تزعمه بعض النساء العوام.

• مَدارات تربويَّة لفتيات جامعيات:

فتاة الجامعة مستهدَفة من الكيد الإعلامي، والفسق الإباحي، والذئاب البشريَّة، ولا بدَّ للداعيات من التصدي الواضح والجريء تجاه الجهود المبذولة لإفساد فتيات



الجامعات وخصوصاً في ظـلِّ الاختلاط الذي يُطبَّق بكليَّته على معظم جامعات الدول العربيَّة والإســلاميَّة؛ فما الدور المفروض تجاه فتيات الجامعة؟

تجيب الأستاذة أســماء الرويشد: الدعوة في الجامعات (فنٌّ) لا بــد من تعلّمه وإدراكه؛ لأنه خطــاب لعقول وأفهام شــريحة متفتحة على ثقافات واســعة ومتعددة وخاصة في عصرنا الحاضر، عصر ثورة المعلومات واختراق الثقافات.

ومن خلال ممارســتي الدعوية بين أوساط الفتيات في الكليات والملتقيات الخاصة بهن، لمست الحاجة إلى استخدام المدارات التربوية بعد فهم نفسيات وخصائص هذه المرحلة. ولقد رأيت أن أهمَّ مفاتيح الإقناع لدى الفتيات الحوار الهادئ والخطاب العقلي المنطقي، والسـعي لتخليصهن مـن مظاهر التناقض بين عاطفة حبهن للإســلام وانتمائهن له وبين جهلهن به والبُعْد عنه.

وتضيف الأستاذة أسماء الرويشد: إنَّ على الداعية أن تحاول تقوية صلتها بفئة الجامعيــات، وأن تكون قدوة لهن في فهم الإســلام كما ينبغي أن يُفهم، وسلوك الداعية العملي في هذا المجال مفيد للغاية، مع العمل على ترسيخ القيم والقناعات الصحيحة خاصة لــدى الفتيات؛ كــي لا تتحول الأخطاء من مســتوى الممارسة والسلوك إلى مستوى القناعات والقيم.

وننتقــل إلى رأي الدكتورة فريــدة الصادق حيث تقول: ما نحتاج إليــه نحن المربيات وأعضاء هيئــة التدريس في الجامعــة أن نعيــد بعث قيم العلم والمعرفة بين بنـاتنا، وأن ننشــر الأخلاق الكريمة في الوسط الجامعي سواء بين الطلبة أو الأســاتذة، وبعث قيم تكامــل العلم والأخلاق في النظام التربوي؛ فإن الذي أراه اليوم في ســاحات الجامعات غـياب (المربّي والمربِّين)، وكأني بالطلبة قد وصلوا إلى سنٍّ لا تسمح لنا ـ معشر المربِّين ـ أن نرشدهم إلى جادة الصواب والطريق الأمثل، وهم في الحقيقة في أمسِّ الحاجة إلينا في هــذه المرحلة؛ لأن الكثير منهم يفتقــد إلى القدوة والنموذج الفاعل الذي يقتدي به سواء في الجانب الأخلاقي أو العلمي.

بينما تقترح الأســتاذة منى العجلة حــول هذا الموضوع عــدَّة اقتراحات، مثل: تبادل الخبــرات والمعرفة والمعلومات بين الجامعات المختلفة، وضع الخطط والبرامج المنهجية في الأنشطة المتنوعة، تشــجيع من يهتم بالدعوة النسائية على إصدار الأبحاث والمقالات والدراسات المتخصصة التي تغطي كل ما تحتاجه المرأة، تماســك واجتماع كلمة الداعيات أمام جحافل الباطل وأدعياء التحــرر. قال ـ تعالى ـ: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: ١٨]، تســديد النقص، وتحديد الاحتياج الوارد في هذا المجال، وهو ضمان من كل تكرار لا يفيد.

• أين دوركنَّ في المستشفيات؟

إن مـن أعـظـم مهام الدعـوة إلى الله تلك التي تتسامى فـي لحـظـات الضـعف الإنســاني لتقدِّم يــد العون عند لحظات مرض الإنســان أو مرض أحد أقاربه أو أصدقائه، وهذا ما فطن إليــه المنصِّرون فكانت معظم جهودهم تحمل رســائل ومعنويات صحية إلى مرضى المسلمين. وبهذا الخصوص سألنا عدداً من الداعيات عن مدى اهتمامهنَّ بشؤون المريضات والطبيبات في المستشفيات والمستوصفات، فقالت الأستاذة أم علاء قاطرجــي: أينما وُجدت الداعية يجب أن تترك لها أثراً، ولكن ضمن الحدود والآداب الإسلامية؛ فكم من الطبيبات المسلمات كنَّ سبباً في هداية من يلتقـين بهـن، وكذلك دعــوة زميلاتهـن عبر ربطهــم بالدعاة. ومما أعرف عن إحدى الفاضلات أنها دخلت المستشــفى لتطبيب ابنها ومكثت فيه أياماً عديدة مارست فيها الدعوة بأساليب شتى، فاســتقطبت الممرضات وبعض الطبيبات فكنَّ يزرنها ليلاً للتحدث إليها والســؤال عن أمور دينهن، وكانت النتيجة أن إحداهن تحجبت وانتقبت، وبَنَتْ علاقة طيبة مع عدد من الطبيبات اللواتي يقدِّمن الآن خدمات مجانية للفقراء.

" الهمَّــة فــي الدعــوة إلــى اللــه ينبغــي أن تكون إلــى الممات؛ فهناك أخــت داعية كانت على ســريرها في المستشفى في أيامها الأخيرة وكانت ترســل عبــر جوالها رســائل دعوية لمن تعــرف ومن لا تعرف وبعد أيام أسلمت الروح لله"

ومـمــا ذكرتــه الداعية عبير الحلو في هــذا الصدد أنَّ الدعوة الإســلامية في قطاع غزة فطنت إلى أهميَّة الدعوة بالمستشــفيات، فبدأت الجهود في الثمانينيــات من القرن الميــلادي الماضي لافتتاح كلية تمريض إســلامية، وقد حال الاحتلال الصهيوني دون ذلك، إلا أن الحلم تحقق ـ بعون الله ـ في بداية التسعينيات، وبدأت أفواج الممرضات بالزي الأبيض الإســلامي تنتشــر كاليمام الأبيض في المستشفيات ولأول مرة بلا ماكياج أو ســفور، وكانت هذه البداية لنشــر الدعوة حيث تحرص تلك الممرضات علــى الرعاية الروحية وتذكير المرضى بالله ـ عـز وجل ـ والصبر على المرض والابتلاء وغير ذلك، كما يقمن بإرشاد ذوي المرضى المحتضَرين إلى ضرورة



تذكيرهم بالشهادتين وتوجيههم تجاه القبلة وما إلى ذلك.

وتحدثنا الدكتورة الداعية فريدة الصادق بأنَّ لها صديقات طبيبات، وأنهنَّ يحدثنها عن صعوبات يجدنها في الوسط الطبي بسبب الاختلاط؛ وبسبب غياب كثير من الأخلاق الإسلامية بين الأطباء والممرضين وحتى المرضى أنفسهم؛ فالمريض وهو يريد أن يعبر عن شكره لطبيبته يحاول أن يقبِّل رأسها أو يدها.. والطبيب لا يتوانى عن مدِّ يده لتحية زميلته الطبيبة والممرضة، وهكذا..

لذا؛ فإن الطبيبات والممرضات الواعيات بضرورة نشر قيم الإسلام وتطبيقها يقع على عاتقهن عمل تحفّه الكثير من الصعوبات كما أوردت، وأول مبادرة في رأيي تكمن في التمسك بتعاليم الدين وعدم الانحراف عنها قيدَ أنملة، ففي هذا العمل تكمن الدعوة بالقدوة، وعندما يحدث الانسجام وتنتشر الثقة بين الملتزمات بالنهج الإسلامي يبدأ دور الدعوة بالخوض في نقاشات جادة علمية كانت أو ثقافية والتي تكون المدخل الأساس لنشر وبثّ التوجيهات والقيم الإسلامية في هذه الأوساط.

• هل ثمَّة ضعف في التخطيط؟

يلاحظ بعض المراقبين للواقع الدعوي النسائي ضعف التخطيط الدعوي، وعدم التنسيق بين الجهود الدعوية النسائية، وغياب النظرة الاستشرافية للمستقبل، ولهذا السبب سألنا الأخوات الداعيات عن سرِّ ذلك، ومن خلال أجوبتهنَّ تبيَّن لنا أنهنَّ يوافقن ما ورد بضعف التخطيط في الدعوة النسائيَّة، وغياب فقه الاستراتيجيات عن العمل النسوي الدعوي، أو أنه قصير المدى يعمل بالمناسبات فقط - كما عبَّرت عن ذلك الداعية فريدة الصادق - وأنَّ الجهود الدعوية المبذولة على صعيد المرأة تحاول بقدر المستطاع تقديم رؤية شرعية، ولكنها تظل تتَّسم غالباً بردّة الفعل وبالتكرار أحياناً، وبفقدان الشمولية والتكامل والقلة، كما أنها تفتقر بشكل ملموس وملاحظ إلى المعلومة الدقيقة والإحصائيات؛ **على حدِّ تعبير الداعية منى العجلة.**

وترى الأستاذة مريم النعيمي أنَّ الجواب عن ذلك بحاجة إلى صراحة وشفافية ووضوح؛ حتَّى يمكن أن نضع أيدينا على جوهر الضعف، ولهذا فإنَّ ما وقفت عليه من جهود فئة من العاملات في حقل الدعوة من نساء الخليج يبين أنَّ التخطيط في غالبه جيد (ضمن حدود الأهداف التي تغلبها البساطة والمحدودية) لكن التوثيق الإعلامي هو الحلقة شبه المفقودة وشبه المغيَّبة عن الحراك الدعوي في المحيط النسائي.

وترى الأستاذة مريم النعيمي أنَّ الداعيات لو كنَّ على وعي كامل بقيمة التوثيق الإعلامي لاختلفت النتائج على الأرض بصورة جذرية، وترى أنَّ سبب ضعف التوثيق الإعلامي، يعود إلى أمرين اثنين، هما:

١- محدوديَّة سقف الطموح، والقبول بسقف محدود للأهداف والتخطيط ضمن هذا السقف.

٢- ضعف الإنتاج الفكري لفئة النساء العاملات بالدعوة، مما يشكل بحدِّ ذاته فراغاً فكرياً خطيراً يساهم في الشعور بضآلة الجهود النسائية في هذا الحقل الهام. والثابت أيضاً أنه ما لم تكن هناك قامات فكرية سامقة بحجم وجود الرجال في هذا المضمار فإنه يترتّب على هذا التقصير شعور عام بأن المرأة الملتزمة العاملة في مضمار الدعوة ما زالت أدواتها العلمية قاصرة عن أن تصل بها إلى مستوى الريادة والتأثير.

غير أن الداعية أم علاء قاطرجي تفسِّر ذلك الضعف بسبب قلَّة الطاقات النسويَّة الدعويَّة التي تهتم بالمجال التخطيطي والاستراتيجي الدعوي.

كما تشير إلى أنَّ من أسباب ضعف التنسيق بين الداعيات التباين في الفكر وأسلوب الدعوة وأحياناً يرجع الأمر إلى أمراض دعوية.

واستدركت بقولها: ولكن لا يخلو الأمر من التنسيق بين الدعوات المتقاربة في الفكر والمنهج، وهنا أودُّ لفت النظر إلى ضرورة أن تتواصل الدعوات النسائية عبر الحدود وتتخطى التقوقع داخل الجغرافيا المصطنعة.

• أفكار وأشكال دعويَّة:

هناك مجالات للدعوة الناجحة التي تقترحها الداعيات، **فمن تلك المجالات ما ذكرته الداعية الدكتورة فريدة وعدَّته**

المجال الأول: أن تنجح الأخت الداعية في إيجاد جوٍّ صحي في البيت، ووجود قدرٍ كافٍ من الحوار بين جميع أفراد الأسرة بمن فيهم الأبناء الصغار أنفسهم، ثم توفير مجالات للتعبير عن الحب بين الحين والآخر، ففي نظري أنه كلما استطاع كل فرد من أفراد الأسرة أن يعبِّر عن مكنوناته ومشاعره فإن ذلك يعني نجاح الأسرة في إضفاء أجواء السعادة المؤسَّسة على إظهار الشعائر الدينية المشبعة بالأخلاق والقيم الإنسانية والإسلامية.

وأمَّا المجال الثاني فهو مجال الجيران، فالرسول ﷺ عندما أوصانا بالجار - من مثل قوله: «ما زال جبريل يوصيني



بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» - ما هو إلا دلالة على مدى عمق الصلة التي تربطنا بجيراننا، فإذا ما نجحنا مع جاراتنا في توعيتهن وإشعارهن بأدوارهن، عندها سوف ننجح في استنهاض أفراد أسرهن جميعاً.

وتقترح الأخت الداعية أم علاء قاطرجي عدَّة مجالات دعويَّة للمدعوات، بدءاً بالبناء الفردي، والاهتمام بالمجال الإعلامي كنشرة ومطوية ومجلة وأشرطة، والاعتناء بإقامة المحاضرات والندوات واللقاءات الحواريَّة والدروس الأسبوعيَّة، وإقامة مؤتمر الطالبات السنوي وتوعيتهنَّ فيه، مع إقامة الرحلات الهادفة غير المختلطة في الأماكن الآمنة، مع أهميَّة اكتشاف الطاقات واستثمارها من خلال اللجان المتعددة الاختصاصات.

وترى الداعية منى العجلة أنَّ من المهم إعداد الداعيات المسلمات كما يُهتم بإعداد الدعاة الرجال؛ حتى يكون هناك تأهيل؛ لأن المشكلة هي وجود الفراغ الذي ليس هناك ما يسدّه، والرجل مهما أُوتي من عمل ومهما قامت أنشطة للرجال فإنها لا تسدّ هذه الثغرة. وتضيف: ومن المهم أيضاً التعاون البنّاء بين الدعاة وبين صفوف النساء والداعيات للتعريف بمواطن الخطر والتزويد ببعض ما ينفع في التوجيه والإرشاد.

وكذا السعي الحثيث والجاد لإيجاد بدائل متنوعة تعمل على الترويح والإفادة للنساء، وأن تُقدَّم لهن البرامج التي تعوضهن عن المجلة الفاسدة والشريط الماجن بالحلول والبدائل النافعة.

• طموحات دعوية:

للأخوات الداعيات المشاركات في التحقيق طموحات وآمال يرغبن أن تُقام وتُغرس في أرض الواقع؛ لتنمو على أصول صحيحة، ويأملن برؤية آثارها ونتائجها حيَّة في دنيا الناس.

فالأخت الداعية أم علاء قاطرجي تقول: من آمالي وطموحاتي: بناء المرأة المسلمة وَفْق منهج الكتاب والسنة – دعوة غير المسلمات للإسلام والتركيز على هذه الفئة – إقامة مدرسة إسلامية متميزة في علومها العصرية وتوجُّهها الإسلامي – ووضع كل الجهود الجادة والمكثفة على الطريق الطويل لاستئناف حياة إسلامية بإذن الله.

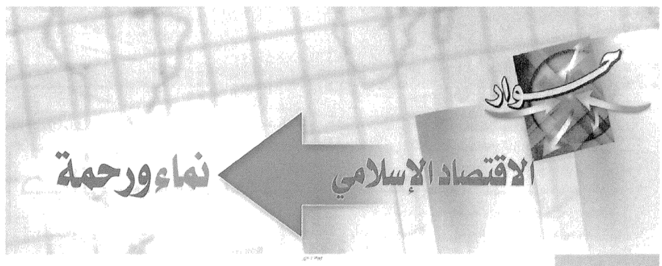
أما الداعية أسماء الرويشد فتقول: لي طموح كبير في إقامة المؤسسات المتخصصة في شؤون المرأة والأسرة، وأن نسبق الزمن ونواجه ما نتوقعه ونحتمله بإنشاء برامج لمواجهة الامتداد التغريبي، وذلك بإعمال الفكر في الواقع والمستقبل.

وتضيف: كما أن لي طموحاً في تأسيس الأعمال الدعوية المشتركة بين الداعيات، التي تسهم في تغطية أكبر مساحة من مجتمعاتنا الإسلامية في مواجهة المدِّ التغريبي والتصدي له بالتعاون مع مؤسسات المجتمع المتصلة بالمرأة.

ومن طموحاتي التي تحققت على أرض الواقع توظيف الجهود النسائيَّة والاستفادة من شتَّى القدرات الإنتاجيَّة لها، وتسخيرها في العمل الدعوي والتثقيفي، وقد ضربتُ مثالاً على ذلك بـ (مركز آسية للاستشارات التربويَّة والأسريَّة) حيث استثمرت جهود وطاقات العديد من ذوات التخصص الاجتماعي والنفسي والتربوي في تقديم المشورة وإقامة الدورات التي تسهم في رفع مستوى المرأة الفكري والاجتماعي وحل مشاكلها النفسية والأسرية.

أمَّا الأستاذة منى العجلة فتذكر شيئاً من طموحاتها وآمالها بإعداد قاعدة معلوماتية لكل ما نُشر عن المرأة في الصحافة العربية وغيرها، وإجراء الدراسات الميدانية عن العادات الاجتماعية وأثرها على أنماط السلوك النسائي في مختلف البلاد، وإقامة مجموعات عمل لمناقشة قضايا اجتماعية ملحة؛ كالطلاق والعنوسة وعمل المرأة وآثارها على بنية المجتمع وكينونة الأسرة ووضع توصيات ومتابعة تنفيذها مع الجهات ذات العلاقة، وبحث إمكانية التعاون والتنسيق بين الهيئات النسائية الدعوية القائمة في العالم، والتعاون مع الجامعات ومراكز البحوث لإدراج قضايا المرأة ضمن أولوياتها والتعاون في اقتراح الأفكار والمشروعات العلمية، وكمثال على البحوث الأكاديمية تناول تأثير القنوات الفضائية على أفكار البنات في المرحلة الجامعية. ومن طموحاتها أيضاً: متابعة المؤتمرات الدولية التي تتحدث عن المرأة والمشاركة بفاعلية؛ بغرض الدفاع العلمي الرشيد عن قضايا المرأة المسلمة.

وعند هذا الحد يقف بنا المسير في حديث الأخوات الداعيات عن هموم الدعوة النسائيَّة، وما يتعلق بها من شؤون وشجون، نسأل الله - تعالى - أن ينفع بهذا التحقيق، وأن يجزي الداعيات خير الجزاء على مشاركتهنَّ وتفاعلهنَّ معنا في هذا الموضوع، والله المستعان، والحمد لله رب العالمين.



الاقتصاد الإسلامي نماء ورحمة

حوار مع فضيلة الشيخ د. علي السالوس

أستاذ الاقتصاد الإسلامي
ونائب رئيس مجمع فقهاء الشريعة

حاوره: عمرو توفيق

• النظام الربوي عائق أمام التنمية الاقتصادية.

• البنوك الإسلامية بحاجة إلى الدعم والمراجعة.

• الاقتصاد الإسلامي عالج مشكلات الفقر والبطالة بشكل جذري.

هذه هي أبرز النقاط التي تحدث عنها فضيلة الشيخ الدكتور «علي السالوس» أستاذ الفقه والأصول، والأستاذ الفخري في الاقتصاد الإسلامي والمعاملات المالية المعاصرة في جامعة قطر، والنائب الأول لرئيس مجمع فقهاء الشريعة في أمريكا. وإليكم نص الحوار:

البيان: يزعم العلمانيون أن الاقتصاد علم لا دين له، وأنه لا يوجد نظام اقتصادي في الإسلام، فما رد فضيلتكم على ذلك؟

■ منذ عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين حتى الدولة العثمانية...، ما الذي كان يطبق؟ هل كان هناك اقتصاد أم لم يكن هناك اقتصاد؟ أكان هذا الاقتصاد مستمداً من الشريعة الإسلامية أم من القوانين العلمانية؟ وإلامَ يستند هذا الزعم؟ وماذا نفعل بهذه القرون الطويلة التي كان الاقتصاد الإسلامي هو المطبق في الدولة الإسلامية؟

وعندما جاء ما يسمونه عصر النهضة - والأَوْلى أن يسمى عصر الظلام أو عصر النكبة - ولما قضي على الخلافة الإسلامية المتمثلة في الدولة العثمانية التي شُوِّهت صورتها في الدراسات المعاصرة؛ بعد هذا طُبِّق الاقتصاد الوضعي العلماني. ثم لما بدأت الأمة في النهوض من جديد، وانتشرت اليقظة والصحوة الإسلامية؛ صاحبتها الدعوة إلى تطبيق الإسلام ومن ضمنها الاقتصاد الإسلامي. فكيف يأتي هذا السؤال؛ وهناك مئات الدراسات في الاقتصاد الإسلامي، وهناك كليات ومعاهد ومراكز وأساتذة متخصصون في الاقتصاد الإسلامي؟ وماذا يدرِّس كل هؤلاء؟

أذكر في اجتماع مشترك بين كلية الشريعة والإدارة والاقتصاد في جامعة قطر، والحديث كان عن: كيف سيدخل الاقتصاد الإسلامي في الجامعة؟ وكان هناك أستاذ كبير في الاقتصاد الإسلامي، بالإضافة إلى خبير في الاقتصاد الوضعي، وسأل: هل في الاقتصاد الإسلامي ما يكفي لمادة تُدرَّس؟ فقلت له: وهل هذا الأستاذ الكبير يُدرِّس شيئاً لا وجود له؟!

والذي يقول: إن الاقتصاد علم لا دين له، وأن الإسلاميين هم الذين ألبسوا الاقتصاد العمامة الإسلامية، فهو كلام مردود، وإن كان ينطبق على شيء فيمكن أن ينطبق على النصرانية أو اليهودية، لكنه لا ينطبق على الإسلام؛ فالإسلام دين ودولة وليس خاصاً بالمساجد، والاقتصاد الإسلامي طُبِّق بالفعل في القرون الماضية، ويطبق الآن بشكل جزئي في أماكن مختلفة.

البيان: لماذا فشلت معظم خطط التنمية في الدول الإسلامية على الرغم من قيامها على دراسات وخطط اقتصادية؟

■ الاقتصاد الإسلامي اقتصاد أخلاقي، وهذه ميزة



تميـــزه عن الاقتصاد الوضعي، وهـــو قائم على أن المال مال الله - ســـبحانه وتعالى - وأننا مســـتخلفون في هذا المال، ولذلك نحن نتصرف اقتصادياً وفق ما يبينه الله - ســـبحانه وتعالى - في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله ﷺ.

ومـــن أهم قواعد الاقتصاد الإســـلامي التي بينها اللــه - عز وجل -: ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَـا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ [البقرة: ٢٧٦] فهل ينظر أو يهتم الاقتصاد الوضعي بذلك؟ بالطبع لا؛ لأنه اقتصـــاد قائم على الربا، لذلك يُمحق ويُســـحق على الرغم من كل الدراســـات والخطط؛ لأن الخالق العليم الخبير هو الـــذي قال هذا وهو أعلم بمن خلـق، ووعـد بمحـق الـربا وكـل ما يترتب عليه. ويكفينا أن التعامل بالربا واســتحلاله يســـتوجب حرب الله ورسوله ﷺ؛ فهل ننتظر تنمية ونهوضاً لمن يحاربه الله ورســـوله؟ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِـيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُـم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُـوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُـولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُـمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقـرة: ٢٧٨ - ٢٧٩]. أما النماء والخير، فيأتي بتطبيق شـــرع الله في كل كبيرة وصغيرة في حياة الفرد والأمة، وعلى جميع المستويات السلوكية والأخلاقية والمالية والسياسية.

ومثال بســـيط جداً على ذلك: ففي تركيا رمز العلمانية في العالم الإســـلامي؛ عندما تولى شيئاً من أمورها جماعة تنتســـب إلى الإســـلام؛ نهض اقتصادهـــا، وأصبحت قوة اقتصادية صاعدة بعدما كانت غارقة في الفســـاد والتدهور الاقتصادي في زمن العلمانية.

إن تنمية المجتمع الإسلامي تقوم على معرفة الفرق بين الفائدة الربوية التي تمحق وبين نظام المضاربة الإســـلامي، فبينما نجد في النظام الرأسمالي الاعتمادَ على خلق النقود وإقراض ما لا يملك الإنسان وما لا وجود له بفائدة؛ نجد أن فلسفة القرض في الإســـلام هو أنَّ قرضَ درهمين كصدقة درهم، فالقرض في الإســـلام هدفه الأسمى هو الثواب من عنـــد الله - عز وجل -: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّـهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُـكُورًا ﴾ [الإنسـان: ٩]، ولا يستخدم القرض وسيلة اســـتثمار، إنما المضاربة هي وســـيلة الاســـتثمار، والقرض فقـــط للثواب من عند الله، ســـبحانه وتعالـــى. لذلك؛ فإن تطبيق الاقتصاد الإسلامي ضمن التطبيق الشامل للشريعة الإسلامية؛ سيكون له الأثر الواضح في تنمية المجتمع.

البيان: ما مخاطر الربا من الجانب الاقتصادي؟

■ إن للربـــا كوارث وليس مخاطر فقـــط، وهو ما قاله «جوهان فيليب بتمان» أحـــد علماء الاقتصاد الوضعي وفي الوقت ذاته مدير بنك ألماني، قال ذلك في بحث بعنوان «كارثة الفائدة»، رُشِّح بسببه لنيل جائزة نوبل في الاقتصاد، أوضح خلاله أن ارتفاع الفائدة يؤدي إلى تدهور النقد وتدمير قيمة العملة، ونســـف أي نظام نقدي ما دامت تزيد كل يوم. وقال: إن ذلـــك يعني - بعبارة أخرى - أن تمتلئ بالونة النقود بهواء ساخن إلى أن تنفجر، فيعقب ذلك الكساد؛ فالفائدة المرتفعة معناهـــا زيادة تضخميـــة في النقود، ولذلـــك كانت الفائدة المرتفعـــة هي التضخم ذاته. فالفائدة المرتفعة معناها ارتفاع الأســـعار دون أن يقابل هذا الارتفاع إنتاج أو جهد إنتاجي. أي: زيـــادة في المديونيات دون زيادة مماثلة في الإنتاج، ومـن ثـم الفـــوائد لا تُسدد، وتتراكم يوماً بعد يوم.

هـــذه الكارثة الاقتصادية أكدها أيضـــاً الدكتور «رفعت العوضي» أســـتاذ الاقتصاد في جامعة الأزهر، والذي أوضح أن الدراسات التطبيقية أثبتت أن رؤوس الأموال التي تتعامل بالربـــا تنقص قيمتها الحقيقية، وثبت ذلك في الدراســـات التي تناولت الادخارات النفطية. وقد اقترح الاقتصاديون أنه لضمان عدم تناقص القيمـــة الحقيقية لرؤوس الأموال، أن يكون أســـلوب استثمارها هو المشاركة، وهو ما قاله الإسلام منذ ١٥ قرناً.

وهو أيضاً مـــا اقترحه الخبير الألمانـــي (بتمان)، حيث طالب باتباع سياســـة تجعل الفوائد لا تزيد عن الاستخدام الفعلي لرأس المال العيني، أي كلما زاد الإنتاج زادت الفوائد، وإذا وصل الإنتاج إلى تحت الصفر تصبح الفوائد سلبية، أي: خسارة، وهذا هو مبدأ الغُنم بالغُرم، أو مبدأ المشاركة الذي تشير إليه المبادئ الاقتصادية الإسلامية.

لكن ما يحدث الآن وفي الوقت نفسه يسبب الكارثة؛ أن الربا أخرج النقود عن مهمتها الأســـاســـية في تسهيل التبادل وتيسيره في السلع والخدمات إلى التجارة في النقود ذاتها. لذلـــك يقول مترجم البحث الألمانـــي، الدكتورُ أحمد النجار - رحمه اللـــه -: إن العالم يبحث عن منقـــذ من الكـــارثـة، ولا إنقاذ إلا بتطبيق التوجهات الاقتصادية الإسلامية تطبيقاً سليماً؛ فالجميع يمد يديه للخلاص؛ فهل يدرك الاقتصاديون الإسلاميون مسؤوليتهم ودورهم؟

البيان: نلاحظ في الآونـة الأخيرة تزايـــد التحول نحو المعاملات الإسلامية، فبمَ تفسرون ذلك؟

■ هذا التحول يكون على وجهين: الأول: من جهة الدول



الغربية التي تنظر إلى البنوك الإسلامية وتحاول أن تطبق منهجها في كثير من الحالات؛ لأنها رأت في ذلك مصلحتها. والأمر لا يتعلق بالجوانب الأخلاقية أو الدينية، فليس لديهم اهتمام بذلك، لكن من جانب المصلحة الدنيوية. فتفسير هذا التحول هو الكسب المادي وليس النواحي الشرعية أو الأخلاقية، فهذا التحول يدر عليهم أموالاً ويؤدي إلى كسب مادي.

والجهة الأخرى: من جانب المسلم الذي يتجه لدينه ويسعى للربح في الدنيا والآخرة، فهناك عودة قوية للإسلام، ففي البرامج الاقتصادية التي نقدمها على بعض الفضائيات الإسلامية؛ تأتي أسئلة تدل على يقظة إسلامية قوية وصحوة لضمير الأمة، فالناس يسألون عن الحلال والحرام في أدق المسائل والمعاملات المالية والاقتصادية. والأمر في النهاية سيعود للإسلام، وسنرى تطبيق الشريعة ولن نسمع عن بنك ربوي وبنك إسلامي، فستكون كلها بإذن الله - تعالى - إسلامية خالصة.

البيان: ما خصائص الاقتصاد الإسلامي التي تميزه عن الاقتصاد الوضعي؟

■ هناك عدة خصائص تميز الاقتصاد الإسلامي عن النظم الاقتصادية الأخرى، ومن أهم هذه الخصائص:

ربانية المصدر: فالخصيصة الأولى للاقتصاد الإسلامي أنه رباني المصدر؛ فهو جزء من الإسلام، فمصدره إلهي مستمد من بيان الله - عز وجل -، فهو ليس الاقتصاد الذي قال به أفلاطون أو أرسطو، وليس اقتصاد التجاريين أو الطبيعيين، أو الكلاسيكين أو الماركسيين... ومصادر هذا الاقتصاد هي القرآن الكريم والسنة النبوية، والإجماع، والقياس. لذلك، فإن الاقتصاد الإسلامي في جملته مصدرُه الوحي، أو الاجتهاد في ضوئه. وهذه الخصيصة لا توجد في أي مذهب اقتصادي آخر، فكل المذاهب الأخرى من وضع البشر. كما أن الاقتصاد الإسلامي وحده رباني المصدر، فالشرائع السابقة للإسلام كانت مؤقتة تمثل مرحلة انتقالية إلى أن يأتي الدين الخاتم، لذلك لم يكن هناك منهج اقتصادي متكامل ولا سيما مع تحريف التوراة والإنجيل وتبديلها. لذلك؛ وجب الإيمان بأن الاقتصاد الإسلامي هو الأصلح للناس، وينبغي الأخذ به وتطبيقه، فهو اقتصاد معصوم في أوامره ونواهيه ومبادئه الكلية، وأقرب إلى الصواب في الأمور التي تكون بالاجتهاد.

ربانية الهدف: الاقتصاد الإسلامي يهدف إلى سد حاجات الفرد والمجتمع الدنيوية، طبقاً لشرع الله - تعالى - الذي استخلف الإنسان في التصرف في المال والانتفاع به، فالمسلم يدرك أن المال ملك الله - عز وجل - فيكون إرضاء مالك المال - سبحانه وتعالى - هدفاً يسعى إليه المسلم في نشاطه المالي والاقتصادي.

وهذا الهدف ينفرد به الاقتصاد الإسلامي عن غيره من المذاهب الوضعية، فهدف التجاريين الحصول على أكبر قدر من الذهب، والطبيعيون اتجهوا إلى الثروة الزراعية، وقللوا من شأن الصناعة والتجارة. والرأسماليون يهدفون إلى المنفعة وإشباع الرغبات دون النظر إلى حلال أو حرام، والماركسيون هدفهم المادي يتجه لخدمة الشيوعية الملحدة.

الرقابة المزدوجة: عندما يضع أي نظام بشري مبادئه وقوانينه، فإن التطبيق يحتاج إلى جهاز للرقابة، ويستطيع الناس مخالفة هذا النظام ما داموا بعيدين عن أعين الرقباء. أما في الإسلام؛ فإن النشاط الاقتصادي يخضع لرقابتين: بشرية، وهي وظيفة المحتسب لمراقبة النشاط الاقتصادي، إلى جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ورقابة ذاتية نابعة من إحساس المسلم أن الله - عز وجل - أحلّ كذا وحرم كذا، وأنه تحت سمع ربه وبصره، سبحانه وتعالى.

الجمع بين الثبات والتطور: في الاقتصاد الإسلامي أمور ثابتة لا تتغير ولا تتبدل مهما تغير الزمان والمكان، مثل: تحريم الربا، وأنصبة الزكاة والمواريث، وعقوبة السرقة... وهكذا. من جهة أخرى، فالإسلام جاء خاتماً للأديان وليطبق في كل مكان وزمان، لذلك كان في اقتصاده من المرونة ما جعله يتسع للأساليب المختلفة ما دامت لا تتعارض مع أصل ثابت. ومن المعروف أن الأصل في العبادات الحظر وفي المعاملات الإباحة، فكل عبادة ممنوعة ما لم يوجد ما يدل على مشروعيتها، وكل معاملة مباحة ما لم يثبت ما يمنعها.

التوازن بين المادية والروحية: الإنسان مادة وروح، وخالقه - عز وجل - يعلم ما يصلح لكل منهما وما لا يصلح ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] فجاء الاقتصاد الإسلامي بالتوازن بين الجانبين؛ بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر، ولهذا وجدنا الربط بين التنمية الاقتصادية والتنمية الإيمانية: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف:



٩٦]، وجعل الجهاد في سبيل الله مع الضرب في الأرض: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]. بل جعل النشاط الاقتصادي سعياً في سبيل الله، كما جاء في الحديث الشريف: «إن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفّها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان». كما أن الإسلام منع التفرغ للعبادة والرهبانية وجمع بين العبادة والعمل، وجعل المسلم وهو يعمل يتجه إلى الله - عز وجل -: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة: للإنسان دوافعه ورغباته وما يراه محققاً لمصلحته الخاصة، وقد تتعارض مصلحة الفرد مع مصلحة الجماعة، فراعى الاقتصاد الإسلامي التوازن التام بين المصلحتين. ومن المعلوم أن ما يملكه الفرد لا يجوز غصبه أو الاعتداء عليه، كما قال ﷺ في خطبته يوم عرفة من حجة الوداع: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام؛ كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا في بلدكم هذا». وللمالك حق الانتفاع المشروع بما لا يتعارض مع مصلحة الجماعة، وليس له حق استخدام ما يملك بطريقة تسبب الضرر للآخرين، وليس له كذلك تعطيل الانتفاع تعطيلاً يضر بمصلحة الجماعة. والمحتكر الذي يستغل حاجة الجماعة يُمنَع من ذلك ويجبره ولي الأمر على البيع بثمن المثل. وإذا أصبح العمل فرضَ عين على أحد لمصلحة الجماعة؛ أُجبر على العمل بأجر المثل. وهذا التوازن لا يوجد في المذاهب الوضعية، فالرأسمالية اتجهت نحو الفرد وإشباع رغباته دون حدود أو قيود، فلا يجبر على فعل شيء حتى لو كان في ترك ذلك ضرر للجماعة. والماركسية ألغت مصلحة الفرد إلغاء تاماً، إذا استثنينا أفراد الحزب الشيوعي. وهكذا نجد اتجاهين متعارضين متناقضين، ويبقى الاقتصاد الإسلامي متميزاً بخصيصة التوازن.

الواقعية: الاقتصاد الإسلامي واقعي في مبادئه ومنهجه وأحكامه، ينظر إلى الواقع العملي الذي يتفق مع طبائع الناس، ويراعي دوافعهم وحاجاتهم ومشكلاتهم، ولا يجنح إلى خيال وأوهام، ولا ينزل إلى درك لا يتفق مع البشرية التي كرمها الله، سبحانه وتعالى. ولْنتدبر قول العليم الخبير: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢]، فهذا هو واقع الناس واختلافهم في الرزق والجاه، ليتخذ بعضهم من بعض أعواناً يسخّرون في قضاء حوائجهم حتى يتساندوا في طلب العيش وتنعيم الحياة، وختام الآية له أثره البالغ في أن يكون هذا في تراحم وتعاون محمود. كما أننا نجد في الواقع الاختلافات والفروق الفردية، فهناك الغبي، والذكي القوي، والضعيف الغني، والفقير، لكن الإسلام يضع من الحقوق والواجبات ما يمنع الظلم والتغابن. وشتان بين هذا وبين صراع الطبقات عند الماركسية! وشتان بينه وبين أوهام الرأسمالية عند آدم سميث الذي يقول: إن الإنسان في سبيل تحقيق مصالحه الخاصة يحقق مصلحة الجماعة دون توجيه أو إرشاد! وهذه أوهام بعيدة عن أرض الواقع.

العالمية: من الخَمْس التي خُص بها خاتم الرسل ﷺ أنه بُعث للناس كافة، وكان كل نبي يبعث لقومه خاصة، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ولهذا جاء الإسلام صالحاً لكل زمان ومكان. والاقتصاد جزء من هذا الدين الخاتم، ولهذا جاء بأحكام كلية ومبادئ عامة تناسب كل زمان ومكان وتسع اجتهادات المجتهدين، وجعل الأصل في المعاملات الإباحةَ ما لم يوجد ما يعارض نصاً أو مقصداً من مقاصد التشريع الإسلامي. ولعل الشرائع السابقة لم تأتِ بنظام اقتصادي عالمي متكامل؛ لأنها كانت محددة الزمان والمكان. والمذاهب الوضعية كل منها نظر إلى البيئة التي نشأ فيها والظروف المحيطة.

ولمن أراد مزيداً من التفاصيل بشأن هذه الخصائص؛ يمكن الاطلاع على كتاب (موسوعة القضايا الفقهية المعاصرة والاقتصاد الإسلامي).

البيان: بعد مرور نحو ٣٠ عاماً على تجربة البنوك الإسلامية، هل هناك حاجة لإعادة النظر فيها؟ بعضهم يقول: إنها مجرد واجهة إسلامية لممارسات ربوية.

■ بالطبع من المفترض إعادة النظر باستمرار؛ لتجنب الأخطاء واستثمار النجاح، ولذلك دعت المجامع الفقهية إلى تشجيع البنوك الإسلامية وأيضاً مراجعة أنشطة هذه البنوك ومراقبتها للتأكد من مدى تطبيقها للشريعة الإسلامية، ولذلك فإن إعادة النظر ضرورة دائمة للتأكد من مطابقة الأنشطة البنكية للشريعة الإسلامية.

وأما ما يقال عن أن بعض البنوك الإسلامية إنما هي

مجرد شعارات فقط لا غير، وأنها واجهة إسلامية تغطي وراءها أعمال البنوك الربوية وأنشطتها؛ فأقول: إن البنوك التي تفعل ذلك ليست إسلامية أو ربوية، وإنما هي مثل المنافقين؛ تظهر الإيمان وتبطن الكفر، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار، فالبنك الذي يعلن أنه إسلامي ثم يتعامل بالربا أسوأ من البنوك الربوية التي تعلن من البداية أنها تتعامل بالربا وإن وصفته بالفوائد والأرباح وما إلى ذلك.

البيان: أين دور هيئات الرقابة الشرعية في البنوك الإسلامية؟ وهل هو دور رقابي أم استشاري؟

■ في بعض البنوك يكون دور هيئة الرقابة الشرعية دوراً استشارياً فقط، أي: لا سلطة لها، وإنما تُعرض عليها بعض الأشياء وتقول رأيها، وهذا لا وزن له. لكنّ هناك بنوكاً أخرى ملزّمة بقرارات هيئة الرقابة الشرعية.

وبشأن الادعاء بأن جميع هيئات الرقابة الشرعية مجرد حبر على ورق ولا دور لها؛ فإن القاعدة الإسلامية أن البينة على من ادعى. ومحدثكم كان عضواً في هيئة الرقابة الشرعية لأحد المصارف الإسلامية لعدة سنوات، وكانت تقوم بالاطلاع على المعاملات قبل تنفيذها وتعطي رأيها بالجواز من عدمه، وأنشأنا إدارة للتدقيق الشرعي الداخلي مهمتها النظر في أعمال المصرف، ثم إذا وجدت ما يخالف قرارات هيئة الرقابة الشرعية؛ تعرضه على الهيئة لتصحيح ذلك، وهذا التصحيح في بعض الحالات كان يؤدي إلى خسارة المصرف الملايين، وكانت الهيئة تلغي قرارات لمجلس الإدارة إذا كانت تتعارض مع الشريعة الإسلامية.

لكن هل كل البنوك تطبق هذا، أو هل كل البنوك الإسلامية لا تطبق؟ فهذا سؤال يحتاج إلى مراجعة. لكن الثابت أن واقع هيئات الرقابة الشرعية يقع بين الأمرين، فليست كل هيئات البنوك الإسلامية هامشية ولا دور لها، وليست كلها أيضاً لها قرارات ملزمة وتقوم بدورها على أكمل وجه، فواقعها وسط بين الطرفين.

ولخطورة دور هيئات الرقابة الشرعية؛ دعا المؤتمر الأخير لمجمع الفقه الإسلامي إلى إنشاء هيئة رقابة شرعية تابعة للبنك المركزي وليست لأي بنك إسلامي، وتشرف على كل البنوك الإسلامية في كل دولة، بحيث يكون هناك توحيد للفتوى والمعاملات المصرفية بالنسبة لهيئات الرقابة الشرعية في الدولة الواحدة. ولو طبقت هذه الصورة فيمكن أن تأتي بعد ذلك خطوات أكبر على مستوى العالم الإسلامي بشكل كامل.

البيان: كيف ينظر النظام الاقتصادي الإسلامي إلى قضايا الفقر والبطالة؟

■ الإسلام عالج مشكلة الفقر بشكل جذري، ووضع لذلك عدة خطوات عملية:

الخطوة الأولى: العمل والسعي في طلب الرزق الحلال، فالعمل واجب على الشخص القادر. والشخص الذي لا يجد عملاً؛ فواجب على من يستطيع أن يجد له عملاً أن يوفر له فرصة عمل. وإذا أصبح الشخص يعمل؛ فإننا نطبق حديث الرسول ﷺ: «من كان لنا عاملاً ولم يكن له زوجة فليتخذ زوجة، وليس له مسكن فليتخذ مسكناً، وليس له خادم فليتخذ خادماً، وليس له دابة فليتخذ دابة»، وهو ما يسمى في الاقتصاد الإسلامي «ضمان تمام الكفاية»، وهو من المبادئ الكلية للنظام الاقتصادي في الإسلام.

الخطوة الثانية: إذا كان الإنسان عمله لا يكفيه، أو لا يجد عملاً، أو غير قادر على العمل؛ فنأخذ من أقاربه الموسِرين. وعلى القريب الموسِر أن ينفق على قريبه الفقير إلى أن يصل إلى تمام الكفاية، أي: المسكن، والزوجة، والدابة، والخادم إذا كان يحتاج إلى خادم.

الخطوة الثالثة: إذا لم يكن للفقير أقارب موسرون؛ فنعطيه من الزكاة. وإذا قرأت في هذه المسألة ما ذكره الفقهاء تجد عظمة الإسلام؛ فبعضهم يقول: نعطيه من الزكاة مدة سنة، وبعضهم يقول: نعطيه مدة عمره؛ فنعطيه ضيعة إذا كان يحسن الزراعة، أو رأس مال إذا كان يحسن التجارة. وإذا كان عاجزاً عن العمل؛ قال الفقهاء: نجد له عقاراً يكفي حاجته من ريعه.

الخطوة الرابعة: إذا كانت الزكاة نفدت ولا تكفي، يأخذ الفقير من موارد الدولة من غير الزكاة.

الخطوة الخامسة: وإذا كانت موارد الدولة لا تكفي أيضاً؛ فهنا يُفرَض على أغنياء المسلمين بقدر حاجة الفقراء. كما حدث في عام المجاعة أو الرمادة في عهد سيدنا عمر ابن الخطاب، رضي الله عنه.

فلو طبقنا هذه الخطوات الإسلامية، فلن يكون هناك فقير أو مسكين؛ فهذا حل إسلامي جذري لمشكلة الفقر. وهذا يأتي ضمن تطبيق المنظومة الإسلامية المتكاملة، والاحتكام لشريعة الله - عز وجل - في كل مناحي الحياة.



- فتح ملف الخيانة «غزة جيت»

ممدوح إسماعيل

- اللوبي الصهيوني وصناعة الأجندة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط

محمد الشيخ بنان

- الجمهوري والديمقراطي في أمريكا... هل يستويان؟

أحمد فهمي

- «الصندوق الأسود» للعلاقات الأمريكية الإيرانية

أسامة سليم

- حكومة المنطقة الخضراء ولعنة صدام

د. يوسف بن صالح الصغير

- مرصد الأحداث

أحمد فهمي





فتح ملف الخيانة «غزة جيت»

ممدوح إسماعيل (*)
elsharia5@hotmail.com

غزة ذلك الجزء الغالي من فلسطين المحتلة والذي تبلغ مساحته ٣٦٠ كم٢، ويسكنه ما يقرب من مليون ونصف المليون نسمة، لِيسجِّل أعلى معدل ازدحام سكاني في العالم؛ تكالبت عليه مؤامرات الأعداء والخونة في الداخل والخارج.

والمؤامرات على غزة كثيرة، وذلك منذ أن عادت الدعوة الإسلامية إلى غزة وظهرت حماس وحركة الجهاد ودعاة الإسلام الذين طاردوا ضلالات الأفكار التي سيطرت على الكثيرين في غزة؛ من شيوعية واشتراكية وعَلْمانية وقومية، وقد تُوِّج ذلك كله بظهور قوي لحركة حماس تنامت قدراتها حتى أصبحت رقماً صعباً في الملف الفلسطيني. وبعد اتفاقية أوسلو في أوائل التسعينيات الميلادية من القرن العشرين ودخول ما يسمى السلطة الفلسطينية إلى القطاع والضفة؛ تعرَّض المنتسبون لحماس لاضطهاد وتعذيب واعتقال من شرطة ومخابرات السلطة الوطنية الفلسطينية. ومع انتفاضة الأقصى لم يسلم قيادات ومجاهدو حماس من الخيانة التي أرشدت العدو الصهيوني إليهم فأطلق صواريخه نحوهم ليفوزوا بالشهادة بفضل الله؛ وكان أبرزهم: الشيخ المجاهد البطل أحمد ياسين والمجاهد الدكتور عبد العزيز الرنتيسي، رحمهما الله تعالى. ومع دخول حماس معترك السياسة ثم فوزهم بأغلبية في البرلمان مكَّنتهم من تشكيل الحكومة وَفْق قواعد ما يسمى (الديمقراطية) زاد حقد الخونة في فلسطين، وعملوا بكل الطرق على إسقاط حكومة حماس، واندلعت مواجهات مسلَّحة (فلسطينية - فلسطينية) عدة مرات، وأعلنت حماس أنها مؤامرات ضدها، حتى كانت أحداث يونيو ٢٠٠٧م واندلاع قتال عنيف بين حماس و (منتسبين لحركة فتح) ووقتها أعلنت حركة حماس أنها أحبطت انقلاباً مسلَّحاً ضدها، وصدَّقها الكثيرون وكذَّبها بعضهم، وسيطرت حماس على قطاع غزة، وأعلن رئيس ما يسمى السلطة في الضفة الغربية إقالة حكومة حماس؛ لأنها - حسب تعبيره - خرجت عن الشرعية.

وانفصلت غزة عن الضفة ليشهد قطاع غزة حرباً لا مثيل لها؛ سواء من العصبة التي سيطرت على الضفة الغربية، أو من العدو الصهيوني والولايات المتحدة الأمريكية ومن تبعهم من العرب والعجم، وحُوصرت غزة سياسياً واقتصادياً، وعُوقب شعب غزة لأنه اختار أن يكون صاحب قراره ولا يفرط في حقوقه، وعُوقب شعب غزة لأنه واصل تأييده لحماس ولم ينقلب عليها، وهو تأييد يحمل دلالة خطيرة

(*) محامٍ وكاتب مصري.



عند أعداء الإسلام؛ فهو ليس تأييداً فحسب لحركة مقاومة، إنما هو تأييد لمشـــروع إسلامي مقاوم مجاهد من أجل حقه ومقدســـاته وأرضه ويحمل راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

وتعرضـت غزة لضيق في الرزق والأمراض، ولم تسـلم من صواريخ القتل الوحشـية التي تفتـك بالآمنين من أهل غـــزة، وبينما كانت آلة الحرب الصهيونية في أواخر شــهر فبراير وأوائل شهر مارس ٢٠٠٨م تحصد أرواح الشهداء في غزة ليصل عدد من نحســبهم شــهداء - ولا نزكي على الله أحداً - إلى ما يقرب من مائة وخمس وثلاثين شــهيداً وما يقرب من ثلاثمائة جريح في ما أطلق عليه العدو الصهيوني (المحرقة).

وفي ظل حصار سياســي واقتصادي رهيب على غزة... خرجت على العالم مجلة «فانيتي فيير» الأمريكية في أوائل مـــارس ٢٠٠٨م لتعلن للعالم أنها حصلت على وثائق ســرية مؤكدة من مصادر في وزارة الخارجية الأمريكية ومســؤولين فلسطينيين تكشــف النقاب عن خطة ســرية مصدَّقة من الرئيس الأمريكي (جورج بوش) شــخصياً ســعت لتنفيذها وزيرة الخارجية الأمريكية (كوندوليزا رايس) ومستشار الأمن القومـــي (إليوت أبرامز) بهدف عمل انقلاب مســلَّح بقيادة فلســطينية من حركة فتح بقيــادة (محمد دحلان) ودعمهم بالأسـلحة برعاية ودعم أمريكي للقضاء على «حماس» التي تم انتخابها بشكل ديمقراطي وفقاً للمعايير الغربية!

وكانت مفاجأة أخرســت وألجمت ألســنة الكثيرين عن الكلام، فقد كشــف التحقيق مدعوماً بالوثائق والشــهادات عـــن المؤامرة القذرة التي تعرضت لهـــا حركة حماس، وكان واضحاً أنه رغم أن حماس شــكلت الحكومـــة وَفْقاً لمعايير الديمقراطية وفي انتخابات واضحة وشفافة أمام العالم، إلا أن الإدارة الأمريكية المتعصبة وعلى رأسها (بوش) كانت في غمٍّ لا مثيل له وهي الإدارة التي صدعت العالم بالحديث عن الديمقراطية وحقوق الإنسان والحريات، ولكن تحقيق المجلة فضح كذبهم كما هو مفضوح في العراق وأفغانستان ومواقع وأحداث أخرى في العالم.

فضيحة ديمقراطية بوش:

وقـــد كشــفت المجلة عـــن تفاصيل الخطة بنـــاء على التصريحـــات الخاصة التي أدلـــى بهـــا (دايفد وورمســـير) - الذي استقال من منصبه بوصفه مستشاراً لنائب الرئيس الأمريكي (ديك تشيني) لشؤون الشرق الأوسط بعد أحداث غـــزة - لـ (دايفد روز) محرر المجلة الذي تنقَّل بين غزة ورام الله والقدس المحتلة والقاهرة وواشنطن، حاصلاً على وثائق مهمـــة واعترافات، أبرزها: اعتراف من دحلان نفســـه، عن دوره في إشعال فتيل الحرب الداخلية.

ومن الملفت أن (وورمســـير) الذي اســـتقال بعد فشل الخطة شهد أن حركة «حماس» لم تكن لديها نية للاستيلاء على غزة إلى أن أجبرتها فتح على ذلك.

وقال: «يبدو لي أن ما حصل لم يكن انقلاباً من (حماس) وإنما محاولةٌ انقلابية من فتح مستبقةٌ قبل أن تتوفر إمكانية حدوثهـــا»، مؤكـــداً أن إدارة بوش - التـــي كان جزءاً منها - متورطة في «حرب قـــذرة بوصفها محاولة لتأمين دكتاتورية فاسدة يقودها عباس حتى النصر».

أمـــا ما دفع (وورمســـير) إلى الكشـــف عـــن المخطط الإجرامـــي الذي تورطـــت فيه إدارته فقد جاء بســـبب أنه «مستاء من السياسة الديمقراطية لإدارة بوش». وقال للمجلة ذاتهـــا: «هنالك تناقضٌ مذهل بين دعـــوات الرئيس (بوش) للديمقراطية في الشرق الأوسط وسياسته هذه»، واستطرد قائلاً: «إنها تعارضها بشكل مباشر».

دور (دحلان) في الانقلاب والخيانة:

وفي جزء مهم من التحقيق سابق الذكر كشف الصحفي الأمريكي (روز) أن مسؤولين في الإدارة الأمريكية أبلغوه أن هناك مَنْ نصح بالإسراع بتعيين «رجل قوي» لحل المشكلات مباشـــرة، وهو الأمر الذي أدَّى إلى الأخطاء التي حدثت في غزة، في إشارة إلى (محمد دحلان) الذي كانت تسميه بعض وسائل الإعلام الرجل القوي في غزة، على حينَ كان مشهوراً بين الفلســـطينيين بوصفه زعيماً للتيـــار الخياني في حركة «فتح».

وبعد أن فشلت الخطة وخسر الرهان على (دحلان) بعد



أن ثبت أنه لم يكن أكثر من نمر من ورق؛ تبادل المسـؤولون الأمريكيون الاتهامات عن جـدوى الاعتماد على وكلاء مثل (دحلان).

وحسب المجلة؛ فقد لام (جون بولتون) - السفير السابق فـي الأمم المتحدة المعروف بتطرفه - (رايس) وقال للمجلة: «ما حدث فشل مؤسساتي، وفشل في الإستراتيجية»، متهماً (رايس) بأنها «كآخرين في الأيام الأخيرة من هذه التظاهرة؛ تبحث عن ميراث».

بداية خطة الخيانة والانقلاب:

وفي جزء مهم آخر من التحقيق يظهر أن الإدارة الأمريكية التي تدعي الديمقراطية فوجئت بفوز حماس في الانتخابات، فعملت على الإطاحة بها بالتنسـيق والتعاون مع قيادات من فتح، ويكشف السـفير الأمريكي (بولتون) أنهم بعد فشلهم في وقف الانتخابات حاولوا تجنب النتائج من خلال الجنرال (كيث دايتون) المنسـق الأمني الأمريكي للفلسطينيين والذي توصل إلى اتفاقية سرية مع (دحلان) لتعزيز قوة (فتح).

ولا تخفـي المجلة أن (محمود عبـاس) كان على اطّلاع بالخطة ومجرياتها، رغم أن تنفيذها كان موكلاً إلى (دحلان)، الذي عيّنه (عباس) مستشـاراً للأمن القومي؛ ليكون له اليد الطولى في السـيطـرة علـى الأجهـزة الأمنية في إطـار ما تقتضيه الخطّة.

وكانت بداية الخطة الأمريكية تقوم على فرض الشروط التي فرضتهـا «الرباعية الدولية» وهـي: الاعتراف بالعدو الصهيوني، ونبذ «العنف» (المقاومة)، والاعتراف بالاتفاقات السابقة والموقّعة؛ كي تنال حماس الاعتراف الدولي، ومعروف سلفاً رفض الحركة للشروط، مما يؤدي إلى قطع المساعدات الدولية عن السلطة الفلسطينية.

ويشير التحقيق إلى أن (محمود عبّاس) كان يرغب بشدة في تدفق الأمـوال فطالبته الولايات المتحـدة بالثمن الذي استجاب له في النهاية.

دور وزيـرة الخارجيـة الأمريكيـة (رايـس) في المؤامرة:

وقد أوردت المجلة المذكورة في تقريرها ما دار في اجتماع بين (عباس) و (رايس) في الرابع من تشـرين الأول (أكتوبر) عـام ٢٠٠٦م في مقـر المقاطعة. وينقل عن شـهود خلال الاجتماع قولهم: إن نبرة وزيـرة الخارجية كانت حادة وهي تقول لـ (عباس): إن «عملية عزل حماس لا تؤتي نتيجة».

وأبلغته أن واشـنطن تتوقع منه «حل حكومة إسـماعيل هنية في أقرب وقت ممكن وإجراء انتخابات جديدة».

ونقلت المجلة في تقريرها عن مسـؤولين فلسـطينيين قولهـم: إنه خلال الاجتماع - الذي تمّ في شـهر رمضان - وافق عباس على القيام بذلك في غضون أسبوعين. لكن بعد جلوسـه مع (رايس) أمام مأدبة الإفطار؛ طلب (عباس) من الوزيرة الأمريكية مهلة أسـبوعين إضافيين. وبعد مغادرتها الاجتماع قالت (رايس) لمرافقيها - بحسـب المجلة -: «هذا الإفطار اللعين كلّفنا أسبوعين إضافيين من حكم حماس».

وفي تلـك الفترة مهّـد عدد من مستشـاري (عباس) المعروفـين بارتباطهم بـالإدارة الأمريكية بتسـريب نبأ نية (عباس) إقالة حكومة (هنية) وهو الأمر الذي نفاه (عباس) بعد أن عجز عن ذلك في البداية.

الخطة الأولى الفاشلة للانقلاب:

ومما جاء في المجلة أن (دافيد روز) كشف لها عن ثلاث مذكرات سـرية تصف الخطة، أولاها: مذكرة «أخذ المواقع» والتي أعدتها وزارة الخارجيـة الأمريكية لـ (جايك والاس) القنصل الأمريكي العام في القدس.

فقد قابل (والاس) رئيس السـلطة (محمود عباس) في رام الله في ٢٠٠٦م مخلفاً وراءه خطاباً يطالب فيه (عباس) أن يحل الحكومة التي شـكلتها حركة حماس بعد فوزها في حـال لم تعترف بالعدو الصهيوني، على وعد لـ (عباس) من الولايات المتحدة أن يرجع إليـه تدفق الأموال في حال نفذ الطلب!

وكشـفت المجلة عن الخطاب الذي جـاء فيه : «نعتقد أن الأوان قد حان لأن تتحرك بسـرعة وبشكل حاسم إن لم توافـق حماس بالوقت المحدد فعليك أن تعلن حالة الطوارئ وتشـكل حكومة طوارئ تلتزم بهذا البرنامج بشكل واضح.. إذا تصرفتَ ضمن هذه الخطوط فسندعمك على الصعيدين



المادي والسياسي وسنقف إلى جانبك خير داعمين».

وقد أكد القنصل الأمريكي في القدس (جايك والاس) هذا الأمر، كاشفاً عن أنه مع اقتراب نهاية مهلة الشهر، ذهب إلى (عباس) حاملاً ما يمكن تسميته «إنذاراً بضرورة اتخاذ قرار إعلان حالة الطوارئ وتشكيل حكومة طوارئ إذا لم توافق حماس على مطالب الرباعية».

ولدى مغادرته مكتب (عباس) بقيت على الطاولة الورقة التي تتضمن نقاط الإنذار الذي كانت الخارجية الأمريكية قد أملتها عليه.

خطة بديلة:

«وقد كشفت المجلة عن خطة بديلة أعدها الأمريكان تقوم على ضرورة إيجاد وسائل لصنع (مرحلة نهائية) بنهاية العام ٢٠٠٧م لمساعدة (عباس) بإضعاف حكومة حماس وبضرورة منحه الوسائل كافة لتعزيز قواته، وذلك بتخطيط من الخارجية الأمريكية، وهذا ما تم الكشف عنه في وثيقة الخطة البديلة التي سميت: الخطة ب».

وكان التركيز في الخطة الجديدة على (محمد دحلان)، الذي قال للمجلة: «إنه حاول منذ فوز حماس في الانتخابات أن يوهمهم بأنه لا يزال لدى فتح وأجهزتها الأمنية القدرة والقوة لمواجهتهم»، وخصوصاً أن لدى الأجهزة الأمنية أكثر من ٧٠ ألف عنصر أمني، في وقت لا يتوفر فيه لدى «حماس» أكثر من ١٢ ألفاً نصفهم من «القوة التنفيذية» في حينه.

تنفيذ (دحلان) للخطة:

وفي إطار هذه الخطة البديلة شن (دحلان) «حرباً قذرة على عناصر حماس لعدة أشهر تم في خلالها استخدام عدة وسائل، منها: الاختطاف، وتعذيب عناصر حماس والقوة التنفيذية». ويقر (دحلان) بهذه الحرب بزعم أنه «دفاع عن النفس».

وقد قابل الصحفي (روز) أعضاء من «حماس» في غزة الذين وصفوا تعرضهم للتعذيب على أيدي قوات (دحلان) في خريف عام ٢٠٠٦م في الفترة التي كان مدعوماً فيها بشكل جيد من قِبَل إدارة (بوش).

وعقب استيلاء حماس على غزة وإحباطها الانقلاب عثرت على أسطوانة تحتوي على تعذيب لأحد عناصرها وهو «مازن أسعد أبو دان»، ويظهر الشريط تعرضه للضرب بعصا حديدية بعد عملية حرقه من الفخذين. وظهر في الأسطوانة ضحيةٌ أخرى يروي ما حدث من تحمله لحروق من الدرجة الثالثة عند قيام معذبيه من «فتح» بإحماء قضيب حديدي على غاز البروبان ومن ثم إحراق جذعه وفخذيه!

ونقلت المجلة عن مسؤولين في وزارة الخارجية الأمريكية قولهم: إن مساعد (رايس) لشؤون الشرق الأوسط (ديفيد ولش) لم يكن يأبه لحركة «فتح» بقدر ما كان يريد النتائج و «كان يدعم أي ابن (..) ممكن أن يؤدي المهمة. ودحلان كان أفضل ابن (..) نعرفه، كان رجلنا».

خطة «كونترا ٢»:

وكشفت المجلة أن الولايات المتحدة عملت أيضاً في تلك الفترة على وضع خطة سرية أطلقت عليها تسمية «كونترا ٢» أوكل تنفيذها إلى (رايس) و (إبرامز)، وتستهدف تدريب خمسة عشر ألفاً من مقاتلي فتح ودعمهم بالسلاح والمال تحت إشراف (محمد دحلان) بالتنسيق مع الجنرال (كيث دايتون) المنسق الأمريكي الخاص لإصلاح أجهزة أمن السلطة الفلسطينية، والذي التقى (دحلان) في تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠٦م في أول سلسلة محادثات مطوّلة في القدس المحتلة ورام الله بحضور مساعديهما.

(دحلان) و (دايتون) وجهان لعملة واحدة:

وقد كشفت المجلة أن (دايتون) خطط لجدول أعمال قوي جداً، وقال لـ (دحلان): «لا بد من إصلاح أجهزة الأمن الفلسطينية، ولكن نحتاج أيضاً إلى بناء قواتك للتصدي لحماس».

وقد ردَّ (دحلان) بأنه «يمكن هزيمة حماس على المدى الطويل بوسائل سياسية، ولكني إذا قمت بمجابهتهم فإنني أحتاج إلى موارد جوهرية، وليس لدينا القدرة على ذلك حالياً».

وقد اتفق الاثنان على العمل بشأن خطة أمنية فلسطينية جديدة تتضمن تولّي (دحلان) مسؤولية الإشراف على كل الأجهزة الأمنية من موقعه الجديد بوصفه مستشاراً لرئيس

السـلطة للأمن القومي، وأن تقوم الولايات المتحدة بتزويد الأجهزة الأمنية بالأسـلحة والتدريب. واقترح (دايتون) حل جهـاز الأمن الوقائي المتهم بعمليات تعذيب وخطف، غير أن (دحـلان) رفض ذلك بدعوى أن جهـاز الأمن الوقائي «هو الجهاز الوحيد الذي يحمي فتح والسلطة في غزة».

دول عربية شاركت في الخطة:

وبحسب الخطة الانقلابية التي اتفق عليها (دحلان) كان مـن المقرر أن تعطي الولايات المتحدة ٨٦,٤ مليون دولار إلى أجهزة الأمن الفلسـطينية، لكن مع تعثـر تمرير المبلغ عبر الكونغـرس لجأت الولايات المتحـدة إلى مصدر تمويل آخر هو الـدول العربية، ومن هنا أخذت الخطة اسـم «إيران - كونترا ٢»، إذ إنها كانت شبيهة بفضيحة بيع الأسلحة لإيران في مقابل دعم المتمردين ضد نظام حكم (الساندينستا) في نيكاراغوا.

وقد جمع بالفعل مبلـغ ثلاثين مليون دولار كما رصدت الولايـات المتحدة أكثر من مليـار دولار للدعم خلال خمس سـنوات، وقد تبع ذلك نقل كميات من الأسلحة في شاحنات إلـى مقاتلـي «فتح» في غـزة، وقد ضبطـت حماس تلك الشـاحنات في وسط أتون الانقلاب، واسـتولت على تلك الأسلحة، ونشر ذلك في حينها على وسائل الإعلام.

تدريب القوات وتوفير السلاح:

كما دعت الخطة إلى تعزيز قوات فتح الأمنية بـ ١٥ ألف عنصر وإضافة ٤٧٠٠ عنصر مـدرَّب تدريباً عالياً تضمهم سبع كتائب جديدة، وهو ما كان (دحلان) باشر بتنفيذه عبر ما سـمي حينها «القوة التنفيذيـة» التابعة لحركة فتح وهم العناصر المدرَّبة في الأجهزة الأمنية، وجمعهم في كتائب بقيادة موحدة، مع توفير دورات تدريب في الأردن ومصر وتزويدهم بالأسـلحة للقيام بمهماتهم الأمنية، حيث سافر المئات إن لم يكـن الآلاف منهم بالفعل. وتقول الخطـة: إن الأموال التي تحتاجها تبلغ ١,٢٧ مليار دولار لخمس سنوات.

وتؤكـد المجلة أن (دايتون) وفريـق المؤامرة قد أخطؤوا الرهـان على (دحلان) وأجهزة أمن (عبـاس)، حيث أثبتت الوقائع أن «حماس» هـي الأقوى في غزة، وأن القوات التي كانت تتحضر للانقضاض عليها تساقطت مع مواقعها واحداً تلو الآخر «كأحجار الدومينو...».

هكذا كانت الخطة وهكذا كان الإعداد والتنسيق والتآمر على حماس.

وهكذا سقط القناع الزائف للديمقراطية الأمريكية في فلسطين كما سقط في أماكن كثيرة في العالم.

وإذا كانـت حماس اسـتطاعت - بفضل الله - إحباط الانقلاب والسـيطرة على غزة ودحر الخونة الذين هرولوا في كل اتجاه وصوب كالفئران المذعورة، إلا أن ملف الخيانة لم يغلق بعد، فغزة تلـك المدينة الصغيرة باتت حريتها تؤرِّق الإدارة الأمريكيـة، فالطغيان الأمريكـي والصهيوني أُرغم أنفه في التـراب بصلابة وصمود غزة، وإذا كانت هذه حال الصهاينة والأمـريكان فما بال عصابة السـلطة لا تهـدأ ولا تتوقف عـن التآمر. لقد كان تزامن نشـر التحقيق في المجلة الأمريكية في ظل العدوان الصهيوني الوحشـي على أهل غزة بمنزلة رسالة واضحة مفادها أن العدوان جزء من مؤامرات لا تتوقف يشـارك فيهـا كل الأطراف، ولم تخجل عصابة السـلطة في رام الله وهم يلقـون اللوم في العدوان علـى أبناء وطنهم في غزة على صواريخ المقاومة، إنه منطق الصهاينة والأمريكان وكل من تبعهم لا يختلفون، ومن الملفت أن طابور الخونة لا يتَّعظ أبداً منذ وعد بلفور حتى الآن.

ويقيناً لن ينتهي التآمر ولن تتوقف الخطط والمؤامرات؛ فمؤامرات الخبث السياسـي للإيقاع بحمـاس لم تنتهِ ولن تنتهي، فلتصمد حماس وليصمد شـعب غـزة؛ والنصر مع الصبر بإذن الله.

وأخيراً: بقدر ما تحتاج غزة إلى الوقود والطعام والسلاح للمقاومة والصمود، إلا أنها أيضاً تحتاج إلى الوقود الإيماني والغذاء الروحي وسلاح الإيمان ودعم إخوانهم المسلمين في كل مكان، فهي وسائل التثبيت التي لا تقهر.

ولن تضيـع غزة وهي مؤمنة صامدة بقـوة عقيدتها... والخونـة الله يفضحهـم ويخذلهم، والمؤمنـون الله يثبتهم وينصرهم.





اللوبي الصهيوني

وصناعة الأجندة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط

محمد الشيخ بنان(*)

يعد اللوبي الصهيوني AIPAC (اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للعلاقات العامة) من بين اللوبيات الأكثر تأثيراً في السياسة العامة الخارجية الأمريكية، وذلك من خلال دوره المؤثر في الجهازين التنفيذي والتشريعي، وكذا الإداري للولايات المتحدة الأمريكية من جهة، ومن خلال تحكمه بمفردات الحوار السياسي المتعلق بالدولة الصهيونية، عبر وسائل الإعلام والسينما ودور النشر التي توجهه لتعبئة الرأي العام نحو طروحاته السياسية من جهة أخرى.



١ - التأثير على الفاعلين السياسيين:

لا شك أن كل من يسهم في بلورة القرار العام يعد فاعلاً سياسياً، فالأحزاب، النقابات، اللوبيات.. إلخ، تدخل ضمن دائرة الفاعلين السياسيين، سواء كان هؤلاء داخل الجهاز الحكومي أو خارجه، فالمشكل يكمن في تحديد الحدود الفاصلة بين الفاعلين الرسميين وغير الرسميين، أي أولئك الذين يوجدون داخل الجهاز الحكومي وأولئك الذين يوجدون خارجه.

فالفاعلان السياسيان - حسب Vincent lemieux - ينقسمون إلى أربع عينات كبرى، وهم: المسؤولون، الوكلاء، المعنيون، والخواص.

فمثلاً: أعضاء اللوبيات والمتخصصون في احتكاك دائم مع المسؤولين والوكلاء، علماً أن اللوبيات إلى جانب الخبراء ووسائل الإعلام، لكونهم يندرجون ضمن فئة المعنيين Les intéressés، هم فاعلون كثيرو الحضور في مسلسل بروز السياسات العامة. وما دامت هذه الأخيرة تأتي إجابة على المشكلات والمتطلبات (المدخلات input) الوافدة على صانع القرار، ومن ثم ترتبط بالوضع الداخلي للدولة كما يمكن أن ترتبط بالوضع الخارجي لها، الذي يعد امتداداً لما هو داخلي، فالسياسة العامة الخارجية تدخل ضمن الوضعيات المندرجة في إطار العلاقات ما بين الدول مما يجعلها تتموضع داخل المحيط الخارجي، الذي يُعدّ من طبيعة: ما فوق مجتمعية (extra-sociétale) بالنسبة لنسق سياسي معين، لذلك فإن السياسية العامة الخارجية تتحدد بطبيعة العلاقات الناظمة بين الفاعلين السياسيين المحليين من جانب، وعلاقتهم بالفاعلين الخارجيين المعنيين بهذه السياسة من جانب آخر.

وعلى هذه الأرضية تتأسس السياسة العامة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، ويتأسس معها اللوبي الصهيوني

(*) باحث في العلوم السياسية، كلية الحقوق، مراكش، المغرب.



في شــخص (اللجنة الأمريكية الصهيونية للشؤون العامة) التي اعتمدناها نموذجاً في هذه الدراسة.

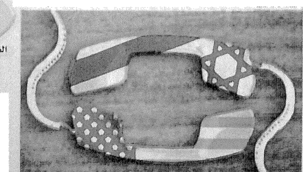
ذلك أن هذا اللوبي الذي يعد امتداداً موضوعياً لليهود وامتداداً نوعيــاً لأيديولوجيتهم الصهيونيـــة؛ أصبح قادراً، بفضل إمكانياته المعلوماتيـــة والعلائقية (Relationnels) والمالية، علـــى توجيه القرار العام الخارجـــي الأمريكي، لما يخدم مصلحـــة الصهاينة وليس أمريكا. وهذا ما يتضح من خلال الآتي:

مؤسســـة الرئيـــس: الصلاحيات الدستورية والسياسية التي يمتلكها الرئيس في النظام الجمهوري الأمريكي، والتي تخوّله لعب أدوار رئيســـة في توجيه القرار العام الخارجي؛ جعلته عرضةً لأنظـــار اللوبي الصهيوني الذي يســـعى إلى إغراق الدولـــة الصهيونية بالموارد الماديـــة الأمريكية، عبر قناة السياســـة العامة الخارجية. وهذا ما يتضح من خلال تاريخ العلاقات الأمريكية الصهيونيـــة، فالرئيس «ترومان» صرح أمام مجموعة من الدبلوماســـيين سنة ١٩٤٦م قائلاً: «أيها السادة: إني آسف! ولكن عليَّ أن أستجيب لنداء مئات الآلاف مـــن الناس الذين ينتظـــرون انتصار الصهيونية، في حين ليس لي من بين منتخبيّ ألف عربي». وفي السياق ذاته، أكد الوزير الإنجليزي «كليمنت إتلي»: «لقد صيغت سياســـة الولايات المتحدة في فلســـطين تبعاً للصوت اليهودي». وعلى المنوال نفسه ذهب (ج. كنيدي) الذي حصل على (٥٠٠) ألف دولار من شخصيات يهودية دعماً لحملته الانتخابية، حينما قال في لقاء له مع «بن غوريون» ســـنة ١٩٦١م في نيويورك: «أعرف أنني فـــزت في الانتخابات بفضـــل أصوات اليهود الأمريكيين، إنني مدين لهم بهذا الفوز. إذن؛ أشـــر عليّ بما يجب القيام به لصالح الشعب اليهودي».

هـــذه التصريحات المعترفة بالوزن اليهودي المؤيد للدولة الصهيونية، تحت لافتة (AIPAC) هي التي دفعت الرئيس «جونسون» إلى تسليمهم طائرات الفانتوم، والشيء ذاته قام به «نيكســـون» الذي بعث بـ ٤٥ طائرة فانتوم إضافية، و٢٠ مدمرة من نوع ســـكايهوك للكيان ذاته. وفي ســـنة ١٩٨٠م، انهزم الرئيس «كارتر» أمام «ريغن» لكونه باع طائرات حربية لمصر والسعودية، أما غريمه «ريغن» فقد فاز مقابل تخصيصه ٦٠٠ مليون دولار قروضاً عسكرية لصالح الدولة الصهيونية. والمثير للجدل أن AIPAC أصبح مهدّداً للمصلحة الوطنية الأمريكية، لكونه يرتكز علـــى المعطى الديني - الإثني، أكثر من اســـتناده إلى المصلحة المشتركة، فقد صرح بهذا الصدد «جولدمان» أحد النشـــطاء الســـابقين في اللوبي الصهيوني بما يلي: «اللوبي أصبح قوة مخربة، بل عائقاً أساســـياً أمام الســـلام في الشـــرق الأوســـط». وتأكيداً لهذا الكلام، قال (سيزور فانس) أحد النشطاء البارزين في AIPAC: «لقد اقترح علينا (جولدمـــان) القضاء على اللوبي، ولكن الرئيس وكاتب الدولة أجابا بكونهما لا يملكان الســـلطة لفعل ذلك، وربما قد يـــؤدي ذلك إلى فتح الباب علـــى مصراعيه أمام مناهضة السامية».

نخلـــص مما سبـــق إلى أن نجـــاح الرؤساء الأمـــريكيين أو إخفاقهم يبقى مرهوناً بأموال اللوبي الصهيوني وأصواتهم. وعلى هذا الأســـاس يمكن الجزم بأن AIPAC قد حســـم الدائـــرة القرارية الأولى، والتي هـــي الرئيس ومحيطه، كما هو الحال بشـــكل جلي مع الرئيـــس بوش الابن، الذي يوجد في دائـــرتـــه الضيـــقة كـــل من «ريتشـــارد بيـــرل» و «بول ولفوويتز» و «دوغلاس فيث» وغيرهم من الذين ينتمون للوبي الصهيونـــي، بل منهم من كان من مستشـــاري رئيس الوزراء الصهيوني الســـابق «بنيامين نتنياهو» ممـــا يعني بالضرورة ديمومة الدعم المادي والسياسي للدولة الصهيونية.

المؤسســـة التشـــريعية: يســـتطيع المرء فـــي الولايات المتحدة الأمريكية أن يتقدم للانتخابات البرلمانية، لكنه حتماً لن يحقـــق النجاح ما لم تتوافر له الأمـــوال الطائلة لتمويل حملته الانتخابية. من هذا البـــاب يتدخل AIPAC ليقدم



الدعم المشروط، فيُغرِق المترشحَ للانتخابات بالأموال ووسائل الدعاية والتشهير السياسيين وتقنياتها.

هــذه الخطة تتكثف في اجتماعين أساســيين يعقدهما AIPAC مــع المرشــحين: اجتماع قبل الفــوز، وفيه تقدم شــروط الدعم والمســاعدة؛ واجتماع بعد الفوز، وفيه يقدم برنامج AIPAC وطرق إجراءاته.

وعلى الرغم من أن المؤسســة التشــريعية تحتل المرتبة الرابعة على صعيــد الدائرة القرارية مما يحكم على دورها بالمحدودية، حيث لا تتدخل إلا في نهاية المسلســل القراري، ومن ثم تبقى تعديلاتها ســطحية؛ غير أنها بالنسبة لفاعلي AIPAC تعد بمنزلة مورد أساســي حيــوي، لكون أهداف اللوبي أهدافاً خارجية يســهــل على الـكــونغــرس رفضــها أو قبولهــا، دون أن يؤثر ذلك بشــكل مباشــر على الكتلة الناخبة.

في هذا الاتجاه، صرح رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ (السيناتور فولبرايت)، في مقابلة مع برنامج (أمام الأمة) الذي تبثه شــبكة (C.B.S) في تاريخ ٧ أكتوبر ١٩٧٣م حيث قال: «إن الصهاينة يراقبون سياسة الكونغرس ومجلس الشــيوخ، بل إن ســبعين في المائة من زملائنا في مجلس الشــيوخ يتخــذون مواقفهم تحت ضغــط اللوبي». وبعد هذا التصريح، وتحديــداً في الانتخابات الموالية؛ فقدَ «فولبرايت» منصبه عضواً في مجلس الشيوخ؛ نتيجة تحقيقه هذا.

وفي كتاب «لقد تجرؤوا على الكلام» الصادر عن لورانس هير وشركائه سنة ١٩٨٥م؛ وصف «بول فين لي» العضو في الكونغرس الصهيوني الأمريكي لمدة ٢٢ سنة، النشاطَ الحالي للوبــي الصهيوني وكــذا قوته، قائلاً: «هذا فــرع للحكومة الصهيونية يراقب الكونغرس، ومجلس الشــيوخ، ورئاســة الجمهورية، ووزارة الخارجيــة، والبنتاجون (وزارة الدفاع)، ووســائل الإعلام نفســها، إضافة إلى التأثير الذي يمارسه على الجامعات والكنائس».

وفي سنة ١٩٨٤م، ألغى مجلس النواب بأغلبية (٩٨٪) كلَّ تقنين للتبادل التجاري بين دولة الصهاينة والولايات المتحدة، على الرغم من ســلبية التقرير الصادر عــن وزارة التجارة وكافة النقابات.

وأكثر من هذا؛ فقد اســتطاع النفوذ الصهيوني أن يصل إلى التقنوقراط العســكري في شــخص الأميرال الأمريكي «طوماس مورير» رئيس أركان الحرب العامة للقوات المسلحة الأمريكية، الذي صرح ســنة ١٩٧٣م، بخصوص علاقته مع الملحق العســكري الصهيوني «موردخــاي غور»: «طلب هذا الأخير من الولايات المتحدة الأمريكية طائرات حربية مزودة بصاروخ متطور جداً يسمى مافريك»، فرد عليه الأميــرال: «لا يمكنني أن أســلمكم هذه الطائرات، ليس لنا إلا ســرب واحد، وقد أقسمنا أمام الكونغرس بأننا في حاجة إليها»، فرد عليه (غور): «ســلمنا الطائرات! أما فيما يخص الكونغرس؛ فأنا ســأتكفل به». وهكذا يضيف الأميرال: «أرسل السرب الوحيد المجهز بـ (مايفريك) إلى إسرائيل».

نخلص من كل ما ســبق، إلى أن هناك ســلطة أحادية الجانــب pouvoir unilatéral في السياســة الخارجية الأمريكية، هي سلطة اللوبي الصهيوني، ولا سيما في الشق المتعلق بالشرق الأوسط.

هذا التأثير المباشر الذي يستهدف: المقررين السياسيين، الحكومة، البرلمان، والإدارة، ولا سيما التقنوقراط العسكري؛ يجد دعمه في القوة النوعيــة التي يتوافر عليها AIPAC والمتمثلة في ســيطرة جل أعضائه على الملكية الخاصة، أي الرأسمال المادي؛ كالشركات والبنوك ووسائل الإعلام، وكذا وحدة رأس ماله الرمزي على مســتوى المعتقدات الأساسية croyances fondamentales، والتــي تحدد من خلالها الأولويات المختارة من بين القيم الأساســية، والتي تأتي من بعدها المعتقدات السياســية التي يكون موضوعها العلاقات بين الفاعلين، لتمرير القيم الأساسية داخل قطاع السياسات المعنية، والتي هي السياسة الخارجية في حالتنا هاته، ثم بعد ذلك يأتي المستوى الثانوي، وهو الذي يهم القرارات الأداتية والمعلومة الضرورية لتحقيق المعتقدات السياسية.



على هذه الأرضية يلجأ AIPAC إلى تعبئة الرأي العام آليةً للضغط غير المباشــر على المقررين السياسيين، فالرأي العام هــو القاعدة الخلفية التي غالباً مــا تؤثر على صانع القرار العام في الدول الديموقراطية.

٢ - تعبئة الرأي العــام:

يلعب الــرأي العــام في الـدول الـديمقـراطية دوراً لا يستهان به وذلك بسبب منطق المنافسات الانتخابية. فمن خــلال الجدل العام وحملات الاتصــال، يمكن التأثير على صانع القرار العام بواســطة الدعاية، التي تُمرّر عبر وسائل الإعلام كالصحــف والقنوات التلفزيونيــة، وكذلك توظيف دور النشر والسينما. فهذه الممارســات تبقى شيئاً أساسياً وناجعاً في أســلوب التعبئة الذي تعتمده اللوبيات بشكل عام و AIPAC بشــكل خاص، من أجل فــرض أهدافها على المقرِّرين الرئيسيين.

فمن وراء اســتهدافه الرأيَ العام؛ يسعى AIPAC إلى صنع الاعتـقــاد لــدى أغـلــب مكـونــات المجتمع، بأن المسألة المرفوعة مــن طرفه تهم الجميع؛ كتصوير المسلمين - مثلاً - بأنهــم خطــر يهــدد النصارى واليهود على السواء، ومن ثم تصاغ التحالفات على أساس معادلة: صديق صديقي هو صديقي، وعدو عدوي هو صديقي.

يبرز هذا المنطق بشــكل قوي بخصوص التحالف القائم اليوم بين صفــوف الإدارة الأمريكية ذوي المرجعية اليمينية المحافظــة واللوبي الصهيونــي، لكونه تعبيــراً عن النظام السياسي المتنفذ في الدولة الصهيونية.

نفوذ (AIPAC) هذا جــاء نتيجةً للحرية الكبيرة التي تتمتع بها اللوبيات في الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك على عكس فرنسا التي تعمل فيها بشكل غير متعين.

ما يلفت الانتباه هو أن (AIPAC) ليس له لون سياسي واضح، حيث يمارس ضغوطه على كل من الحزبين: الجمهوري والديمقراطي، على الرغم من أن أوجه التلاقي الأيديولوجي بينهمــا أكثر من أوجه الاختلاف، نتيجــةً علاقاته الخاصة وتغلغله داخل أوساط الرأي العام.

وقد توافرت له هذه الإمكانية لكون القاعدة اليهودية التي يرتكز عليها تتشكل منها ١١٪ ممن يطلق عليهم اسم الصفوة مــن مجموع النخبة، و ٢٥ ٪ من صفوة الصحافة والنشــر، وأكثر من ١٧٪ من رؤساء المنظمات التطوعية والعامة، وأكثر من ١٥٪ من المناصب الرسمية الهامة.

وقد ذكر «ســتيفن شتاينلات» المدير الســابق للشؤون القوميــة في اللجنــة اليهودية الأمريكيــة: «أن لليهود قوة سياســية لا تتناســب مع عددهم، وهي أعظــم من قوة أي مجموعة عرقيــة أو ثقافية في أمريكا»، ويضيف: إن النفوذ الاقتصادي لليهود وقوتهم يتركزان بصورة غير متناسبة في هوليوود والتلفزيون، وفي مجال الأخبار. والشيء نفسه أكده الكاتبان اليهوديان المعروفان (سيمور ليبست) و (إيرل راب) في كتابهما (اليهود والحال الأمريكي الجديد) المنشــور سنة ١٩٩٥م، حيث قالا: «كوّن اليهود خلال العقود الثلاثة الماضية ٥٠٪ مــن أفضل ٢٠٠ مثقف في الولايات المتحدة الأمريكية، و٢٠٪ من أســاتذة الجامعات الرئيسية، و٤٠٪ من الشركاء في المكاتب القانونية الكبرى في نيويورك وواشــنطن، و٥٩٪ من الكُتَّاب المنتجين للخمســين فيلماً سينمائياً التي حققت أكبر إيراد ما بين عامي ١٩٦٥ - ١٩٨٢م، و٥٨٪ من المديرين والكتــاب والمنتجين لاثنين أو أكثر من المسلســلات في وقت الــذروة التلفازية، على الرغم من أن اليهــود لا يكوِّنون إلا ٢٪ مــن مجموع ســكان الولايات المتحــدة الأمريكية. هذه الإمكانيات الجبارة كوّن بواســطتها اللوبي الصهيوني الرأيَ العام الأمريكي وفقاً لمصالح الدولة الصهيونية».

هــذه المكانة التي يحتلهــا AIPAC جعلته يوجه تهمة معاداة الســامية لكل من لا يشــاطره الآراء نفســها المؤيدة للدولــة الصهيونية. وما الحملات الإعلاميــة التي تعرّض لها البروفسوران (ستيفن والت) من جامعة هارفرد و (جون ميرشايمر) من جامعة شــيكاغو الأمريكيتين، إثر عرضهما ورقة تقر بأن الدعم الامريكي للدولة الصهيونية يتناقض مع المصالح القومية الأمريكيــة، ولا ينبع من اعتبارات أمريكية اســتراتيجية أو أخلاقية، بل من تغلغل اللوبي الصهيوني في



أمريكا؛ إلا دليل على قوة هذا اللوبي، الذي جعل الدكتور (ستيفن والت) عميد كلية كيندي للسياسة في جامعة هارفرد - أحد مقدمي هذه الورقة - يتعهد بتقديم استقالته بدءاً من نهاية العام الدراسي ٢٠٠٦م.

نستشف مما سبق ذكره أن قوة اللوبي الصهيوني ترجع إلى ملكيته الضخمة لوسائل الإنتاج، وإلى نفوذه في السينما والصحافة والراديو والحكومة والكونغرس.

هذه القوة لا تتلخص فقط في AIPAC (اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشؤون العامة) لكونها مجرد جزء من الأجزاء في ظاهرة أكبر بكثير، وهي ظاهرة القوة الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية.

بيد أن هذه القوة ليست مقتصرة على وسائل الإعلام والترفيه فحسب، فالمال اليهودي تركز تقليدياً في القطاعات غير المنتجة، ليس في الصناعات الثقيلة مثل صناعة الفولاذ والسيارات أو البناء، بل في المصارف، والتمويل، والأسهم، والمستندات، والعملات الصعبة. وبعد أن فك الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون ارتباط الدولار بالذهب عام ١٩٧٣م؛ ازدهر رأس مال المضارب، مما دفع بالمصالح الصهيونية إلى الأمام قطاعاً بعد قطاع في الاقتصاد المعولم، ومن ثم أصبح هذا الرأسمال الصهيوني جزءاً عضوياً من البنية الاقتصادية الاجتماعية للرأسمال الإمبريالي المالي المضارب والمرابي، أي الرأسمالية في عصر العولمة. لذلك فالدولة الصهيونية هي امتداد موضوعي ونوعي للبنية الرأسمالية العالمية، وليست مجرد امتداد سياسي أو ظرفي في المنطقة.

هذا الوزن الذي شهد تحولاً نوعياً في المرحلة يتضح من خلال تنفيذ بعض المخططات الإستراتيجية في الشرق الأوسط؛ كاحتلال العراق والسعي الى تقسيمه، وكذلك ما يجري في السودان، ولا سيما أزمة دارفور، وبوادر الصراع بين المسلمين والأقباط في مصر، وما قد يحدث في ليبيا في المستقبل... إلخ، بعدما كانت بعض اللوبيات الصهيونية قد وضعتها في أجندتها. وهذا ما يتضح من خلال التوصية التي أصدرتها المنظمة الصهيونية العالمية في القدس، أواخر عقد الثمانينيات من القرن المنصرم:

«إن مصر كونها جسداً مركزياً أصبحت جثة هامدة، لا سيما إذا ما أخذنا في الحسبان الصراع الذي يزداد حدة بين المسلمين والنصارى. وتقسيمُها إلى مقاطعات جغرافية مختلفة يجب أن يصبح هدفنا السياسي في التسعينيات على الجبهة الغربية. وبمجرد تفكيك مصر وحرمانها من السلطة المركزية؛ ستعرف دول مثل ليبيا والسودان، ودول أخرى نائية المصير نفسه.

إن إنشاء دولة قبطية في مصر العليا وتكوين كيانات جهوية ضعيفة الأهمية؛ يعد مفتاحاً لتطوير تاريخي تأخر في الوقت الراهن بسبب اتفاقية السلام، ولكنه آتٍ حتماً على المدى البعيد.

وعلى الرغم مما يظهر؛ فإن الجبهة الغربية تمثل مشكلات أقل من تلك التي تمثلها الجبهة الشرقية. ثم تقسيم لبنان إلى خمسة مقاطعات يعد تجسيداً مسبقاً لما سيحدث في العالم العربي برمته. كما أن تفجير سورية والعراق إلى مناطق على أساس عرقي أو ديني؛ يجب أن يصبح على المدى البعيد هدفاً أولياً بالنسبة لإسرائيل. والمرحلة الأولى لذلك هي تحطيم القدرة العسكرية لهذه الدول.

إن البنيات العرقية لسورية تعرِّضها لتفكيكٍ قد يؤدي إلى إنشاء دولة شيعية على طول الساحل، وإلى قيام دولة سنية في منطقة حلب ودولة أخرى في دمشق، وكيان درزي قد يتمنى تكوين دولة خاصة به - ربما فوق منطقتنا (الجولان) - وعلى كل حال مع حوران وشمال الأردن. إن مثل هذه الدولة على المدى البعيد، قد تكون ضمانة للسلم والأمن في المنطقة، إنه هدف في متناولنا.

إن العراق كونها دولة غنية بالبترول وعرضة لمواجهات داخلية؛ توجد على خط التسديد الصهيوني، ذلك أن تفكيكها يعد أكثر أهمية من تفكيك سورية، لأن العراق تمثل على المدى القصير التهديد الأكثر جدية بالنسبة للدولة العبرية».





رؤية: الجمهوري والديمقراطي في أمريكا... هل يستويان؟

أحمد فهمي

afahmee@albayan-magazine.com

تميل تحليلات عربية إلى تقليص الفوارق بين الحزبين الرئيسين في أمريكا: الجمهوري والديمقراطي، حتى إن البعض يعتبرهما شيئا واحداً على الأقل فيما يتعلق بالموقف من القضايا العربية والإسلامية. وتنطلق هذه التحليلات عادة في سياق واحد لإثبات هذا التماثل، وهو سياق يهدف إلى الإجابة عن سؤال: أيهما أقل خطراً على العرب والمسلمين؟ وعادة ما تكون الإجابة أن كليهما يمثلان الخطر نفسه، ومن ثَمَّ لا فرق بينهما.

هذه الرؤية الأحادية الاختزالية التي تعتمد معياراً واحداً لقياس الأعداء فتضعهم في صف واحد، رؤية لا تنفع الأمة في هذه المرحلة التي تكثر فيها الضغوط وتتصارع القوى على احتواء العالم الإسلامي، ويصبح من الأمور الأكثر أهمية تلمُّس الفروق بين صفوف أعداء الأمة للنفاذ من بينها واختراقها، أو تلمس فرجة من الوقت أو الجهد، أو إعادة النظر في معادلات التوازن وترتيب الأولويات.

لم يكن هناك فرق من حيث العداوة للمسلمين بين يهود بني النضير أو بني قريظة أو يهود خيبر، ولكن اختلاف طرائقهم في التعبير عن عداوتهم ترتَّبَ عليه اختلاف أساليب وتوقيتات مواجهة النبي ﷺ لهم.

ما بين حربي فيتنام والعراق، حَكَمَ الولايات المتحدة تسعة رؤساء منذ الرئيس جون كينيدي وحتى جورج بوش الابن، من خلال ١١ فترة رئاسية، شغل الجمهوريون منها سبع فترات، والديمقراطيون أربعاً.

تميز الجمهوريون باعتمادهم على قوتي: الدين، والشركات الكبرى، فكانت غالبية المتدينين المسيحيين يعطون اصواتهم إلى الحزب الجمهوري، كما تعاظم نفوذ الشركات في فترات الحكم الجمهوري، ولم تجتمع مصالح هذه الشركات ضد رئيس أمريكي كما اجتمعت في مواجهة جون كينيدي الديمقراطي الذي اغتيل بتدبير من المجمع الصناعي العسكري الأمريكي بسبب رغبته في إنهاء الحرب في فيتنام.

ورغم التأييد الجمهوري الجارف لـ«إسرائيل» إلا أن أصوات يهود أمريكا تذهب غالبيتها بصورة تقليدية إلى الحزب الديمقراطي. ويلاحظ أن الرؤساء الديمقراطيين هم الذين أنجزوا أهم الاتفاقات «الانهزامية» في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي، بدءاً من اتفاق كامب ديفيد بين مصر والكيان الصهيوني عام ١٩٧٧م برعاية الديمقراطي جيمي كارتر، وإلى اتفاق أوسلو في سبتمبر ١٩٩٣م برعاية بيل كلينتون، وحتى مفاوضات كامب ديفيد الثانية بغرض إنهاء الصراع كانت برعاية كلينتون عام ٢٠٠٠م.

ويميل الديمقراطيون في أدائهم العسكري إلى اتباع أسلوب الضربات الخاطفة والقصف المركَّز دون احتلال أراض أو دول، هكذا تعامل بيل كلينتون مع الصرب ومع العراق، وبعد تفجير سفارتي واشنطن في تنزانيا وكينيا كان الرد الأمريكي قصف مواقع في أفغانستان والسودان.

أما الجمهوريون فهم يفضلون إنزال القوات البرية واحتلال الأراضي، كما فعل بوش الأب ثم بوش الابن مع العراق، ثم أفغانستان.

وفي ما يتعلق بالدول العربية، فهي تميل تاريخياً إلى دعم الجمهوريين، ومنذ الرئيس نيكسون تتسرب تقارير عن دعم الحملات الانتخابية لرؤساء ذلك الحزب، وربما يُفسَّر ذلك بأن الرؤساء الجمهوريين تعتمد إستراتيجيتهم على إبقاء الدول في هياكلها الحالية مع تفكيكها داخلياً ودعم الأنظمة الموالية، بينما يتبنى الديمقراطيون نهج التقسيم بصورة أكثر وضوحاً، وكان أبرز نواب الكونجرس الداعمين لتقسيم العراق هو الديمقراطي جوزيف بايدن، وفي عهد كلينتون تم تقسيم يوغوسلافيا بصورة انشطارية.

أيضاً فإن المسؤولين الجمهوريين أسسوا علاقات اقتصادية ناجحة مع دول عربية امتدت لما بعد تركهم للمناصب الرسمية، ويشغل بوش الأب منصب عضو مجلس إدارة مجموعة كارليل الغامضة، وهو مختص برعاية علاقات المجموعة مع الشركاء العرب.

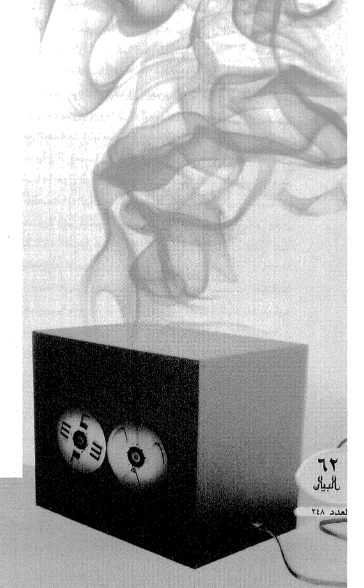
في مقابل التفضيل العربي للجمهوريين، تميل طهران إلى الديمقراطيين انطلاقاً من الميل الجمهوري إلى التعامل الحاد والعنيف، وهو ما لا يتناسب مع المصالح الإيرانية في المرحلة الحالية، نعم! كان التحالف مع الجمهوريين مفيداً لإيران في مرحلة الاحتلال لأفغانستان ثم العراق، ولكن حالياً يحتاج الإيرانيون إلى نظام ديمقراطي مرن نسبياً لا يلوِّح لهم بالعصا بصورة مستمرة، بل يرفع شعار الانسحاب من العراق لتنتقل طهران إلى المرحلة الأخطر من مشروعها التوسعي.

«الصندوق الأسود» للعلاقات الأمريكية الإيرانية

أسامة سليم

«إن طهران مستعدة للعمل مرة أخرى مع الولايات المتحدة لضمان الاستقرار في الشرق الأوسط حينما تتلاقى مصالحهما». من المناسب أن نبدأ من حيث أنهى السفير الإيراني محمد حسين عادلي كلامه في منتدى نظّمته وكالة رويترز، وألا ندع عبارة الرجل تمر مرور الكرام؛ فهي بمثابة (الصندوق الأسود) الذي نستطيع من خلاله تبيُّن المواقف المتعارضة أحياناً والمنسجمة في غير وقتها أحياناً أخرى، حيث لا يمكن تفسير العلاقات الإيرانية الأمريكية في الخمس والعشرين سنة الأخيرة إلا من خلال دلالتها. فالولايات المتحدة الأمريكية قدّمت الدعم المبكر للثورة الخمينية منذ قيامها عام ١٩٧٩م، ولولا الدعم الأمريكي لما تهيَّأ لها أن تنجح وتصل إلى حكم إيران.

الإدارة الأمريكية في عهد الرئيس الأمريكي الأسبق كارتر قامت بتعمد هادئ وتدبير مسبق بالترتيب للانقلاب حتى أطيح بالشاه الذي انتهت صلاحيته، واشتركت إدارة كارتر في كل خطوة، ابتداءً من الاستعدادات الدعائية، إلى تجهيز الأسلحة والذخيرة، ومن الصفقات التي تمت خلف (الكواليس) مع الثوريين في جيش الشاه، إلى الإنذار النهائي الذي وُجِّهَ للزعيم المقهور في يناير ١٩٧٩م لمغادرة إيران بلا عودة.



فــي المقابل رد الخمينيــون - محافظين وإصلاحيين - الجميل بالجميل، فقدموا بدورهم ضحيتين في صورة كبشين هما أفغانستان والعراق، اللتان لن تكتمل دائرة الإمبراطورية الكونية الأمريكية إلا بهما، فاعتراف الرئيس الإيراني السابق علي أكبر هاشمي رفسـنجاني، بأنّ القوات الإيرانية قاتلت طالبان وأسـهمت في دحرها، وأنّه لو لم تُساعد قوّاتهم في قتال طالبان؛ لغرق الأمريكيون في المسـتنقع الأفغاني. سيد الأدلـة وبيت القصيد، يأتي من بعـده اعتراف محمد علي أبطحي نائب الرئيس الإيراني للشـؤون القانونية والبرلمانية الأسبق، ليزيد الطين بلةً، وينشّط الذاكرة الأمريكية التي أكل منها الزهايمر وشرب، ويلوّح بالموقف الإيراني للحيلولة دون غدرٍ أمريكي تضمـره المقاتلات المتحفزة في الخليج، ويعلن أن بـلاده قدمت الكثير من العـون للأمريكيين في حربيهم ضد أفغانسـتان والعراق، ليس هذا فحسب، بل لولا التعاون الإيراني لما سقطت كابول وبغداد بهذه السهولة!

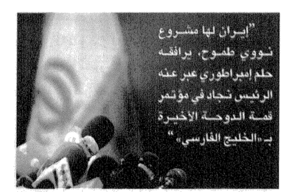
وقـد انتهزت إيران منذ احتلال العـراق فعلياً فرصتها السـانحة ولعبت دوراً انتهازياً في المسألة العراقية، وسعت بانتظام إلى جعلِ دعمها للمحتلين الأمريكيين ودورها هناك، ورقةَ مسـاومة لامتلاك السـلاح النووي؛ فالمسألة النووية الإيرانية لم تعد تحتمل كثيراً من التأجيل.

وتبادلت الدولتان باسـتمرار التعـاون الأمني من خلال أقسـام رعاية المصالح في سـفارات باكستان وسويسرا في واشـنطن وطهران، ودشّـنتا تعاوناً مخابراتياً وعسكرياً من خلال لندن أقرب حلفاء واشـنطن في الحرب على العراق، وكانت أولويتهما الإستراتيجية المشتركة التي جمعتهما خلال الغزو الأمريكي لأفغانسـتان عام ٢٠٠١م حينما أطيح بنظام طالبان.

يتضح الآن أن السياسـة الإيرانية الأمريكية وعلى مدار ٢٥ عاماً مضت؛ اعتمدت التَّقيَّة الشيعية أسلوباً متفقاً عليه فيما بينهما.

ولعله من (شبه) المؤكد أن إدارة بوش توصلت لاتفاق مع شـيعة الإمام الغائب لإقامة قواعـد أمريكية دائمة بالعراق تكون آمنة من صواريخ المهدي المنتظر - فك الله أسـره! - المطلة من طهران، وذلك في غضون الشهور الأخيرة المتبقية لبوش - قدس الله سره! - قبيل مغادرته البيت الأبيض.

غير أن (شـلة) بـوش وبذكائهم المعهـود فاتهم أن ثمة فوارق رئيسـية بين العراق ودول مثل: ألمانيا واليابان وكوريا الجنوبية؛ حيث تحتفظ الولايات المتحدة بقوات عسكرية منذ ما يزيد على نصف قرن، فهذه الدول لا تنظر لجندي المارينز



نظرة عقائدية يحددها الله ورسوله، وحكوماتها معترف بها من جانب مواطنيها، ولا يوجد بها من يزرع عبوة ناسفة على جنبات الطرق أو يطلق النار باتجاه مدرعة أجنبية أو يتحدى سلطة حكومته العميلة.

وتقوم إيران - بحكم ما تمليه عليها استراتيجيتها - بدور مـزدوج في العراق؛ فهي ليسـت راغبة في أن تنجح أمريكا بسـهولة في احتلال موقعه الاسـتراتيجي وشـفط ثرواته وحدها، لكنها في الوقت نفسـه ليست راغبة في أن يخفق الأمريكيون كلياً هناك؛ لأن هذا الإخفاق سيشـكل حينذاك تهديداً للأمن القومي الإيرانـي، حيث يلتقي الطرفان على قاعدة مشـتركة هي الخلاص من أي مقاومة سنية مسلحة على الساحة العراقية.

فـي المقابل تطمح واشـنطن فـي اسـتراتيجيتها إلى الحرص على شـراكة إيرانية مدجنـة - كما هو الحال مع التنين الصيني آكل العشـب - في الأمـن الإقليمي للخليج



شـــريطة أن يظل مِقْوَدُه بيدها، وهو مـــا وافقت عليه إيران بالفعل بعد تحطيم قوة العراق وســـقوطه من معادلة القوى الإقليميـــة؛ لتحاكي الدور التركي في تحالفه الأمني مع كيان الاحتلال الصهيوني.

لـــم تكن زلـــةً – إذن – أن تطلـــب الإدارة الأمريكية من حكومة طهران أن تكون وســـيطاً مع الأطراف الشـــيعية في العـــراق، فالمجال مفتوح لمن لا يعلَم، والحوارات والجلســـات السرية مستمرة بين الولايات المتحدة وإيران بخصوص ترتيب أوراق المنطقـــة ومنها العراق؛ والتي تُعقد في الغرف الخلفية في إيران تارة، وبعض أقطار المنطقة تارة أخرى.

فإيران لها مشروع نووي طموح، يرافقه حلم إمبراطوري عبّر عنه الرئيس نـجاد في مؤتـمر قمـة الـدوحـة الأخـيـرة بـ «الخليج الفارسي»، على مرأى ست دول خليجية ومسمعهم، ولن تتخلى عنه بسهولة؛ ولذلك تسعى إيران بكل قوة لامتلاك أوراق عســـكرية واقتصادية تقايض بها استمرارها في بلوغ أهدافهـــا أو الجزء الأكبـــر منها، ولكن يبقى الســـؤال: هل انتهت رغبة أمريكا حقاً في شن الحرب على الحليف العدو؟ وهل ستصنع مســـوِّغاً جديداً لتقوم بالحرب بشكل مفاجئ وسريع؟

لا يوجد نهج ثابت في لغة السياســـة والحرب، فقد يقع هذا بالفعل، لـــولا أن أطرافاً أخرى في المنطقة – وإن كانت أقل تأثيـــراً – بدأت ترى في الوقـــت الضائع أن حرباً ضد إيران تعني إشعال الخليج وانهياره فوق رؤوس سكانه؛ فدول الخليج إذا ما اندلعت حربٌ جديدة ســـتكون الخاسر الأكبر، لأن أي رد إيراني انتقامي ســـيكون موجهاً إليها في الدرجة الأولى بعد كيان الاحتلال الصهيوني، وضرب إيران إن حصل سيفتح شهية واشـــنطن بعدها لتصفية المقاومة الفلسطينية المسلحة، وشـــنق النظام السوري بأمعاء قيادات «حزب الله» بعد تجريده من السلاح.

هذا يفسر عدم سعادة بوش بالتقرير الذي أعدته مخابرات بلاده عشـــيةَ وصول أحمد نجاد إلى الدوحة يوم اشترك في

> "يبقـــى الســؤال: هـل انتهت رغبة أمريكا حقاً في شـن الحـرب علـى الحليف العدو؟"

مؤتمر القمة الخليجي على غير عادة المؤتمر المذكور، والذي انتهى إلى أن إيران أوقفت نشـــاطاتها العسكرية النووية منذ عام ٢٠٠٣م، ولا يهم الآن أن يكون التقرير صحـــيحاً تمـــاماً أو كاذبـــاً تماماً؛ فدماء العراق التي أهريقت على منوال مثل هذا التقرير لا تزال ماثلـــة ولـــم تغيِّـــر مـــن الواقـــع شـــيئاً، فلا العراق عاد حراً، ولا أمريكا سحبت قواتها منه.

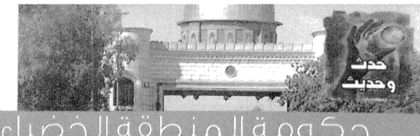
مجمل القول: إن سياســـة إيران ستعتمد مستقبلاً – كما كان في الســـابق – التقدم خطوة إن ســـحبت أمريكا قدمها خطوة في المقابل كما حصل في ملفها النووي الآن، وستحاول ألا تعود للـــوراء مهما كانت التضحيات، إلى أن تتضح معالم مشـــاركتها في النظام الدولي الذي تترأسه واشنطن وتلعب فيـــه دور الأب الروحي كما هو الحال المعمول به بين عائلات المافيا.

القفزة التي حدثت في الخطاب الأمريكي المثيرةُ للحيرة والجدل بشـــأن ملف إيران النووي؛ تســـتدعي من أطراف المنطقة إعادة الحســـابات فيما يمكن أن تكون عليه المواقف عندما تحين ساعة المصلحة وتتغلب على غيرها.

حينهـــا يتضـــح أن ازدواجية الأدوار التـــي قد تبدو بين الحين والآخر ما هي إلا نكهة المسرح الدولي الذي يلعب فيه كثير من العرب دور (الكومبارس) و (الدوبلير) المستعد دوماً لتلقي اللكمات ودفع الحساب نيابة عن الباقين.

تأتي نقطة أخيرة تهم الطرف الإيراني وتؤرِّق بعضاً عن مدى مصداقية التقارب الإيراني مع العرب عموماً، والخليج – الذي تصر إيران على فارســـيته – بصفة خاصة، مع بقائها تلعب دور السمســـار المستفيد للسياسة الأمريكية. يزيل هذا الإشـــكال الإيرانيون أنفسهم؛ فلسان أفعالهم يقول: «شـــرف لا ادّعيه.. وتهمة لا أنكرها!».





حكومة المنطقة الخضراء ولعنة صدام

د. يوسف بن صالح الصغير(*)

يتـــداول الناس كثيراً خرافة تدعى (لعنة الفراعنة) التي تتلخص في تعرُّض مَنْ ينتهك مقابرَ الفراعنة ويفرح بحصوله على كنوزها؛ لمصائب وأمراض قاتلة.

ولسنا هنا بصدد مناقشة صدق هذه الدعوى من عدمها بقـــدر تأكيد ضعف البشـــر وعجزهم عـــن تقدير عواقب أفعالهم؛ فكثيراً ما يسعى الإنسان بجدٍّ ويحرص على حصول أمر ويفرح كثيراً بتحققه، ولكنه سرعان ما يندم ويحزن، وقد يعجز عن تحمل نتائجه الســلبية. ومن هذا الباب سنعرض لما جرى في العراق.

فبعد خمس ســنوات من إســقاط النظام؛ يعلن الناطق الإعلامي لقوات الاحتلال البريطانية في جنوب العراق؛ أنه ليست لدى قواته أي خطط لدخول مدينة البصرة حالياً، وأن جميع الجنود البريطانيين موجودون في القاعدة البريطانية في مطار البصـــرة الدولي. وتواترت الأنباء أن المتعاونين مع الإنجليز؛ عُرضت عليهم مبالغ مالية وتسهيل استقرارهم في البلدان المحيطة أو منحهم حق الإقامة في بريطانيا. وقد وطِّن حوالي ألفي شخص منهم في شمال إنجلترا وأسكتلندا.

إنه مؤشـــر على قرب الخروج، وأن من يحكم العراق لن يتســـامح مع أعوان الاحتلال. وهو إقرار بأن وجود الحكومة الحالية مرهون ببقاء ما يســـمى بقوات التحالف؛ لذا نلحظ أن الهاشـــمي - وهو نائب الرئيس الســـني - يصرح بأنهم فشـــلوا في تحقيق وعودهم للناس. أما أحـــد أقطاب كتلة رئيس الحكومة السابق علاوي؛ فيصرح بأن الوضع كان في أيام صدام أفضل، وأن قتله قد فاقم الوضع. أما رئيس الدولة الكردي فمـــا يهمه هو الحفاظ على كيان الشـــمال الكردي؛ الذي يخشى أن يكون ثمناً لأي صفقة إستراتيجية بين أمريكا وتركيا، إذا علمنا أن أمريكا أيدت التوغل التركي الأخير، وأن تشيني طلب من تركيا إرسال قوات قتالية إلى أفغانستان.

إن الحكومـــة الحالية في بغداد لا تعـــدو كونها حكومة رافضية، ووجود الآخرين فيها هو فقط لإضفاء الشـــرعية. ومن هنا نفهم أن الهاشمي اكتفى بإعلان الفشل. أما المالكي؛ فهو يقـــود حملة لإخضاع البصرة ولجم ما يســـمى بجيش المهدي.

إنهـــا عمليـــة ترتيب البيـــت الرافضي لمرحلـــة ما بعد الانســـحاب الذي لا يعلم أحد متى ســـيحصل؛ فأمريكا بين شعار البقاء لمئة سنة وبين بدء الانسحاب فور الفوز بالرئاسة. إنها فترة حاســـمة تحاول فيها أمريكا تلمُّس الطريق والنظر فيمـــا إذا كان يمكنها البقاء في العراق مـــن دون أعبـــاء قتاليـــة أو تكاليف مالية؛ ولذا؛ فهـــم يعلنون بدء المحادثات مع الحكومة بشـــأن طبيعة العلاقة الإستراتيجية بين العراق وأمريـــكا. ويبدو أنهم وصلوا إلى قناعة بأن حكومة رافضية مدعومة مباشـــرة من إيران؛ قد تســـتطيع الصمود، بشرط خفض التوتر (العربي الفارســـي)، واعتراف عربي حقيقي بالحكومة. لذا؛ نجد أن تشـــيني يطلب فتح سفارات عربية فـــي بغداد للتوازن مع النفوذ الإيراني، وهذا التعليل ســـاذج وســـطحي؛ فما يـــريده هو التغـــطية على النفـــوذ الإيراني لا مواجهته.

نعم! ثمة حديث في أمريكا عن خطورة الانسحاب المتعجل من العراق، وثمة حديث عن المليارات التي تهدر في العراق، وثمة تباكٍ علـــى أربعة آلاف قتيل أمريكـــي... وباختصار: إنهم يتحدثون فقط عن أنفســـهم، وليس هناك أدنى اهتمام بمليوني عراقي غادروا العراق، ومليون وسبعمائة ألف مشرد داخل العراق، وليس هناك حديث عن تدهور أحوال الشعب العراقي من جميع النواحي؛ فما تزال الجثث مجهولة الهوية تَـــرِدُ على مشـــرحة الطب العدلي، وما يـــزال حاكم العراق مجهول الهوية.

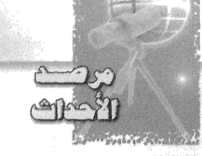
فـــإذا كان العراق يدار من المنطقة الخضراء؛ فمن الذي يحكمه: هل هو الرئيس، أم نوابه الثلاثة، أم رئيس الـــوزراء أم البرلمان، أم أحد القاطنين في سفارة ما؟

إنها أُحجية ســـنعلم حلها عندما يقرر الحـــاكم فجـــأة - كعادته دائماً - الهرب ويركب طائرة الإخلاء.

أما البقية؛ فقد أصابتهم...

(*) أستاذ مشارك في كلية الهندسة، جامعة الملك سعود، الرياض.





أحمد فهمي
afahmee@albayan_magazine.com

لا للمقالات «المسيئة» .. نعم للرسوم «المسيئة»

أصدرت وزيرة الداخلية الفرنسية ميشيل أليو ماري قراراً بعزل نائب محافظ منطقة (سانت) جنوب فرنسا، بعد نشره مقالاً على موقع إسلامي فرانكوفوني يوجه النقد لـ «إسرائيل»، بوصفها «الدولة الوحيدة التي يقتل فيها قناصة فتيات صغيرات لدى خروجهن من المدارس»، وسخر أيضاً من (السجون الإسرائيلية؛ حيث يتوقف التعذيب بحكم القانون الديني خلال السبت اليهودي).

الكاتب (المعزول) هو برونو غيغ، خريج المدرسة العليا للإدارة، التي تخرِّج كبار مسؤولي الدولة، وسبق له أن نشر كتباً منها: (الشرق الأوسط: حرب الكلمات). والمقال الذي أثار الضجة، نُشر على موقع (أمة . كوم) الإلكتروني المختص بالحوار باللغة الفرنسية، الذي يستقبل أكثر من ستة ملايين زائر سنوياً. وحسب تقديرات إعلامية؛ فإن مقال غيغ أعيد نشره في أكثر من مائة موقع إلكتروني.

وكان الكاتب الفرنسي باسكال بونيفاس تعرَّض لهجوم شديد قبل مدة بسبب مقال نشره في صحيفة (لوموند) تحت عنوان: (هل من المسموح انتقاد إسرائيل في فرنسا؟).

[الخليج ٢٥/٣/٢٠٠٨م]

أسلم ... فهل يحسن إسلامه؟

أعلن الكاتب الألماني والصحافي والمثقف الشهير هنريك م. برودر (٦١عاماً) الذي تميز بنقده الجارح للإسلام والمسلمين؛ اعتناقَه للإسلام بشكل مفاجئ، وصاح بين الحضور «هيا اسمعوني.. فقد أسلمت!» وقد جاء إعلان إسلامه بحضور إمام مسجد رضا في نيوكولن، حيث قال إنه كان في صراع طويل ومرير مع الحقيقة وأنه ارتاح أخيراً.وقال معقباً على سؤال بشأن تخلّيه عن دينه اليهودي بأنه لم يدّع ديناً، وإنما عاد إلى دينه الحقيقي دين الفطرة التي يولد عليها كل إنسان؛ وهي فطرة الإسلام.

وبعد أن نطق الشهادتين في المسجد أمام شاهدَيْن؛ أصبح اسمه هنري محمد برودر، وقال معقباً على ذلك باعتزاز: «أنا الآن عضو في أمة تعدادها مليار وثلاثمائة مليون إنسان في العالم معرَّضون للإهانة باستمرار، وتصدر عنهم ردود أفعال على تلك الإهانات، وأنا سعيد بالعودة إلى بيتي الحقيقي الذي ولدت فيه».

ويعد هنريك برودر أحد أهم الكتاب المثيرين للجدل في ألمانيا، وقام قبل إسلامه بجمع أعماله وترجمتها إلى الإنجليزية في ١٨مجلداً من دراساته التي كان قد نشرها بالألمانية منذ عام ١٩٧٩، آخرها كان يتحدث عن القضايا التي حدثت بعد هجمة الحادي عشر من سبتمبر وما يتعلق بذلك الموضوع من «الحرب على الإرهاب».

[الرياض ٢١/٣/٢٠٠٨م]

إيهود «باراك» أوباما

رد أوباما على مطالبات عدد من المنظمات اليهودية الأمريكية بشأن موقفه من (حماس)، بالقول عبر البريد الإلكتروني: (حماس منظمة إرهابية مسؤولة عن مقتل أبرياء كثيرين، وتهدف لتدمير (إسرائيل).. وأنا أؤيد أن تلتزم حماس بقبول شروط المجتمع الدولي للاعتراف بـ (إسرائيل)، ونبذ العنف والالتزام بالاتفاقات السابقة، قبل أن نعترف بها)، وسبق له أن دافع بشدة عن المحرقة (الإسرائيلية) في قطاع غزة، بذريعة الرد على الصواريخ.

وفي شأن السباق الانتخابي، أظهر استطلاع للرأي أجرته مؤسسة (جالوب) تقدُّمَ أوباما على كلينتون بـ ٤٨ ٪ مقابل ٤٥ ٪، في حين تقدّم المرشح الجمهوري جون ماكين عليهما معاً، حيث حصل على ٤٦ ٪ مقابل ٤٤ ٪ لأوباما، وعلى ٤٧ ٪ مقابل ٤٥ ٪ لكلينتون.

[الخليج ٢٥/٣/٢٠٠٨م]



فضائيات

● بثت قناة (سي إن إن) تقريراً يتعلق باللغط الدائر بشأن ديانة المرشح الديمقراطي للرئاسة باراك أوباما، واتخذ التقرير أسلوباً ساخراً. واعتمد على استطلاع آراء بعض الأمريكيين في ميدان التايمز (تايمز سكوير) في مدينة نيويورك، وأظهر أن حوالي ١٣٪ من الأمريكيين يعتقدون أن أوباما مسلم، على الرغم من أنه أكد انتماءه للنصرانية. ومن المعروف أن أوباما وُلِد لأب كيني وأم أمريكية بيضاء. [٢٠٠٨/٣/١٨م]

● أنتجت قناة الجزيرة برنامجاً وثائقياً من عدة حلقات بعنوان «حرب البترودولار»، ويتحدث عن الارتباط التاريخي بين النفط والدولار الأمريكي. واستعرضت الحلقة الأولى نظام النقد العالمي «بريتون وودز» الذي يربط احتياطي الدولار بغطاء الذهب، والذي نقضته واشنطن في عهد نيكسون عندما أعلن فك الارتباط بين الذهب والدولار. وذكر البرنامج أن حرب أكتوبر ١٩٧٣م كانت إحدى الوسائل التي لجأت إليها أمريكا لربط الاقتصاد العالمي بالدولار من خلال سياسة «تدوير الدولار» التي تبناها هنري كيسنجر؛ التي تهدف إلى رفع أسعار البترول ثم استيعاب الفائض المالي لدى دول النفط في البنوك الأمريكية والبريطانية... وتحدثت الحلقة الثانية عن علاقة الحرب الأمريكية على العراق بالنفط، ونقلت قول السفير الأمريكي الأسبق في السعودية جيمس إتكينز: «لو كان العراق ينتج الفجل؛ فهل كنا سنهاجمه؟! بالطبع لا، نحن غزونا العراق للحصول على النفط».

● استضاف برنامج (أكثر من رأي) الذي تبثه قناة الجزيرة عبد الباري عطوان رئيس تحرير القدس العربي مع مسؤول أمريكي وآخر من سلطة أبي مازن، وكان موضوع الحلقة زيارة نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني. وقال عطوان: إن زيارة تشيني ليست زيارة سلام وإنما زيارة حرب، وقال: إنها تروج للحرب ضد إيران، ووصَفَ السلطة الفلسطينية بأنها «شرابة خُرج»، وأن زيارة تشيني لها كانت للتعمية على هدف الزيارة الحقيقي، وقال: إن كوندوليزا رايس زارت المنطقة ١٣ مرة، والتقى أولمرت مع عباس ١٤ مرة، والتقى قريع مع تسيبي ليفني وزيرة خارجية الكيان الصهيوني أكثر من ٢٠ مرة، وكل ذلك دون أي نتائج، ولا يزال هناك ٦٣٠ حاجزاً. وعن الدور العربي في العراق؛ قال عطوان: إن «الحكومة العراقية لا تحب العرب.. السيد نوري المالكي لا يحب العرب ولا يريد أي وجه عربي للعراق». [٢٠٠٨/٣/٢٢م]

خبر وتعليق

ديك تشيني .. هل يصيد السمك في دجلة؟

الخبر: وصل نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني إلى بغداد وتحدث عن وجود «تطور مذهل في الأمن»، ونقل شكرَ الرئيس بوش إلى المسؤولين في النظام العراقي كافة؛ بدءاً من مجلس الرئاسة وانتهاء بحكومة المالكي.

[يوم الإثنين ٢٠٠٨/٣/١٧م]

التعليق: في ذلك اليوم تحديداً: قُتل أكثر من ٦٠ عراقياً في هجمات بالقنابل، واحتاج تشيني إلى حراسة مشددة وغير مسبوقة لكي يتنقل داخل المنطقة الخضراء فقط، ومع ذلك سقطت قذيفتا هاون في أثناء وجوده فيها، بينما هو يتحدث عن التطور «المذهل» في الأمن!

بعد الزيارة بأيام قليلة؛ قتلت مروحية أمريكية من طراز أباتشي ستة أشخاص اشتبه في كونهم «إرهابيين» يقومون بأنشطة مشبوهة، تبين لاحقاً أنهم ينتمون إلى أحد مجالس الصحوة التي كوّنتها سلطات الاحتلال في المناطق السنية وتقوم بدفع رواتب أفرادها، وكان «الصحويون» الستة يرتدون سترات خاصة تبدو فاقعة اللون في النهار وتعكس الإضاءة في الليل، وفي ٢٤ مارس قُتل ٥١ عراقياً وأصيب ١٢٢ في عمليات مختلفة.

وذكر تقرير حديث للأمم المتحدة أن الأمن في العراق هشّ وقد تحقق بسبب التعزيزات الأمريكية الأخيرة، وتساءل التقرير عن مستقبل الأمن بعد الانسحاب والتعزيزات.

وفي بغداد، أعلن مدير المشرحة أنها تستقبل ١٥ جثة يومياً منذ أسبوعين. وفي البصرة صرح مسؤولون عراقيون أن هناك نحو ٤٠ حزباً ومجموعة تتنافس وتتقاتل على النفوذ والنفط، واضطرت القوات البريطانية (خمسة آلاف جندي) إلى تأجيل انسحابها بسبب تدهور الأمن في المدينة، وأعلن مؤخراً حظر التجوال ليلاً بقرار من المالكي، كما تعرض مقر قيادة الشرطة ومقر وزير الداخلية في البصرة إلى القصف بالصواريخ... إنه فعلاً تطور «مذهل» في الأمن!

عندما زار تشيني سلطنة عمان ضمن جولته الأخيرة؛ قضى إجازة قصيرة في صيد السمك على البحر.. يتساءل عبد الباري عطوان رئيس تحرير القدس العربي: «متى نراه يصطاد السمك في دجلة وبغداد؟!».





مفهوم الذروة النفطية

تعني الذروة النفطية الوصول إلى منتصف عمر النفط، وعلى المستوى العالمي؛ فإن ذلك يعني أن النفط قبل نقطة الذروة يكون متوفراً بكميات زائدة عن الحد ورخيصاً (نسبياً)، وبعد الذروة يتراجع الإنتاج ويرتفع السعر بمعدلات كبيرة، ويتوقع خبراء في اقتصاديات النفط أن الذروة النفطية ستصبح نقطة تحوّل مذهلة في تاريخ البشرية.

أول من استخدم مفهوم «الذروة النفطية» هو جيولوجي أمريكي يدعى ماريون هوبرت عام ١٩٥٦م، وكان يعمل لدى شركة شل، وتوقع أن النفط الأمريكي سيبلغ مستوى الذروة ما بين عامي ١٩٦٦م و١٩٧٢م. وقد صدقت توقعاته بوصول النفط الأمريكي عام ١٩٧٠ إلى أعلى مستوى إنتاجي.

وأجرى خبراء آخرون دراسات معمقة بشأن مستوى الذروة النفطية للعالم كله. ومع إضافة الغاز الطبيعي؛ يتوقع بلوغ هذا المستوى عام ٢٠١٢م حسب بعض التقديرات، في حال لم يعلن عن اكتشافات نفطية كبيرة.

ويقول خبراء الذروة النفطية إنه استُخرجت حتى الآن في جميع أرجاء العالم كمية من النفط تقدر بحوالي ٩٥٠ مليار برميل، مع حوالي ٢٠٠٠ مليار برميل من الاحتياطيات، وإنتاج عالمي يبلغ حوالي ٣٠ ملياراً سنوياً (الاتجاه في صعود: ويبلغ متوسط الإنتاج اليومي حالياً ٨٠ مليون برميل)، واكتشافات نفطية جديدة تتراوح بين ٨ و ١٢ مليار برميل تقريباً (الاتجاه في نزول: ففي سنوات الستينيات من القرن الماضي كان يكتشف حوالي ٤٠ مليار برميل نفط).

ويتهم خبراء غربيون دول أوبك بأنها تزيد من خطر الذروة النفطية بسبب تقليصها لعمليات التنقيب عن احتياطيات جديدة، ويقلل فاتيه بيرول رئيس محللي وكالة الطاقة الدولية في باريس من خطورة الذروة النفطية؛ لأن دول الأوبك تمتلك ٦٠ ٪ من الاحتياطي العالمي، ولكنها لا تنفذ سوى ٢ ٪ فقط من عمليات الحفر على المستوى العالمي؛ بسبب رغبتها في إبقاء الأسعار مرتفعة، حسب قوله.

ولا تعني ذروة النفط بالطبع أن النفط بعدها سوف ينفد دفعة واحدة، بل تعني نهاية عهد زيادة الإنتاج، كما أن الذروة النفطية تعني أيضاً أن النفط سيكون بضاعة محدودة وثمينة حينما يتخطى الإنتاج ذروته.

وحسب تقديرات معهد الطاقة والإنسان في الولايات المتحدة؛ فإن أبعد مدى للذروة النفطية عالمياً يوجد في العراق، الذي سيبلغ ذروته النفطية عام ٢٠٣٦م، في تتابع زمني من أعلى إلى أسفل: الكويت عام ٢٠٣٥م، الإمارات عام ٢٠٢٦م، السعودية عام ٢٠١٩م، وذلك ما لم يُكشف عن احتياطيات جديدة.

[بتصرف عن كتاب السجل الأسود للنفط، تأليف: توماس زايفيرت، كلاوس فيرنر]

أرقام تحكي العالم

- أظهر استطلاع للرأي أجراه المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية في الضفة الغربية وقطاع غزة؛ أنه في حال جرت الانتخابات الرئاسية بين الرجلين اليوم؛ سيحصل عباس على ٤٦ ٪ بينما سيحصل هنية على ٤٧ ٪، وكانت شعبية أبي مازن - حسب المركز نفسه - قد بلغت ٥٦ ٪ وهنية ٣٧ ٪ في ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٧م.

[الشرق الأوسط ٢٠٠٨/٣/١٨م]

- توقعت غرفة التجارة الدنماركية أن تصل الخسائر الناتجة عن المقاطعة الإسلامية لبضائعها إلى ٣ مليارات دولار وفقدان ٢٠ ألف وظيفة.

[سي إن إن ٢٠٠٨/٣/١٨م]

- زعم المتحدث باسم الجيش الأمريكي الأميرال غريغ سميث أنه خلال العام الماضي اعتُقل أو قتل ٣٩ فرداً من أعضاء القاعدة في العراق المسؤولين عن إنتاج تسجيلات فيديو ومواد دعائية وتوزيعها على ٥٠٠٠ من مواقع الإنترنت المؤيدة للقاعدة. وقال: إن فبراير ٢٠٠٨م؛ شهد نشر ٣٤ رسالة فيديو ورسالة صوتية من الشبكات العراقية؛ نزولاً من ١٤٤ رسالة في يونيو ٢٠٠٧م.

[ميدل إيست أون لاين ٢٠٠٨/٣/٢٢م]

- كشف استطلاع للرأي أجرته CNN بالتعاون مع مركز أبحاث الرأي؛ أن ٧٠ ٪ من الأمريكيين يعتقدون أن الإنفاق الحكومي على الحرب في العراق مسؤول بصورة جزئية عن المشكلات الاقتصادية التي تعاني منها الولايات المتحدة الأمريكية، وقال ٦١ ٪ من أفراد عينة الاستطلاع: إنهم يرغبون برؤية الرئيس الأمريكي المقبل يتخذ قراراً بسحب جزء كبير من القوات الأمريكية من العراق في غضون الشهور الأولى لتسلمه منصبه.

[سي إن إن ٢٠٠٨/٣/١٩م]

- أظهرت دراسة صادرة عن مجموعة صحفية أمريكية غير ربحية، وهي مركز الأمانة العامة وصندوق دعم الصحافة المستقلة؛ أن الرئيس بوش وكبار مستشاريه قد أدلوا بـ ٩٣٥ إفادة رسمية خاطئة تتعلق بالمخاطر الأمنية التي يمثلها العراق على البلاد، وذلك خلال العامين اللذين أعقبا هجمات الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول ٢٠٠١م، وأشارت إلى أن الرئيس الأمريكي أدلى بـ ٢٦٠ إفادة خاطئة، ويأتي كولن باول بعد بوش في الترتيب حيث أدلى بـ ٢٥٥ إفادة خاطئة، وأدلى بول وولفويتز بـ ٨٥ إفادة خاطئة، وكوندوليزا رايس بـ ٥٦ إفادة، وديك تشيني بـ ٤٨ إفادة.

[سي إن إن ٢٠٠٨/٣/١٤م]



شخصيات وراء الأحداث

جون ماكين

المرشح الجمهوري لانتخابات الرئاسة، يبلغ من العمر ٧١ عاماً، وفي حالة فوزه سيكون الرئيس الأكبر سناً عند تولي المنصب.

ينتمي ماكين إلى عائلة احترفت الحرب من الجد إلى الحفيد، كان جده أدميرالاً بحرياً، ووالده قائداً لإحدى الغواصات في الحرب العالمية الثانية ومن ثم قائداً للبحرية في المحيط الهادي خلال حرب فيتنام. وينتمي ولدا جون ماكين إلى سلك ضباط المارينز، وقد خدم أحدهما مدة سبعة أشهر في العراق.

ولد جون ماكين في القاعدة العسكرية في بنما حيث كان يخدم والـــده، وكان من الطبيعي أيضاً أن يتعلم في المدارس التي يرتادها أبناء الضباط وأن يسير على رسمهم، وأصبح بدوره ضابطاً طياراً في سن مبكرة. وقد تخرج في كلية أنابوليس الحربية، وشارك في قصف مناطق فـــي فيتنام ٢٢ مرة. وبينما كان يدمر محطة كهرباء في المرة الـ ٢٣؛ ســـقطت طائرته بصاروخ ســـام ٢، وهبط بمظلته وســـط بحيرة في قلب العاصمة مما أدى إلى تكسير يديه ورجله، وطعنه في كتفه بحربة جندي فيتنامي، ووقوعه في الأســـر؛ حيث خضع لتعذيب قـــاس، وهو ما دفعه للعمل علـــى منع التعذيب من خـــلال منصبه في الكونجرس؛ وذلك لمصلحـــة الجنود الأمريكيين «حفاظاً على أخلاقياتهم» وليس لمصلحة الضحايا، على حد قوله.

عندما خرج ماكين من الأســـر بعد ٥ سنوات؛ عُدّ بطلاً قومياً، وانتُخِب نائباً عن ولاية أريزونا عام ١٩٨٢م، ولا يزال يجدد انتخابه حتى الآن، وكان يرفض الوجود العسكري الأمريكي في لبنان. ونافس عام ٢٠٠٠م جورج بوش على الترشـــح عن الحزب الجمهوري، وهو يتبنى نهجاً أكثر تشـــدداً من بوش فيما يتعلق بالسياسة الخارجية، ويســـعى لمنع الزواج المثلـــي، ويؤيد قوانين الإعـــدام، وتعهّد برفع الضرائـــب وزيادة ميزانية البنتاجون وزيادة عدد القوات البرية إلى ٩٠٠ ألف جندي، ويعُد بعـــض المراقبين أن بوش ربما يوصف بأنه كان معتدلاً في سياسته الخارجية مقارنة بالمتوقع من ماكين.

وبالنســـبة للعراق، يرفض ماكين الانســـحاب ولو تطلب الأمر بقاء القوات الأمريكيـــة لمائة عام قادمة، وينادي بتكوين جامعة من دول ديمقراطية عالمية تتجاوز الأمم المتحدة في التدخل العســـكري المباشـــر ضد الدول التي تعدها «مارقـــة»، ويطالب بتكوين جبهة عالمية لمواجهة الإسلاميين «المتطرفين».

[بتصرف عن مقال فيصل جلول، صحيفة ٢٦ سبتمبر اليمنية ٢٠/٣/٢٠٠٨م]

علامة تعجب

فساد السلطة من «فتح» إلى «فتوح»

أوقفت الشرطة الصهيونية ســـيارة روحي فتوح رئيس المجلس التشـــريعي الفلسطيني السابق - وهو مسؤول بارز في السلطة حالياً ويعمل مبعوثاً شخصياً لأبي مازن - عند جســـر (أللنبي) أثناء عودتها من الأردن، وعثرت فيها على ٣٦٠٠ هاتف محمول كان سيتم إدخالها بصورة غير قانونية. واتُّهم فتوح في البداية ســـائقه، ثم اعتـــرف بامتلاكه لها، وقررت اللجنة المركزية لفتح إعفاءه من مسؤولياته الرسمية إلى حين البتّ في الأمر. ويكمن الحرج في كون فتوح مقرّباً من أبي مازن، كما شـــغل منصب رئيس السلطة لمدة شهرين بعد مقتل عرفات، وكان فتوح قد طلب شراء سيارة مصفحة بكلفة ربع مليون دولار في نهاية رئاسته للمجلس التشريعي. ويذكر أن الرئيس الحالي للمجلس د. عزيز الدويك المنتمي إلى حماس؛ يقبع في السجون الصهيونية منذ أكثر من عام... وانتشـــرت على الإنترنت تعليقات ساخرة على الحادثة، من بينهـــا تعليق يقول: الرئيس عباس يقلد روحي فتوح وســـام نوكيا؛ تقديراً لجهوده في خدمة الوطن والمواطن!

[وكالات]

هل كان «شمشون» من جنوب لبنان؟

لا يبالي مؤيدون لحزب الله في الضاحية وجنوب لبنان بوقوع حرب جديدة نتيجة سياسات الحزب. يقول (حسين) أحد الباعة اللبنانيين للبي بي ســـي: «إن الســـيد نصر الله هـــو الذي يقـــرر، ونحن نقول: عليه أن يرد؛ لأن إســـرائيل قتلت مغنية وعليها أن تدفع الثمن وحتى لو ردت إســـرائيل ودمرت لبنان».

[بي بي سي ٢٠/٣/٢٠٠٨م]

الجزاء من جنس العمل

كشفت دراسة عسكرية للبنتاجون أنه بعد مراجعة قرابة ٦٠٠ ألـــف وثيقة عراقية صادرتها القـــوات الأمريكية بعد ســـقوط بغداد، بالإضافة إلى مراجعة مقابلات مع قياديين رئيســـيين في نظام البعث؛ لم يُعثر على أي أدلة دامغة على الصلة بين نظام صدام حسين والقاعدة. وكان وزير الدفاع الأمريكي الســـابق دونالد رامســـفيلد قد أعلن في سبتمبر ٢٠٠٢م أن الســـي آي إيه تمتلك أدلة دامغة «تثبت أن هناك وجوداً فعلياً للقاعدة في العراق».

[سي إن إن ١٦/٣/٢٠٠٨م]



أخبار التنصير

محمد عبد العزيز الهواري
Al7adaka@hotmail.com

مُنصـر مصري: المهمة الأساسية للقساوسة هي تنصير كل من يستطيعون تنصيره.

أعلن المنصر المصري «مكاري يونان» في عظته التي يلقيها في المطرانية القديمة بكلوت بيك أن «التنصير ليس بجريمة يعاقب عليها القانون المصري، بل هو المهمة الأساسية للقساوسة؛ وهي تنصير كل من يستطيعون تنصيره، وهذا هو عملهم الأصلي».

وأظهر الفيديو الذي صُور لهذه العظة مجموعةً من الفتيات المتنصرات، أو في طريقهن للتنصر، يستمعن لعظته في الكنيسة.

يذكر أن الدكتور زغلول النجار قد حذر في حوار له مع صحيفة (الأمة)؛ من نشاط التنصير في مصر، قائلاً: «أنا أعلم أن هناك عمليات تنصير تقوم بها الكنيسة المصرية ومعروفة أماكنها، وقد حضر إلى منزلي عشرات البنات والأولاد الذين تنصروا، وأعلم من يقوم بالتنصير، وعلى رأسهم (مكاري يونان)، فهو شخص لا هم له إلا تنصير أبناء المسلمين».

[المصدر: رصد خاص ٢٤/٢/٢٠٠٨م]

تنصُّر ٣٠٠٠ مسلم بولاية «تيزي وزو» الجزائرية

أكدت صحيفة الخبر الجزائرية أن ظاهرة تنصير المسلمين بولاية «تيزي وزو» أصبحت واقعاً من الصعب الاستمرار في التغاضي عنه، فعدد السكان الذين اعتنقوا النصرانية في الولاية يناهز اليوم الـ ٣٠٠٠، كما أن عدد الكنائس فيها ارتفع إلى ٢٥ كنيسة تتوزع على عدد من الدوائر؛ ٢٤ منها تنشط دون اعتماد من السلطات الجزائرية.

وكشفت مصادر الصحيفة أن نشاط الكنائس بالولاية تطور من الالتقاء في الكنائس أيام الأحد من كل أسبوع للصلاة، إلى إنشاء مدارس لتكوين القساوسة الذين يوزعون على الكنائس الموجودة عبر التراب الجزائري بعد انتهاء تكوينهم.

يذكر أن الكنائس الموجودة بـ «تيزي وزو» تابعة لعدة طوائف دينية، منها: طائفة (الثلاثة المنقذين)، وطائفة (المنهجيين)، وطائفة (شهود يهوه)، وطائفة (مجالس الرب)؛ وهي الطائفة التي ينتمي إليها الرئيس الأمريكي جورج بوش.

[صحيفة الخبر الجزائرية ١٦/٢/٢٠٠٨م]

ترجمات عبرية خاصة بالبيان

أحمد الغريب
Ahmedm2@hotmail.com

ترجمات:

- يقوم الجيش الهندي في الوقت الراهن باستخدام الأسلحة «الإسرائيلية» المتطورة في المواجهات العسكرية مع الثوار والمقاومين الإسلاميين في إقليم كشمير الإسلامي، بعد صفقة (هندية - إسرائيلية) تمت في إطار عملية تحديث الجيش الهندي، لاستخدامها على وجه الخصوص في المناطق السكنية المزدحمة.

[نيوز فرست كلاس ٣/٣/٢٠٠٨م]

- «دعا الحاخام اليهودي (هرشل شختر)، وهو أحد الحاخامات المعروفين في الولايات المتحدة الأمريكية ورئيس مدرسة (يونيفرستي) الدينية اليهودية في نيويورك؛ إلى إطلاق الرصاص على رئيس الوزراء «الإسرائيلي» واغتياله؛ بدعوى أنه يفرِّط بمدينة القدس، وقال فيها: «إنه إذا ما صح أن الحكومة «الإسرائيلية» ستقدم على التنازل عن مدينة القدس؛ فإنه من اللازم إطلاق الرصاص على رئيس الحكومة».

[صحيفة هآرتس ٩٤/٣/٢٠٠٨م]

تصريحات:

- «حينما توجه السؤال لطفل (إسرائيلي): «ماذا تعرف عن عيد الغفران؟»؛ فإنه حتماً سيجيبك بقوله: «إنه اليوم الذي وقعت فيه الحرب مع مصر، أو اليوم الذي أقوم فيه أنا وأصدقائي بالتنزه بالدراجات»؛ فهل ذلك يرتبط بالصهيونية في شيء؟ إن ذلك لا يعني سوى إفلاس الصهيونية، فكل ما حدث «لإسرائيل» نتيجة لمحاولات جلب الدين الأمريكي الجديد والتنصل من الديانة اليهودية».

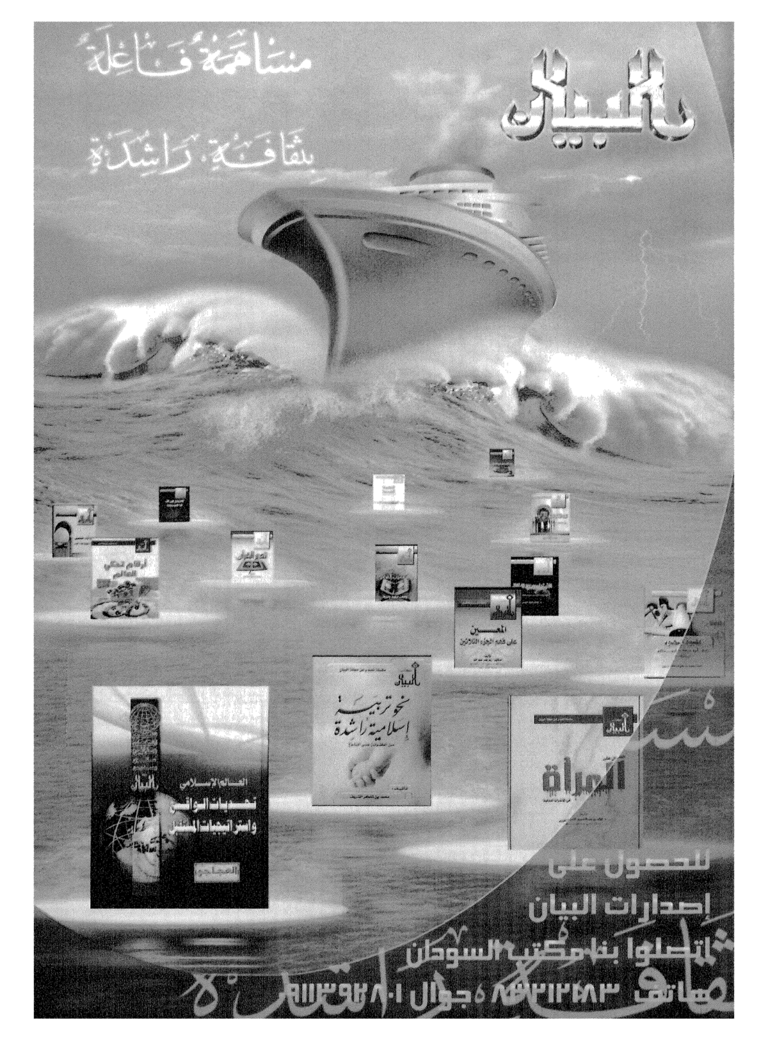
[رجل الأعمال الصهيوني المعروف (لف لفيف) لصحيفة هآرتس ٦/٣/٢٠٠٨م]

- «السيناريو الذي يخشاه الجميع هو أسلمة أوروبا لتصبح ذات طابع إسلامي، وهناك من يرى أن أوروبا تسير نحو هذا الاتجاه، وإذا لم ينجح الأوروبيون في إيقاف التعاظم الديموغرافي للمسلمين في بلادهم؛ فسيكون ذلك بمنزلة تغيير جذري في منظومة العلاقات الدولية، وهو بالطبع لن يكون في صالح (إسرائيل)».

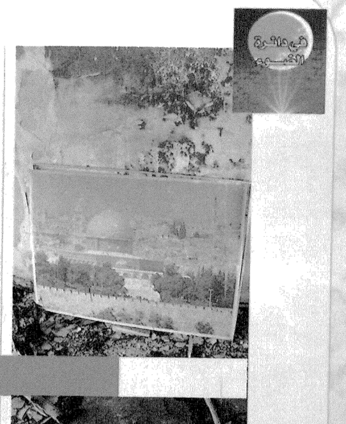
[أفرايم عنبار في دراسة (مستقبل إسرائيل) الصادرة عن مركز بيجين - سادات]

- «يجب على الجيش الإسرائيلي تسوية كل المباني التي تجاور أماكن إطلاق الصواريخ مع الأرض مادام ليس هناك حل متوافر لقضية إطلاق الصواريخ، ويجب أن يوزع الجيش منشورات من الجو يدعو فيها سكان غزة لإخلاء منازلهم وليهربوا إلى سيناء، وبعد ذلك يجب تدمير كل مكان تُطلق منه صواريخ».

[عضو الكنيست (إسرائيل كاتس) من حزب الليكود ٤/٣/ ٢٠٠٨م]



البيان
مساهمة فاعلة
بثقافة راشدة
المعين على فهم الجزء الثلاثين
البيان
نحو تربية إسلامية راشدة
العالم الإسلامي
تحديات الواقع واستراتيجيات المستقبل
البيان
المرأة
للحصول على
إصدارات البيان
اتصلوا بنا مكتب السودان



من إساءة كوبنهاجن إلى مأساة غزّة..

بأيّهما نبدأ؟

د. أحمد محمد الدغشي(*)

بصرف النظر عن القبـول أو الاتفاق مع الرأي القائل: إن ثمّة ارتباطاً عضوياً بين الإسـاءات الدانماركية الأخيرة لشخص سيّد الخلق محمّد ﷺ بهذا الحجم والاتساع، وبين ما يجري من مأساة في غزّة بلغت في الوحشية منتهاها؛ فإن منطق البحث والتحليل لا يجيز أن يتعجّل بعض ذوي (النوايا الطيّبة) لحدّ الحمق والسـذاجة المركبين أحياناً؛ كي يصادر الفكرة من أساسها بجملة مملّة متكرّرة هي: «إغراق في نظرية المؤامرة». بل لا بد من فحص الفكرة بين يدي البحث، بوصفها فرضية تحتمل القبول أو الرفض، بعد البحث والاسـتقراء. فهل من المستبعد في عالم ساد فيه مجرمو الحروب (الكونية) والإرهابيون (الدوليون)، وفي مقدّمتهم حكام البيت الأبيض، جنبـاً إلى جنب مع العصابات الصهيونية الحاكمة حالياً في أرض فلسطين السليبة؛ أن يتم تحضيرٌ مسبَّق بين الصهاينة وحلفائهم الأوربيين والأمريكان لمحرقة غزّة الحالية يسـبقه أو يتزامن معه حدث كوني هائل بحجم الإساءة الدانماركية، من شـأنه أن يغطي على جرائم الصهاينة في غزّة، فيخفف الضغط العالمي عليهـم، على فرضية أن هذا العالم لا يزال يتحمّل قدراً من مسؤوليته الأخلاقية تجاه (هولوكست) غزّة؟

أما الشعوب المسلمة وقياداتها الجماهيرية ونخبها فينصرف جهدها إلى الردّ على الرسوم الدانماركية المسيئة، أو تتشتت جهودهم بين الحدثين الكبيريـن. ومن الوارد أن يجرَّ الأمر إلى نشـوب اختلاف بين بعض هذه النخـب والقيادات في مسألة الأولوية، كما أنه من غير المستبعد أن يخرج الخلاف عن حدود الاجتهاد المشروع إلى التلاوُم، وربما التلاسن، ومن ثم الانجـرار إلى الاتهامات المتبادلة، بينما يمضي الصهاينة وحلفاؤهم في مسلسـل الإبادة، ليس لأهـل غزّة فقط، بل للقضية الفلسـطينية برمّتها، بينما نحن لـم نفرغ بعدُ من البحـث المنفعل بهذا الحدث وذاك عن الأولوية التي لا يجوز - في نظر بعضهم - التركيز على سواها!

الحق أن مآسـي أمتنا تكاثرت فـي الآونة الأخيرة، بيدَ أن جراحاتها لـم تزل نازفة لم تتوقف منـذ قرون مديدة، وبين فينة وأخرى تفجعنا مصيبـة جديدة، أو متجدّدة، هنا أو هناك أو هنالك. والمسـلم المعاصر المصطلي بمحنة أمّته - وليـس اللاهي السـادر في غيِّ شـهواته ورصيده المالي وهمّـه الفردي والعائلي ليس أكثر - مطارد بين هموم لا أول لها: فردية معيشـية واجتماعية وتعليمية وسواها، وبين هذه المآسـي على المستوى القطري أو الإقليمي أو الإسلامي مما

(*) أستاذ أصول التربية الإسلامية المشارك - كلية التربية - جامعة صنعاء.

يزيده همّاً فوق همّ، وربما حيرة فوق حيرة، حتى ليخيّل إلى المرء قاصر النظرة أحياناً أن ما يجري من أحداث من هذا القبيل؛ إن هي إلا نهاية أكيدة للتاريخ، أو مقدّمة محققة لقدوم المهدي المنتظر، ونزول المسيح عيسى ابن مريم - عليهما السلام - وقيام الساعة، من ثَمّ.

إن النظرة الجزئية المحدودة هي وحدها التي تقود إلى مثل هذا الاستخلاص، وإنّ ضعف القيادات الجماهيرية، وأزمة الوعي التي يعاني منها بعضها؛ تتحمل قدراً غير يسير من المسؤولية، حين يجرّها بعضهم في هذا القطر أو ذاك إلى ردّ فعل عشوائي، غير مدروس العواقب ولا المآلات، وقد تستنفد كل جهدها فيه، كما أن مؤسسات التنشئة - وفي مقدّمتها المدرسة وما في حكمها - ليست بمنأى عن المسؤولية، بل لعلّها غدت اللبنة الرخوة الأولى المتسببة في الوصول إلى هذه المخرجات الخرِبة والضعيفة على مستويات عِدّة.

إن كل دارس أو متابع لأحداث التاريخ القديم والمعاصر ليدرك أن أحداث اليوم المتتالية في هذه البقعة أو تلك من ديار أمتنا، أو حيث يقطن مسلمون أقلية أو أكثرية؛ ليست أمراً جديداً بالكليّة، ولا أنها حالة (فريدة) في سوئها وفظاعتها، بل لقد مرّ على أمتنا من المآسي ما يصغر أمامه بعض ما يجري.

هل نسينا محاكم التفتيش التي جرت للمسلمين في الأندلس؟ ومن ثَمّ سقوط بلد كان يمثّل واحدة من أبرز وألمع وأجمل حواضر العالم الإسلامي في ذلك الحين، حتى إنه كان يوصف بـ (فردوس المسلمين) في الدنيا؛ لاحتوائه على غرناطة وقرطبة وإشبيلية وغيرها كثير؟

سقطت الأندلس بسبب ملوك الطوائف - وما أشبه الليلة بالبارحة - وما جرّه حكمهم على أمتهم من مهانة وذلّ.

لم ينسَ ولن ينسى ذوو النَّفَس الحضاري فضل تلك الحضارة على العالم علماً وثقافة وحضارة إنسانية عالمية بحق، لكن هل سقطت حضارتنا إلى أسفل القاع، بما يعني النهاية المحتومة؟

لا يجوز أن ننسى - في غمرة أحداث اليوم - أن فداحة المشهد المأساوي في الأندلس لم يخلُ من جانب مضيء كذلك، وذلك حين تحمّل بعض المسلمين تبعات إيمانهم الحق بدينهم فلم يتنصّروا أو يبدِّلوا دينهم، ترغيباً أو ترهيباً، بل قضى بعضهم نحبه، تحت التعذيب في تلك المحاكم التي تمثّل مضرب مثل في البشاعة والقهر والتوحّش، وبعضهم فرَّ بدينه مُؤْثِراً الله والدار الآخرة على الأهل والدار والمتاع، بينما أظهر بعضهم تنصُّره عملاً بالآية القرآنية: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، إذ كان يمارس شعائره في ظلمة داره، ويلتزم دينه في معاملاته مع الخلق، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، كالذي يقبض على جمرة من نار، حتى لقي ربه على ذلك!

هل نسينا اجتياح المغول لعالمنا الإسلامي، وسقوط دار السلام (بغداد)؟

هذا جانب المأساة الكبير.

بيدَ أن جانبها المبشِّر الآخر هو إسلام الغزاة، وتحوّلهم من موقع الغازي العسكري إلى موقع المغزوّ - إن جاز الوصف - الفكري والثقافي والحضاري!

"سقطت الأندلس بسبب ملوك الطوائف - وما أشبه الليلة بالبارحة - "

أم هل نسينا الحروب الصليبية التي تحوّلت إلى مجازر لا يزال التاريخ يسجّلها واحدة من أبرز وصمات العار في جبين الحضارة الغربية القديمة والمعاصرة؟ مع ذلك لم ينته المسلمون ولم يُقْضَ على حضارتهم، بل ظلوا ذوي حضارة يحسب لها أعداؤها ألف حساب.

ولعل من آخر مآسي المسلمين الحضارية الكليّة - على مستوى السيادة والحكم - سقوط خلافتهم الإسلامية (العثمانية) - بكل ما اعتراها من نتوءات وتشوهات ولا سيما في حقبتها المتأخرة - بفعل التآمر الصهيو - غربي ذاته إلى جانب الضعف الداخلي. وإذا نسي بعضنا ذلك فلن ينسى الفلسطينيون والصهاينة مَعاً توسّلات سيِّئ الذكر الصهيوني الأول (تيودور هرتزل) للسلطان عبد الحميد الثاني - رحمه الله - بالسماح لليهود بمجرّد إقامة وطن محدود لهم على بقعة محدودة من أرض فلسطين، في مقابل إغراءات مالية وغير مالية يسيل لها لعاب الخونة وبائعي شعوبهم وأمتهم في كل زمان وحين!



نعم! سقطت الخلافة العثمانية ولكن لم تمت الأمة، بل تولّدت الصحوة من رحم المأساة، وأبرزها اليوم في تركيا ذاتها، حيث عاشت ما يزيد على سبعين عاماً تحت ضغط العَلْمنة الكليّة المتطرّفة؛ بهدف طمس الهوية وتغييب الانتماء، ولكن تظل سنّة الله أن يبقى شعاع نوره متقداً لا ينطفئ، رغم محاولات الكافرين المتكرّرة إطفاءه بمختلف الأفواه والوسائل القديم منها والحديث ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢].

لا أريد أن يُفهم من خلال ما تقدّم أنني أقلّل من جسامة أحداث اليوم أو فداحة الخطب، كلا؛ ولكنني أدعو إلى إدراك حجم الضرر الذي يصيب الطرف الآخر كذلك، وإذا كانت الإشارة جديرة بأن الدانماركيين وحلفاءهم في وضع لا يحسدون عليه أخلاقياً وفكرياً لدى كل الأسوياء والمنصفين؛ فإن بأيدينا سلاحاً فتّاكاً ربما لا يردعهم شيء كما يردعهم ذلك السلاح، أعني: سلاح المقاطعة الاقتصادية الجادّة المدروسة والواعية والمستمرّة، وليست المنفعلة بردّة فعل الحدث الآني فحسب. ولنتذكّر ما أحدثته تلك المقاطعة من آثار جدّ مؤثرة سلبياً على الاقتصاد الدانماركي في غضون أشهر قليلة فقط، وذلك إبّان الإساءة الأولى قبل عامين، مما دفع ببعض شركاتها إلى التبرُّؤ من مشاركتها في دعم الصحف المسيئة، والتوسّل إلى بعض الأطراف برفع المقاطعة عنها، ولجوء شركات أخرى إلى تزييف أسمائها، لكن كالعادة لم تحدث استمرارية في ذلك، ولعل هذا أحد عوامل التجرؤ مرة أخرى على تكرار الإساءة، فهل يا تُرى ستثبت أمتنا هذه المرة نصرتها الحكيمة المستمرة لنبيها ﷺ؟

أما في الحالة الفلسطينية فلك أن تمعن النظر في الوضع الحرج الذي يعيشه الكيان الصهيوني، والتعرّي الأخلاقي الذي بلغته الإدارة الأمريكية وحلفاؤها، وهو ما انعكس على شعبية قادة العدو الصهيوني وحلفائهم، وأعني: طغمة الحزب الجمهوري الأمريكي - على وجه الخصوص - حيث أفلست سياساته في العراق وأفغانستان - على سبيل المثال - حتى إن أكبر ورقة ينافس بها خصمُه (الديمقراطي) هي سحب قواته من العراق فور فوزه في الانتخابات الرئاسية القادمة، بعد أن فاز - على الخلفية ذاتها - في الانتخابات النيابية قبل ذلك. ولنقف مع لعنة الرعب التي تطارد الصهاينة من جراء إطلاق صواريخ القسام التي تشهد تطوّراً في قدراتها يوماً بعد آخر، حتى أخليت بعض المناطق المستهدفة أو كادت، وما يعانيه قادة العدو من ضغوط متزايدة تهدّد مستقبلهم السياسي جرّاء الاحتجاجات المتفاقمة المنادية بوضع حدٍّ لتلك الصواريخ، وكذا ما نشاهده من استئناف ملحوظ للعمليات الاستشهادية، وقد بلغت الغاية في الدّقة والإحكام، رغم ما نعلمه من (خرافة) الإمكانات الاستخبارية الصهيونية، وآخرها عملية المدرسة الدينية في القدس يوم ٢٨ /١٤٢٩/٢هـ الموافق ٢٠٠٨/٣/٦م التي أودت بعدد غير قليل من متطرفي اليهود، كما أصابت العشرات منهم بجروح متفاوتة، أغلبها في حالة الخطر، إلى جانب ما تنشره وسائل الإعلام الصهيونية في السنوات الأخيرة عن ظاهرة الهجرة المعاكسة بين الصهاينة، وما يستتبع ذلك من خسائر مادية واقتصادية باهظة التكاليف، ذلك كلّه يدفعنا إلى دراسة سنن الله في الأنفس والآفاق، وأحسب أن إغفال التوقّف عندها بروح الدارس المؤمن قد أسهم إلى حدّ بعيد في الوصول إلى نتائج من ضروب اليأس أو ما هو أقرب، لكن كيف نصل إلى ذلك؟ وهذه آيات الله تخاطبنا:

﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩ - ١٤٠].

﴿ وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ ﴾ [النساء: ١٠٤].

﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [الحج: ٤٠].

التحدّي الأكبر أمام أمتنا وقياداتها الجماهيرية المؤمنة المخلصة اليوم أن لا تنحني أو تستسلم، أو تختلف على الأولويات اختلافاً يزيدها فرقة فوق فرقة ومن ثمّ ضعفاً على ضعف، بل أن تستوعب الحدث جيّداً، وأن تقاوم على كل الجبهات، وقد يتأتى لفرد أو جماعة في ظرف زماني أو مكانيٍّ ما فتسارع إلى استغلاله بوعي ومسؤولية؛ ما لا يتأتى لفرد أو جماعة أخرى، يتعذّر عليها فعل ذلك؛ لاختلاف الظرف ذاته؛ فهنا لا يقع الاختلاف بل التكامل والتسديد ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١].



إذاعة طيبة
FM 103

طيبة لأوقات طيبة

FM 103

هاتف ادارة البرامج : +249155184141
هاتف قسم الاعلان : +249155174777
فاكس : +249155184999

الموقع : www.tayba.fm
بريد الكترونى : tayba@tayba.fm

رقم الحساب :3766. بنك التضامن الاسلامى - فرع السوق العربى



أشجـــ

عبد الله بن علي السعد

هذه المرة سأخرج من عيادتي.. ربما لم يكن خروجي منها مقصوداً، ولكن الموقف فرض نفسه، ولا أدري حقيقةً لماذا أسجل هذه المواقف، مع أني أحاول عدم التدوين لأيِّ موقف، إلا أنني أفاجئ نفسي وقد سجلتُ موقفاً على قصاصة ورق لتكون فيما بعد ورقة من مذكراتي.

التفكير في المجتمع ومعاناته ليس دوراً يتكلفه الطبيب، بل هو من أهمِّ أدواره في الحياة، ولأنني طبيب فنظرتي إلى الأمور تتأقلم مع تخصصي، وكثيراً ما تتحكم فيَّ هذه النظرة بغضِّ النظر عن صحتها أو خطئها، ومن هذه النظرات على سبيل المثال: الطبقات الاجتماعية، وسأذكر موقفاً حصل لي وأنا أحضِّر رسالة الدكتوراه في دولة أوروبية.

تتفاوت الطبقات الاجتماعية في أي مجتمع بين غني وفقير، وبين فقير وفقير جداً وتحت الفقر أحياناً، أي شيء لا يمكن وصفه بالفقر وكذلك العكس.. تباين طبقي شاسع يراه الإنسان في هذه الدنيا الغريبة. ويتفاوت تفكير الناس، وطرائق معيشتهم، وتعاملهم مع قضايا يومهم، وطموحهم، وأمانيهم، وهذا كله شيء طبيعي، فقط نوع واحد من الناس يتشابه في تفكيره وفي حياته على الرغم من اختلاف طبقته.. إنهم الأطفال.

يحملون في صدورهم الصغيرة القلب نفسه، وتختفي خلف ملابسهم الثمينة وأسمالهم البالية الروح ذاتها، وبغضِّ النظر عن المستوى المعيشي فإن سلوكهم يتشابه على الأقل في بداية حياتهم.

هناك على رصيف بجوار السوبر ماركت (سوق التموين) وجدت امرأة تفترش الرصيف، يؤلمني هذا المنظر.. يجرحني.. يقتلني، ولكن لا حيلة لي في دفعه، كان معها طفلها ذو السنوات الثلاث، بأسماله الممزقة القذرة، ووجهه المتسخ، ونظرته البريئة. نظر طفلي إليه وابتسم، هما في العمر نفسه تقريباً، وابتسم الصغير، هناك فرق بينهما، فرق من ناحية المظهر، والاهتمام، والرعاية، لكن في اللحظة والابتسامة المتبادلة ذابت كل الفروق. تركت ابني معه وبقيت أراقبه عن بُعْد، يلعبان معاً في براءة، يبتسمان في براءة، آهٍ من الخوف من الأيام! تُرى أي شيء يخبئه لنا القدر؟

فكرت في الأم، في داخلها قلب يشعر بالحب، ويمتلئ بالعاطفة، يأنس ويفرح ويخاف، يحب ويكره، يرضى ويغضب، لا نشعر بهذا الشيء لكنه صحيح.

نظرت إلى الطفلين ثانية، سواء أصابني الألم من منظر الصغير أو لا؛ فإن هناك قلباً يحبه بكل مشاعره، يحبه كما هو، يطير فرحاً برؤيته، يبني آمالاً، وينتظر له مستقبلاً.. أيَّ مستقبل.. المهم أنه يفكر بمستقبله.

يا إلهي! كم أخشى ألمَ هؤلاء المساكين! وكم أخاف أن تصيبنا نقمة نتيجة بُعْدنا عنهم وعدم إحساسنا بهم! أفقت من تأملاتي، وناديت ابني، وبنظرة منكسرة ابتعدت عن الصغير.

استوقفني ابني، وجاء يركض إليّ: أبي! اشترِ لهذا الولد لعبة لكي يلعب بها.

أعطيت ابني نقوداً وطلبت منه أن يختار هو اللعبة التي يريد.





ويبدأ ابني (أُسـيد) يعدد أسماء الألعاب المعروضة، وفي النهايـة وقع اختياره على سـيارة صغيرة، وكرة متوسـطة الحجم، وانطلـق ثانية لكي يقابل الصغير على باب سـوق التموين. رأيته يلتفت يمنة ويسـرة فأحسست بقلبي ينتفض في صدري، وبدأت التساؤلات تتوارد على ذهني المكدود.

عاد (أُسـيد) وعينه محمرة يـكاد الدمع أن يطفر منها: أبي! لقد رحل.

ضممتـه إلى صدري، خففت عنـه: لا تهتم يا صغيري! سيعود غداً ونأتي لكي تقابله وتعطيه الألعاب.

هل يحمل الصغار في صدورهم قلوباً أكثر حياة من قلوب الكبار؟! هل تتحجر القلوب إذا زادت أعمارنا؟!

وصلنا إلى المنزل، وانطلق (أُسـيد) دون أن يتفوه بكلمة واحدة، وذهب إلى غرفته.. تعجبت أمه منه.

- سألتني: ماذا أصابه؟

- اسأليه.

ذهبت إلى غرفته، وجلست بجواره على السرير وقد كان حزيناً: ما بك يا (أُسيد)؟!

لم يردّ عليها ولكن عينه المحمرة كانت تحكي الكثير.

- هل أغضبك أبوك؟

- هزَّ رأسه نافياً..

- إذاً! لماذا أنت حزين؟

وبكلمات الأطفال أخذ يشرح لها موقف الصديق الجديد الذي قابله ولعب معه قليلاً، ثم اختفى حين ذهبنا لنشـتري له لعبة.

عادت الأم إليَّ وقد أصابها الحزن، لا أدري: أهو الحزن علـى الصغير الذي لا نعلـم مكانه، وكيف سـيبيت، وماذا سيأكل؟ أم الحزن على صغيرها الذي بدا متأثراً ومفتقداً له وهو في غربة ولا يملك الكثير من الأصدقاء؟

- ما بكِ؟

ردَّت عليَّ في هدوء: لا شيء، فقط أفكر في الموقف.

- وبماذا تفكرين؟

نظرت إليَّ طويلاً ثم أجابت: كيف فكَّر الصغير في هذا الأمر بهذه الصورة؟!

- كنا نتوقع أنهم لا يفهمون هذه المشاعر.

- نعـم! صحيح، أو على الأقل نعرف أن الأطفال يحبون التملك ويفكرون في أنفسهم أكثر من غيرهم.

- للقصة بقية يا عزيزتي لم يرها (أُسيد).

التفتت إليَّ مندهشة: وما هي؟

- لم يغب الغلام بإرادته.. ولكن..

- ولكن... ماذا؟ أكمل.

- لقد كان في الساعة التي خرجنا فيها من سوق التموين يبكي ويضم أمه.

- ... ماذا حدث لها؟

- المرأة فقيرة، والجلوس في تلك المنطقة ممنوع، وصاحب السـوق على ما يبدو لا يرغب في جلوسها فبلَّغ عنها رجال الأمن فطردوها.

صمتت زوجتي وفي عينيها النظرة ذاتها التي كست عينَيّ صغيري، أما أنا فقد أصابني الصداع!



استدلال الخطيب بالسنة النبوية(*)

إبراهيم بن محمد الحقيل
hogail55@gawab.com

السـنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشـريع في الإسـلام، وأدلة وجوب الأخذ بها كثيرة جداً من الكتاب والسنة.

فمن الكتاب:

١- قـول الله - تعالى -: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١].

٢ - قوله - سبحانه -: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء: ٨٠].

٣ - قوله - عز وجـل -: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُـولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧].

ومن السنة:

١- قول النبي - عليه الصلاة والسـلام - في الموعظة التي حكاها العرباض بن سـارية - رضي الله عنه - وفيها: «فعليكم بسنتي وسـنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[1].

٢ - حديث المقدام بن معدي كرب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكـم بهذا القرآن؛ فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه»[2]. وأجمع المسلمون على ذلك.

والسـنَّة تبيِّن ما أُجمل في القـرآن، وتفصِّل ما أُوجز، وتعيِّن ما أُبهم، وقد خاطب الله - تعالى - نبيه - عليه الصلاة والسـلام - بهذا المعنى في قوله - عز وجل -: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤]. وفي آيـة أخرى: ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل: ٦٤].

(*) أودُّ التنبيه على أمرين:
الأول: أن هذه المقالة وما قبلها وما سيتلوها في هذا الباب لا تختص بالخطيب وحده، وإن خوطب بها، بل يشترك معه الداعية والمحاضر والواعظ، وكل من تصدى لدعوة الناس، وأراد تحضير موضوع من الموضوعات لخطبته أو محاضرته أو مـوعظتـه أو بحثه أو مقالته.
الثاني: أنني ما جمعت مادة هذه المقالات من كتب متخصصة في الخطابة والدعوة وغيرها؛ لأنني لم أجد فيها ما أريد، وعليه؛ فلا مراجع عندي لهذا الموضوع، ولا للذي قبله ولا لما يليه في هذا الباب، وإنما هي تجارب وممارسات خلال السنوات الماضية أردت أن أكتبها لإخواني، فالنقص والزلل محتمل فيها، والله الموفق.

(١) أخرجه أبو داود: ٤٦٠٧، والترمذي، وقال: حسن صحيح، ٢٦٧٦، وابن ماجه: ٤٢، والدارمي: ٩٥.
(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، وأحمد: ٤/ ١٣٠.

والسنة النبوية بالنسبة إلى ما ورد في القرآن على ثلاثة أنواع:

١- مؤكِّدة لما جاء في القرآن، فيكون الكتاب مثبتاً والسنة مؤيدة.

٢- مبيِّنة لما جاء في القرآن بتفصيل مجمله، وتقييد مطلقه، وتخصيص عامه.

٣- مشرِّعة لأحكام لم ترد في القرآن؛ كتحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها.

وللسنة مكانة عظيمة في نفوس المسلمين؛ لمحبتهم للنبي ﷺ، وشغفهم باتباعه لنيل رضوان الله - تعالى - ومحبته: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١].

ولا يجمل بالخطيب أو الداعية أو الواعظ أن تكون خطبته أو موعظته خالية من هدايات النبي ﷺ في أقواله وأفعاله وتقريراته.

والملاحظ أن الانفتاح الإعلامي وانتشار كثير من الحوارات والمناظرات على الفضائيات قد أثَّر كثيراً في بعض الخطباء والدعاة فصاروا يتقمَّصون شخصيات من يسمون بالمثقفين والمفكرين في كثرة الاستدلالات العقلية على حساب النصوص من الكتاب والسنة، وبعضهم صار يستبدل بالنصوص المعصومة أقوال الفلاسفة والمفكرين والكتّاب الغربيين؛ لما يلي:

١- إرضاء جمهوره من الحضور أو المستمعين الذين يستمعون له.

٢- كسب ودِّ الوسيلة الإعلامية التي أبرزته للناس، وخصَّته ببرنامج فيها دون غيره.

٣- مجاراة ما يُلقى على أسماع الناس عبر وسائل الإعلام المختلفة من ألفاظ ومصطلحات وأفكار لم تكن من قبلُ في معاجم الدعاة والمصلحين، ولا تجري على ألسنتهم؛ وذلك مثل مصطلحات: أنا، والآخر، والرأي، والتعايش السلمي، والحوار، وغير ذلك.

٤- محاولة إظهار نفسه أمام المستمعين بمظهر الخطيب المثقف الذي يُلِمُّ بأدوات العصر ومصطلحاته. ولو كان ممحِّصاً لها، وناقداً لخللها لكان ذلك محموداً، ولكن يغلب على هذا الصنف استخدامها والموافقة عليها والقناعة بها وربما ترويجها والدفاع عنها.

وقد تجتمع هذه الأسباب أو بعضها في الواحد من الخطباء.

ولا يجوز للخطيب أن يطوِّع حديث رسول الله ﷺ لضغوط العصر ومصطلحاته، أو يعرض عنه لأجلها، بل الواجب عليه أن يردَّ الناس إلى الجادة، ويربِّيهم على تعظيم حديث رسول الله ﷺ وإجلاله والاستدلال به والتسليم له.

قال سفيان الثوري - رحمه الله تعالى -: «إن استطعت ألا تحكَّ رأسك إلا بأثر فافعل»[1].

وذَكَر الشافعي - رحمه الله تعالى - حديثاً فقال له رجل: (تأخذُ به يا أبا عبد الله؟ فقال: أفي الكنيسة أنا؟! أو ترى على وسطي زُنَّاراً؟! نعم! أقول به، وكل ما بلغني عن النبي ﷺ قلتُ به)[2].

وقال إبراهيم الحربي - رحمه الله تعالى -: (ينبغي للرجل إذا سمع شيئاً من آداب النبي ﷺ أن يتمسك به)[3].

الموازنة بين أحاديث موضوعه وبين خطبته:

أغلب الموضوعات التي يتناولها الخطباء هي موضوعات شرعية تتعلق بالمعتقدات أو العبادات أو المعاملات أو الأخلاق أو غيرها، وتتفاوت هذه الموضوعات من جهة وفرة النصوص النبوية فيها وكثرتها أو قلّتها، وعليه؛ فلا تخلو الأحاديث التي جمعها الخطيب لموضوع خطبته من حالات ثلاث:

الأولى: أن تكون في عددها ومساحتها مناسبة لخطبته فلا هي كثيرة تطول الخطبة بها، ولا هي قليلة تقصر بها عن المطلوب، وهذه لا إشكال فيها.

الثانية: أن تكون كثيرة لا يمكن استيعابها في خطبة واحدة، وهذه يعمل معها ما ذكرته سابقاً في الآيات الكثيرة بتقسيمها على موضوعات لعمل خطب عدة منها. ويمكن مراجعة ما ذكرته في تقسيم الآيات لتتضح الصورة أكثر[4].

الثالثة: أن تكون قليلة بحيث تقصر بها الخطبة قصراً مخلاً، فيكملها بالآيات والآثار عن الصحابة والتابعين والأئمة وأقوال العلماء المتبوعين. ويمكن مراجعة ما ذكرته في فقرة الآيات القليلة في الموضوع وكيف يتعامل الخطيب معها لتكون الصورة أوضح[5].

ما يراعى في الاستدلال بالسنة:

في الاستدلال بالأحاديث النبوية أرى أنه يحسن بالخطيب مراعاة ما يلي:

أولاً: التأكد من صحة الحديث الذي يستدل به؛ فإن كان

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ص١٤٢.
(٢) الحلية لأبي نعيم: ٩/١٠٦.
(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ص١٤٢.
(٤) انظر: مقال: استدلال الخطيب بالقرآن، البيان عدد (٢٤٧).
(٥) المصدر السابق.

متواتراً أو في الصحيحين أو أحدهما فلا إشكال، ولا يحتاج إلى مراجعة؛ لتلقّي الأمة لهما بالقول، ولإجماع العلماء على الاحتجاج بأحاديثهما في الجملة.

وهنا يحسن التنبيه إلى أن الخطيب قد ينقل الحديث ممن نقل عن الصحيحين أو أحدهما وعزاه مؤلفه إلى الصحيح، فالأَوْلى أن يتأكد من ذلك بمراجعة الصحيح؛ لما يلي:

١ - قد يكون مؤلف الكتاب الذي نقل منه واهماً في عزوه إلى الصحيح، أو أخطأ في ذلك، أو حصل خلل في الحواشي فنُقلت تخريجات أحاديث لأخرى، وهذا محتمل بل يقع في كثير من الأحيان.

٢ - قد يكون أصل الحديث في الصحيح، والمؤلف ساقه بتمامه وألحق به زيادات أو ألفاظاً ليست في الصحيح، ثم عزا الحديث إلى الصحيح يريد أصل الحديث الذي ساقه بتمامه دون الزيادات أو الروايات الأخرى، ويكون استدلال الخطيب بجزء من الحديث، ويكون هذا الجزء من الزيادات ليس من أصل الحديث، أو يكون من الألفاظ الأخرى التي ليست من ألفاظ الصحيح، فيعزوه إلى الصحيح تبعاً للمؤلف، مع أن اللفظ أو الزيادة التي ذكرها ليست في الصحيح.

٣ - قد يكون الحديث في الصحيح موقوفاً أو معلقاً، والمؤلف رفعه أو وصله باعتبار طرق أخرى رفعته أو وصلته وهي ليست في الصحيح، فينسب للصحيح ما ليس منه لمجرد أنه اطلع على حديث فيه كلام طويل أو تخريج كثير فانتزع منه (أخرجه البخاري أو مسلم) دون أن يقرأ بقية الحاشية ليعلم أن ما في الصحيح موقوف أو معلق.

ومراجعة الصحيح للتأكد لا تضر الخطيب، بل تنفعه بتعظيم حديث رسول الله ﷺ، والعناية به، واكتساب معرفة جديدة مع كل مراجعة يطالع فيها الصحيحين، وقد يقع بصره على حديث ما كان يعرفه من قبل، ويناسب هذا الحديث أن يكون موضوع خطبة أخرى، أو هو محتاج إليه في خطبته تلك وهو بجوار حديثه الذي أراد التأكد من ثبوته ولفظه، وقد وقع ذلك لي كثيراً.

أما إن كان الحديث في غير الصحيحين فلا يخلو الخطيب من حالات ثلاث:

١- أن يكون صاحب حديث عالماً بتخريجه ورجاله والبحث فيهم والحكم عليه، فهذا خطيب محدِّث، وليس لي أن أرشد مثله.

٢- أن لا يكون عنده أي معرفة بمراجعة كتب الحديث ومصادره، ولا يحسن بالخطيب أن يكون كذلك، ولا بد أن يتعلم ذلك ويمارسه حتى يعرف ما يخدم به خطبته.

وبإمكان المبتدئ أن يعتمد - على سبيل المثال - على كتب الشيخ الألباني - رحمه الله تعالى - ولا سيما صحيح الجامع وضعيفه؛ لسهولة تناول كتب الشيخ، وحسن فهرستها وترتيبها على الحروف الهجائية.

وبإمكانه أيضاً أن يسأل المختصين أو طلاب العلم عن الأحاديث التي أشكلت عليه ولا يدري ثبوتها أو عدمه، ويوجد مواقع على الشبكة العالمية تخدم السائلين في ذلك، أو يسأل بالهاتف أو غير ذلك، والحريص لن تعوزه الوسيلة في زمن ليس لمحتاج إلى علم فيه عذر.

وكم هو جميل أن تتوثق الصلات بين الخطباء والوعاظ والدعاة وبين علماء الحديث؛ للاستفادة منهم في علم الحديث، ولتوثيق ما يلقونه على الناس من خطب ومواعظ، فواجب على الخطباء والدعاة الاتصال بأهل الحديث، وواجب على أهل الحديث التعاون معهم، وتقديمهم بالرعاية والاهتمام على غيرهم من سائر طلاب العلم؛ وذلك لأن خطاب الخطباء والدعاة عام في الجوامع، وربما في وسائل الإعلام الأخرى من إذاعات وفضائيات وإنترنت، ويصل إلى جموع الناس في مشارق الأرض ومغاربها، وتوثيقه بالصحيح من الأدلة والمعلومات أمر واجب، وفيه نفع عام. بخلاف الدروس التي لا يحضرها إلا القليل من الطلاب، وهم ممن لا يخشى عليهم في الغالب.

وقد فعل ذلك أسلافنا من قبل؛ إذ كان رئيس الخطباء في القرن الخامس قد تقدم إلى الخطباء والوعاظ أن لا يرووا حديثاً حتى يعرضوه على الخطيب البغدادي - رحمه الله تعالى - فما صححه أوردوه وما ردَّه لم يذكروه[1].

٣ - أن يكون ملمّاً بتخريج الحديث من مصادره الأصلية، ولكنه لا يستطيع الحكم عليه ولا معرفة رجاله، وهذا يُعوِّل على علماء الحديث:

أ - فيبدأ بالمتقدمين المشهورين كعلي بن المديني وأحمد ابن حنبل وأبي حاتم وأبي زرعة الرازيين والبخاري ونحوهم. وقد ينقل العلماء تصحيحاتهم لبعض الأحاديث، كما ينقل

(١) سير أعلام النبلاء: ١٨ / ٢٨٠، وطبقات الحفاظ، للسيوطي، ١ / ٤٣٥.



الترمذي أحكام شيخه البخاري على بعض الأحاديث في سننه[1].

ب - ينظر إلى أحكام من بعدهم من أهل الحديث كالترمذي وابن خزيمة وابن حبان ونحوهم.

ج - ينظر في أحكام المتأخرين من الحفاظ كالمنذري والذهبي وابن حجر والعراقي والهيثمي والسيوطي.

د - ينظر في أحكام المعاصرين من أمثال: أحمد شاكر والألباني والأرناؤوط وغيرهم.

وكل كتب هؤلاء العلماء موجودة ومتداولة ومتوافرة في المكتبات العامة، وأكثرها - إن لم يكن كلها - موجود على الموسوعات الإلكترونية والشبكة العالمية، وبإمكان الخطيب مراجعتها والاستفادة منها.

وأحسب أن السنة من جهة الرواية قد خُدمت خدمة عظيمة على أيدي علماء الحديث على مر العصور، واللاحق من العلماء يكمل ما بدأه السابق، ويبدأ شيئاً جديداً يكمله من بعده حتى وصلت إلى ما وصلت إليه في عصرنا؛ بحمد الله تعالى.

ثانياً: إن رأى الخطيب أن العلماء قد اختلفوا في الحديث تصحيحاً وتضعيفاً، وعنده من الصحيح ما يغني عنه؛ فيُعرِض عن هذا المختلف فيه، وإن اتحد معنى الحديثين فجعل الصحيح شاهداً لهذا المختلف فيه فأورده من هذا القبيل فتلك هي طريقة أهل الحديث في الضعيف المنجبر.

ثالثاً: إن كان الحديث مختلَفاً فيه وهو محتاج إليه ويمثل أصلاً في خطبته، وليس عنده ما يغني عنه؛ فيزيد من البحث والتأمل حتى يصل إلى نتيجة، ويستعين في ذلك بأهل التخصص وطلاب العلم المتمكنين في الحديث فلعل أحدهم بحثه ووصل فيه إلى نتيجة فيفيده بها.

رابعاً: يحسن التنبيه على أنه لا يجوز للخطيب أن يعتمد شهرة الحديث وتداول الناس له على الألسنة، فيظن بذلك صحته فيورده في خطبته دون التأكد من ثبوته؛ فإن ما يتداوله الناس من أحاديث فيه الصحيح والضعيف والموضوع، وفيه ما ليس بحديث مما هو من الأمثال أو أقوال السلف أو أقوال الحكماء أو غيرهم، سرت هذه الأقوال بين العوام على أنها أحاديث وليست كذلك.

وقد كثر ذلك في الأزمان المتأخرة فكتب العلماء فيه كتباً، فالحافظ ابن حجر كتب كتابه (اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة)، ثم ألَّف السيوطي كتابه (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة)، وألَّف السخاوي كتاباً عنوانه (المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة)، ثم جاء تلميذه عبد الرحمن بن الديبع فاختصره في كتابه (تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث)، ثم كتب العجلوني - رحمه الله تعالى - كتاباً سماه (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس).

وما كانت هذه العناية من العلماء حتى أفردوا كتباً في ذلك إلا حمايةً لجناب السنة، وحرصاً على الناس من الضلال، وتنقيةً لما يتناقلونه من أقوال، وبيانَ ما هو حديث منها وما ليس بحديث، فلا يجوز للخطيب أن ينقل ما يجري على الألسنة في خطبته لمجرد شهرته وسريانه في الناس.

ويلحق بذلك ما هو من محفوظات الخطيب، مما لم يتيقن أنه حديث؛ فقد يكون الخطيب قد حفظ في صباه حديثاً أو مقولة على أنها حديث من أبيه أو جده أو معلمه أو خطيب مسجدهم أو غيرهم، ورسخ في ذهنه أنه حديث، ولم يراجعه في كبره، فلا يجدر به أن ينقله في خطبته حتى يتأكد من ثبوته.

وكثيراً ما سمعنا بعض الخطباء والوعاظ يستدلون بأحاديث مشهورة ولكنها لا تثبت، وقد يكون منها ما هو موضوع وينسبه إلى النبي ﷺ.

ومما ذكره المؤلفون في الموضوعات من دواعي وضع الأحاديث واختلاقها: القص على الناس وتذكيرهم وموعظتهم.

ومرة سمعت واعظاً في أحد المساجد الكبرى يعظ الناس على إثر ريح شديدة أصابتهم فبدأ موعظته يأمر الناس أن يقولوا: (اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً) وردَّد ذلك عليهم، وكرر الدعاء به، مستدلاً بالحديث المشهور في ذلك، وهو لا يثبت، ومبيناً لهم أن الرياح في كل آيات القرآن رحمة، وأن الريح عذاب، ولم تأت مفردة في سياق الرحمة أبداً. وفي هذا الإطلاق ذهول منه عن قول الله - تعالى -: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾ [يونس: ٢٢].

بل إنه يجمل بالخطيب وإن كان حافظاً للحديث عارفاً

(١) انظر على سبيل المثال: هذه الأحاديث في الترمذي: فحديث رقم (١٢٨) نقل فيه تصحيح أحمد والبخاري لحديث حمنة بنت جحش فيما تفعل المستحاضة، وحديث (٦١٤) نقل فيه استغراب البخاري لحديث كعب بن عجرة - رضي الله عنه - في الأمراء، وحديث (٦٢٠) نقل فيه تصحيح البخاري لحديث في الصدقة عن علي - رضي الله عنه -، وانظر أيضاً: (٦٤٤ و٦٨٣ و٧٥٨ و١٠١٦ و١١٧٧ و١١٧٨ و١٤٦١ و١٣٦٦ و١٧٧٦ و١٨٤١ و٢٦٩٧).



بدرجته أن يراجعه حال التحضير لخطبته؛ لاحتمال الوهم، أو اختلاطه عليه بحديث آخر، وليستفيد رسوخه أكثر في ذهنه، وهو بمثابة المراجعة لحفظه.

خامساً: أرى أنه ينبغي للخطيب أن يذكر صحابي الحديث ومن أخرجه في خطبته باختصار؛ فإن ذلك أدعى للثقة فيما ينقل لدى المستمعين، ثم إنه قد يكون من المصلين معه من يستفيد من ذلك بترسيخ محفوظاته من الحديث النبوي.

سادساً: التأكد من مفردات الحديث وجمله؛ فإن التصحيف والتحريف قد يقعان أثناء النسخ أو الطباعة، وقد يرويه الراوي على الخطأ؛ ولذلك اعتنى العلماء قديماً وحديثاً بضبط ألفاظ الحديث، وإصلاح ما به من التحريف والتصحيف.

وخصُّوا هذا الموضوع بكتب أفردوها فيه ككتاب تصحيفات المحدثين، وكتاب شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف؛ كلاهما لأبي أحمد العسكري، وكتاب إصلاح غلط المحدثين للخطابي، وكتاب تصحيح التصحيف وتحرير التحريف لصلاح الدين الصفدي، ونبهوا فيها على ما وقع لبعض الرواة أو النُّسَّاخ من تصحيف وتحريف.

ومن أمثلة ذلك: ما وقع لشيخ يعرف بمحمش أُجلِس للتحديث بعد وفاة محمد بن يحيى الذهلي - رحمه الله تعالى - فحدث بحديث: «يا أبا عُمير ما فعل النغير» فصحفه إلى «يا أبا عَمير ما فعل البعير»، وحدَّث بحديث «لا تصحب الملائكة رفقة فيها جرس» فصحفه إلى (خرس)[1]، وأخطأ ابن لهيعة في حديث: «أن النبي ﷺ احتجر في المسجد» فحرفه إلى (احتجم في المسجد).

قال الإمام مسلم - رحمه الله تعالى -: (وهذه رواية فاسدة من كل جهة، فاحش خطؤها في المتن والإسناد جميعاً، وابن لهيعة المصحِّف في متنه المغفَّل في إسناده، وإنما الحديث: أن النبي ﷺ احتجر في المسجد بخوصة أو حصير يصلي فيها)[2].

ومع كثرة الناشرين للكتب في هذا العصر، وازدهار سوق الطباعة، وتحوُّل هذا العمل الجليل تدريجياً من قصد خدمة تراث المسلمين وإخراجه للناس، إلى تجارة بحتة، حتى صار بعض النصارى الموارنة في لبنان يشتغلون في كتب المسلمين ويطبعونها، وهكذا الأقباط في مصر، وبعض أتباع الفرق الضالة ينشرون كتب أهل السنة، وكثير من ملاك دور النشر والقائمين عليها هم من أجهل الناس بالكتب وقيمتها، وأيضاً تصدَّى لتحقيق الكتب وتخريجها في كثير من الأحيان أناس ليسوا من أهل الصنعة، ولا علم لديهم بأصول الفنون التي يحققون الكتب فيها تارة بأسمائهم، وتارة أخرى بأسماء اللجان العلمية للدار، فإن الأخطاء الفاحشة، والتحريفات الكثيرة قد أصابت كثيراً من كتب التراث المطبوعة، مما يوجب على المستفيد منها من الخطباء وغيرهم أخذ الحيطة والحذر، والتأكد من صحة النصوص المنقولة فيها ولا سيما حديث رسول الله ﷺ؛ وذلك يكون وَفْق الخطوات التالية:

١ - على الخطيب أن يحرص على اقتناء الطبعات الجيدة لمكتبته، المحققة تحقيقاً علمياً ممن يوثق بعلمهم وورعهم، وخاصة فيما يتعلق بنص حديث رسول الله ﷺ من الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم وغيرها، وكذلك الكتب الناقلة عنها من كتب الترغيب والترهيب والآداب والمواعظ والزهد وأدلة الأحكام ونحوها؛ فإنها وإن غلا ثمنها - بسبب حقوق المحققين الذين أمضوا سنوات طويلة في تحقيقها - فإن قيمتها فيها، وهي خير من الطبعات التجارية الرخيصة في قيمتها وفي تحقيقها.

وهذا يريح الخطيب والباحث على مدى الزمن، بطمأنينته إلى أكثر كتبه التي يملكها، ووثوقه فيها، ويوفر عليه وقتاً طويلاً قد يقضيه بسبب أغلاط في حديث حولت معناه أو أوجدت فيه إشكالات يستنزف وقته وجهده في حلِّها، ولربما رجع إلى كتب الشروح والغريب واللغة ثم يتبين له بعد جهد جهيد، ووقت طويل أن في متن الحديث خطأ في الطباعة!

٢ - إذا كان الكتاب الذي سيأخذ منه الحديث لم يُخدَم كما ينبغي، ولا يوجد له طبعة جيدة - وهذا مع الأسف كثير في كتب التراث - أو هو لا يملك طبعة جيدة، فأرى أن يأخذ الحديث من طبعته السقيمة، ولكن يراجع كتباً أخرى مساعدة يغلب على ظنه أن الحديث فيها، مثل: كتب الزوائد والشروح، والكتب المصنفة في موضوعات معينة، وهذا الحديث من ضمن موضوعاتها.

وكثيراً مما تتوارد نسخ عدة، وكتب متنوعة على الخطأ؛ لأن الخطأ في المصدر المنقول عنه، وقد يكون الخطأ في أصل المخطوط، ويكون اللفظ محتملاً وليس فيه ما يستنكر، وقد يعذر الخطيب في هذه الحالة. لكن زيادة الاستيثاق، وحرص

(١) انظر: معرفة علوم الحديث، للحاكم، ص١٤٦، وفتح المغيث: ٣/ ٧٤.
(٢) التمييز، ص١٨٧.



الخطيب على إدراك معنى الحديث يوصله إلى الصواب، ويقلّل احتمال وقوع الخطأ بإذن الله تعالى. ولأهمية المثال العملي في توضيح الصورة للخطيب أسوق هذا المثال:

لو كان عند الخطيب حديث في مسند أحمد، والطبعة التي عنده للمسند رديئة، فيراجع طبعة جيدة ولو في مكتبة عامة، فإن لم يتوفر له ذلك، وكان الحديث في أحد الكتب الستة راجعه فيه - ويستعين في بحثه بجامع الأصول وفيه الموطأ وباقي الستة إلا ابن ماجه - فإن لم يكن في أحدها فيراجع مجمع الزوائد للهيثمي، وبإمكانه أن يراجع ترتيب المسند وشرحه للساعاتي المسمى (الفتح الرباني).

فإن كان الحديث في موضوع من موضوعات الترغيب أو الترهيب أمكنه مراجعة كتاب المنذري، وإن كان الحديث قولاً للنبي ﷺ أمكنه مراجعة الجامع الصغير للسيوطي، وزياداته للمناوي، وصحيحه وضعيفه للألباني. وهكذا .... ولن يعدم طريقة من الطرائق يجد بواسطتها الحديث في مصادر أخرى.

وفي مراجعته لهذه الكتب المتنوعة فوائد كثيرة، منها:

أ - الاطمئنان إلى لفظ الحديث، وتوثيقه قدر المستطاع.

ب - زيادة خبرته في التعامل مع كتب التراث، ومعرفة مناهج مصنفيها فيها، ومع كثرة المراجعة والممارسة يمتلك دربة في ذلك تمكنه من الوصول إلى المعلومة التي يريدها في أسرع وقت وأقل جهد؛ إذ إن هذه المراجعات تشبه دورات تعليمية سريعة في هذه الكتب العظيمة.

ج - قد يجد أحاديث أخرى تخدمه في موضوعه الذي يكتبه، وربما كانت هذه الأحاديث بالنسبة لموضوعه أهم من الحديث الذي قصده؛ مما يثري موضوعه ويقويه بالنصوص ويوسعه.

فمراجعته لمجمع الزوائد تمكنه من معرفة أحاديث أخرى في موضوعه أو قريبة منه في مسند أحمد أو مسند أبي يعلى أو مسند البزار أو في معاجم الطبراني.

ومراجعته للترغيب والترهيب تكسبه أحاديث أخرى في موضوعه أو قريبة منه، وقد يكون منها ما هو أقوى من حديثه أو في الصحيح، وقد غفل عن هذه الأحاديث أو لا يعلمها قبل مراجعته لهذا الكتاب.

ومراجعته للفتح الرباني تكسبه أحاديث أخرى وآثاراً عن الصحابة والتابعين؛ لأن الساعاتي - رحمه الله تعالى - يعقد باباً في نهاية كل باب من ترتيبه لأحاديث المسند يجعله لزوائد الباب وأحكامه، يسوق فيه أحاديث وآثاراً وأحكاماً يكثر فيها النقل من كتب الشروح، وقراءة الخطيب لذلك تجعله أكثر إلماماً بموضوعه، وتمكناً فيه، وتفتح له أبواباً عظيمة من العلم والمعرفة.

وإذا كان لديه كتاب: ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير وزياداته على الأبواب الفقهية لعوني الشريف؛ أمكنه الاطلاع على أحاديث قولية أخرى في موضوعه الذي يريده أو قريبة منه.

د - أنه يطلع على تخريج الحديث، فالمنذري والهيثمي والساعاتي يخرجون الأحاديث.

هـ - أنه يطلع على حكم على الحديث أو حكم على رجاله؛ فالمنذري والهيثمي يحكمان أحياناً على الحديث بالصحة أو بالحسن أو بالضعف أو النكارة، ويحكمان أكثر على رجاله بعبارات: ورجاله رجال الصحيح، ورجاله ثقات، أو موثوقون، أو فيه فلان مختلف فيه، أولم يوثقه إلا ابن حبان، أو ضعيف، أو منكر الحديث أو كذاب...

فإن كان الحديث لا يحتج به أسقط ذلك عن الخطيب عناء كبيراً من البحث في درجة الحديث، وكانت مراجعته تلك عوناً له في السلامة من الاستدلال بحديث لا يحل الاستدلال به، ولا نسبته للنبي ﷺ.

وإن كان الحديث مما حكم على رجاله بالتوثيق احتاج إلى التأكد من اتصال السند وعدم العلة المانعة من الاحتجاج بالحديث؛ لأنه لا يلزم من توثيق الرجال، أو كونهم من رجال الصحيح صحة الحديث؛ لاحتمال الانقطاع أو علة أخرى خفية.

وكذلك الساعاتي يحكم أحياناً على الأحاديث أو ينقل حكم من قبله عليها.

والسيوطي والألباني يحكمان أيضاً على الأحاديث.

سابعاً: الاستيثاق من قراءته للحديث وإعرابه بشكل صحيح؛ فإن بعض الكلمات والجمل أو أسماء الرواة قد تكون عالقة في ذهنه على الخطأ، إما لأنه حفظها هكذا في صغره، أو سمعها من متحدث على الخطأ فرسخت في ذهنه، أو هو يقرؤها ابتداء بشكل خاطئ. ويكون استيثاقه بما يلي:

أ - أن يراجع الحديث في طبعة محققة موثوقة مضبوطة بالشكل ويقرؤه منها بتمعُّن، ويضبط في



كتابته ما يحتاج إلى ضبط.

ب - أن لا يملك طبعة مشكولة، وفي هذه الحالة يراجع كتب الشـروح. والشـارحون غالباً ما يضبطـون الكلمات المشـكلة، ويذكرون الأوجه أو الخلاف إن كان ثمة خـلاف، أو كان للكلمة أكثر من وجه.

ومما يحضرني من الأمثلـة حديث «تعرض الفتن على القلوب عـرض الحصير عوداً عوداً»، فكلمة (عوداً) اختلفوا في ضبطها على أقوال ثلاثة:

١ - عَوْذاً عوذاً، بالذال المعجمة، ومعناه: الاستعاذة بالله - تعالى - منها.

٢ - عَوْدَاً عـوداً، بفتح الدال، على معنى أن الفتنة كلما زالت عادت مرة أخرى.

٣ - عُـوداً عوداً، على معنى أن الفتن تتوالى على القلب، كما يتوالى العود بإزاء العود في نسـج الحصير. وقد توارد شـرّاح صحيح مسـلم: القاضي عياض والقرطبي والنووي والأبيّ على ذكر هذه المعاني والترجيح بينها.

والمعنى الأخير هو الأشهر والأظهر، لكن معرفة الخطيب للمعاني الأخرى تفيـده جداً، وقد يكون أحد المصلين حفظ الحديث على المعنى الآخر فيحتج عليه به، فيكون ملمَّاً بتلك المعاني، وهذا يُكسـبه ثقة الناس فـيه، وطمـأنينتهـم إلـى ما يلقي عليهم.

وأحيـاناً يتصرف الرواة في الكلمة فيغيـرون لفظـها - بناء على جـواز الرواية بالمعنى إذا لـم يخلّ به - بزيادة حروف أو إبدالهـا بمـرادف لكـن المعنـى يكون متـقارباً، ومـن لا علم له بذلك قد يظنه خطأ في الحديث، مع أن كل الألفاظ صحيحة لتقارب معانيها.

ومـن أمثلة ذلك: ما جاء في حديث أبي رزين العقيلـي لما سأل عن البعث وكيفيته فقال النبي ﷺ: «أما مررت بوادي أهلك مَحْلاً .... الحديث».

فكلمة (مَحْلاً) هكذا جاءت في المسند، ومعناها: مجدباً، مـن أمحلت الأرض إذا أجدبت، وجاء فـي الرواية الأخرى للمسند وعند الطيالسي «مُمْحِلاً» وهي بمعنى الأولى، ومثلها حديـث النواس - رضي الله عنه - في شـأن الدجال وفيه «فيصبحـون مُمْحلين»، وجاء في روايـة الطبراني «قَحْلاً»، وقحل الناس: ييبسـوا من شـدة القحط. فهذا اختلاف في الروايات لكن المعنى واحد.

ج - بإمكانه مراجعة كتب غريب الحديث إن كانت الكلمة غريبة - أي يقلُّ اسـتعمالها - أو كانت مشـتركة مع غيرها فـي المعنى؛ فالمصنفـون في الغريب يعتنـون ببيان الفروق المعنوية بين المشتركات في الألفاظ، وأحياناً يوردون أحاديث أخـرى فيها ذات الكلمة أو قريبة منها في المعنى فيسـتفيد الخطيب بمراجعتها نصوصاً أخرى، واتساعاً في علم معاني الحديث.

والكتب في الغريب كثيرة ومتداولة، ومن أشـهرها: كتب الخطابي والحربي وابن الأثير.

د - يمكنـه أيضاً أن يراجع كتب أهـل اللغة كالقاموس والصحاح واللسان ونحوها؛ فإن أهل اللغة يأتون بجذر الكلمة ويذكرون ما فيها من اسـتعمالات، ويستدلون لما يوردون من المعاني بالقرآن والسنة وأشعار العرب وأمثالهم.

ثامنـاً: التأكد من أن اسـتدلاله بالحديث صحيح، فقد يكون معنى الحديث أو الشـاهد منه على غير الوجه الذي أراده الخطيـب؛ إما لفهمه على الخطأ، أو سـمعه من أحد خطـأ، أو يكون المعنى الذي قصده شـاذاً أو مرجوحاً، وقد يحكيه على أنه المعنى الوحيد للحديث مع كونه مرجوحاً.

وتلافـي الخطأ في ذلك يكون بمراجعة كتب الشـروح، ويسـتفيد من مراجعتها بعض النصوص الأخرى غير حديثه المشروح، وقد يجد آثاراً وأقوالاً للعلماء تنفعه في موضوعه.

فإن كان حديثه في الكتب السـتة فقد شرحت شروحاً كثيرة، وإن كان الحديث في كتاب لم يطبع له شـرح، أو هو لا يملكه فلن يعدم حيلة يجد فيها الحديث:

فقد يجده في شروحات عمدة الأحكام أو المنتقى أو بلوغ المرام إن كان الحديث في الأحكام.

وإن كان الحديث قولاً وجده في شـروح الجامع الصغير كفيض القدير للمناوي.

وربما وجده في شـروحات مشـكاة المصابيح أو رياض الصالحين أو شرح السنة للبغوي أو غيرها من كتب المجاميع والشروح.

تاسـعاً: ينبغي للخطيب أن لا يشير إلى الأحاديث إشارة لا يفهمها إلا من كان حافظاً للحديث، مستحضراً له، فليس كل المصلـين يحفظـون الأحاديث، وليـس كل من يحفظها يسـتحضرها في الحال، ولا سيما إذا كان الحديث لا يطرق الأسماع كثيراً.

عاشراً: إذا كان في الحديث إشارة توضيحية من النبـي - عليه الصلاة والسـلام - فأرى أن يطبقها الخطيب وهو



يقرأ الحديث؛ تأسياً بالنبي - عليه الصلاة والسلام - ولإفهام المصلين كيف فعل النبي ﷺ، فالوصف وحده قد لا يفهمه كل المصلين، والفعل أبلغ من الوصف.

وكثيراً ما جاء في الأحاديث: وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، وخنس الإبهام، فبسط يديه أو قبضهما، وأشار بيده هكذا، أو قِبَل المشرق، يقول هكذا بأصبعه، وقبض أصابعه...

وأحياناً قد لا يجد الخطيب وصفاً دقيقاً في الرواية كيف فعل النبي - عليه الصلاة والسلام - إما لاختصارها أو بدا للراوي أنها معروفة فلم يوضحها، وعلى الخطيب في مثل ذلك أن يجمع الروايات، ويطلع على شرح الحديث؛ ليتبين له الوصف كاملاً إما من رواياته الأخرى وإما من كلام الشراح.

وذلك مثل حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - في أن الله - تعالى - يطوي السماوات والأرضين بيديه، قال ابن عمر يحكي فعل النبي ﷺ وهو يحدث بهذا: ويقبض أصابعه ويبسطها. هكذا في رواية مسلم، والحديث في الصحيحين. وزاد ذلك إيضاحاً رواية للنسائي وفيها: وجعل باطنها إلى السماء[1].

حادي عشر: إذا أنهى الخطيب صلاته، ثم سئل عن معنى في حديث استشهد به، أو أورد أحد المصلين عليه إشكالاً في استدلاله، أو دليلاً آخر ينقض ما قرره في خطبته؛ فلا يخلو الخطيب من حالين:

الأولى: أن يكون عنده جواب لهذا الإشكال، ويعلم ما قد يورد على استدلالاته من أدلة أخرى، ولديه أجوبة لها - ولا يتأتى ذلك للخطيب إلا بالتحضير الجيد - فليزلْ تلك الإشكالات، ويُجبْ عنها بما آتاه الله - تعالى - من علم وفقه وتحضير جيد لموضوعه.

الثانية: أن لا يكون عنده جواب لهذا الإشكال، ولا يعلم بالأدلة التي أُوردت عليه، فلا يجوز له حينئذ أن يخلّص نفسه من هذا المأزق بالتخرُّص، أو بنفي ما لا يعلم مع احتمال ثبوته، ولا يحل له أن يصرَّ على رأيه وهو غير متأكد مما أُورد عليه.

مثال ذلك: لو تحدث الخطيب عن فوائد الأمراض وما يحصل فيها من الأجر والثواب، وساق الآيات والأحاديث في فضل الصبر على المصائب، ثم أورد ما جاء في المسند وغيره من أن أبيَّ بن كعب - رضي الله تعالى عنه - قد دعا على نفسه بالحمى، فلازمته حتى إن حرَّها ليوجد من وراء اللحاف، واستشهد الخطيب بفعل أبيٍّ - رضي الله عنه - على جواز أن يدعو الإنسان على نفسه بالمرض ابتغاء الأجر، ولا سيما أن أبيّاً - رضي الله عنه - من فقهاء الصحابة وعلمائهم.

ثم أورد معترض على الخطيب الأحاديث التي فيها الأمر بسؤال الله - تعالى - العفو والعافية، والأخرى التي فيها النهي عن الدعاء على الأنفس أو الأولاد أو الأموال، وذكر قصة الرجل الذي دعا على نفسه فزاره النبي ﷺ وقد أكله المرض، فأنكر - عليه الصلاة والسلام - عليه دعاءه على نفسه، وقصته مخرجة في صحيح مسلم.

ولا شك في أن الخطيب في مثل هذه الحالة مخطئ، ولا يحل له المكابرة والإصرار على الخطأ، وفعل أبيٍّ - رضي الله عنه - اجتهاد منه يؤجر عليه إن شاء الله - تعالى - ولكن لا يقضى باجتهاده - رضي الله عنه - على النصوص الصحيحة الصريحة في هذا الباب، ولا يوافَق عليه بحجة أنه من علماء الصحابة - رضي الله عنهم - لأنه وإن كان كذلك فهو غير معصوم من الخطأ، وقد تخفى عليه بعض النصوص، ولا عصمة إلا للرسل عليهم السلام.

والواجب الشرعي، ثم الشجاعة الأدبية يقضيان على الخطيب أن يراجع الحق، ويعترف بخطئه، وأن يشكر من تعقَّبه فيه، وبيَّنه له، وأن يسعى إلى تصحيحه في خطبة تالية ويصرِّح بخطئه، وذكر لهم أنه راجع عنه، وهذا أحسن.

فإن عجز عن ذلك قرر الصواب الذي يعارض ما قرره من خطأ سابقاً، ويؤكد عليه مستشهداً بما علمه من أدلة كان من قبلُ يجهلها، فإن نوقش عقب الصلاة بقوله السابق بيَّن أنه أخطأ فيه، وأنه صححه في هذه الجمعة.

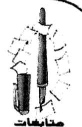
وقد يظن بعض الخطباء أن مثل هذا الاعتراف يقلل من ثقة المصلين في الخطيب، وهذا ظن خاطئ، بل الاعتراف بالخطأ يزيد من طمأنينة المصلين وثقتهم في خطيبهم؛ لأنهم سيتيقنون أو يغلب على ظنهم أن ما لم يعتذر خطيبهم عنه فهو صحيح، فهو قد عوَّدهم على الاعتذار مما يخطئ فيه.

وقد بينت في مقال سابق أنواع المناقشين للخطيب، وكيفية التعامل مع كل نوع منهم[2].

(١) السنن الكبرى (٧٦٩٥).

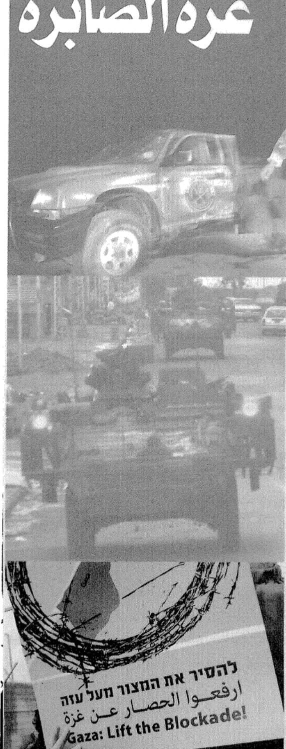
(٢) انظر: مقال استدلال الخطيب بالقرآن، البيان عدد (٢٤٧).





غزة الصابرة والسنن الإلهية

عبد العزيز بن ناصر الجُلَيّل



إن مما يحزن قلبَ كل مسلم صادق ويشغل ذهنه وتفكيره في هـذه الأوقات؛ ما يلاقيه أهلنا وإخواننا المسلمون في فلسطين وبالتحديد في غزة الصابرة المحاصرة، على أيدي اليهود الكفرة، ومن ورائهم أمريكا الطاغية الباغية وأيدي المنافقين الخونة من بني الجلدة والنسب.

ولقد كتب الكثير من الدعاة وطلبة العلم والمجاهدين في نصرة إخواننا هناك والتضامن معهم، والدعاء لهم، والوقوف معهم في محنتهم كلٌّ بحسبه وقدرته، فجزى الله الجميع خيراً، وليس هذا مستغرباً على أهل التوحيد والإسلام الذين وصفهم الرسول ﷺ بالجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر. ولذا؛ فإني في هذه المقالة لا أجد مزيداً على ما كُتِب في مجال نصرة إخواننا هناك، ولكن أرى أن هناك أموراً مهمة يجب أن تطرح وتُلفت أنظار المسلمين إليها، وبخاصة الدعاة منهم وطلبة العلم والمجاهدين فيهم. ومع أهمية هذه الأمور، غير أنه قلّ من يتطرق إليها؛ إما عن غفلة عنها، أو بحجة أن الوقت وقت مناصرة وتضامن وليس وقت محاسبة وتنظير!

ومن أهم الأمور التي ينبغي أن ننتبه إليها في خضم هذه الأحداث وأمثالها، ما يلي:

الأمر الأول:

اليقين الجازم والاعتقاد الراسخ بأن ما يجري اليوم من كيد وقتل وهجوم شرس من الكفار على بلدان المسلمين؛ فإنما هو بعلم الله – تعالى – وإرادته. قال الله – عز وجل –: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢]

وقال - سبحانه -: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

ومشيئته - سبحانه - ليست مجردة عن حكمته، بل له - سبحانه - الحِكَم البالغة في خَلْقه وأمره، والعارفون لربهم - عز وجل - يعلمون ذلك، ولذا فهم يحسنون الظن بربهم، ويوقنون أن عاقبة هذه الأحداث التي يقدرها الله - عز وجل - هي خير ومصحلة ولطف بالموحدين، إن شاء الله تعالى. ومع أن المعركة اليوم مع الكفار لا تزال في بدايتها، ومع أنها موجعة وكريهة؛ إلا أننا نلمس لطف الله - عز وجل - وحكمته ورحمته في أعطافها.

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى -: (وأسماؤه الحسنى تقتضي آثارها، وتستلزمها استلزام المقتضي الموجب لموجبه ومقتضاه، فلا بد من ظهور آثارها في الوجود؛ فإن من أسمائه: الخلَّاق المقتضي لوجود الخلق، ومن أسمائه الرزاق المقتضي لوجود الرزق والمرزوق، وكذلك التواب والحكيم والعفوُّ، وكذك الرحمن الرحيم، وكذلك الحَكَم العدْل، إلى سائر الأسماء. ومنها: الحكيم المستلزم لظهور حكمته في الوجود، والوجودُ متضمن لخلقه وأمره؛ ﴿ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فخلقه وأمره صدرا عن حكمته وعلمه، وحكمته وعلمه اقتضيا ظهور خلقه وأمره، فمصدر الخلق والأمر عن هذين الاسمين المتضمنين لهاتين الصفتين، ولهذا يقرن - سبحانه - بينهما عند ذكر إنزال كتابه، وعند ذكر ملكه وربوبيته؛ إذ هما مصدر الخلق والأمر)[1].

الأمر الثاني:

إن من حِكَم الله - عز وجل - البالغة في هذه الأحداث أن يعرِّفنا على سننه - سبحانه - التي لا تتبدل ولا تتحول، وبمعرفة هذه السنن الإلهية يتضح الطريق المستقيم ويهتدي المسلم فيه، ويوفق إلى الموقف الحق والمنهج الصائب. يقول الله - عز وجل - آمراً لنا بالنظر في سننه المطَّردة: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧] وقال - سبحانه -: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ [فاطر: ٤٣].

لذا وجب على المسلمين بعامة وعلى دعاة الحق المجاهدين في سبيل الله - عز وجل - خاصة؛ أن يقفوا طويلاً مع كتاب الله - عز وجل - وما تضمن من الهدى والنور؛ ومن ذلك ما تضمنه من السنن الربانية المستوحاة من دعوة الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام؛ وذلك لأن في معرفتها والسير على هداها أخذاً بأسباب النصر والتمكين والفلاح، ونجاةً مما وقع فيه الآخرون من تخبط وعناء، بخلاف من يجهل مصدر الأحداث؛ فإن الذي يعلم تكون لديه بصيرة وطمأنينة، أما الذي يجهل فليس لديه إلا الحيرة والخوف والقلق.

وليس المقصود هنا التفصيل في موضوع السنن الربانية - فهذا له مقام آخر - وإنما المقصود هو الاستضاءة بهذه السنن في الوصول إلى الموقف الحق الذي نحسب أنه يرضي الله، عز وجل؛ وذلك في الأحداث الساخنة التي تدور رحاها اليوم في الأرض المباركة فلسطين.

ومن هذه السنن التي ينبهنا الله - عز وجل - إليها في مثل هذه الأحداث ما يلي:

١ - سُنة المدافعة:

إن إيماننا بأن كل ما يحدث في هذا الكون من أحداث إنما هو بعلم الله - عز وجل - وإرادته وحكمته؛ لا يعني الاستسلام للذل وترك المدافعة؛ لأن الله - عز وجل - الذي أراد هذه الأحداث كوناً وقدراً؛ أراد منا مدافعتها ديناً وشرعاً، وهذه هي سُنَّة المدافعة. قال الله - عز وجل -: ﴿ ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ [محمد: ٤].

ويقول الله - عز وجل -: ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].

وقال الله - عز وجل - في الحديث القدسي الذي أخرجه مسلم: «... وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقَتَهم عربَهم وعجمَهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك»[2].

ففي هاتين الآيتين والحديث القدسي أبلغ دليل على حتمية الصراع بين الحق والباطل في صورة المدافعة بين المسلمين والكفار. ومن طمع في الإصلاح ودرء الفساد ونشر الخير بدون هذه السنَّة؛ فإنما هو جاهل بسنن الله - تعالى - ومتنكِّب لطريق الأنبياء وأتباعهم.

والمدافعة بين الحق والباطل تأخذ صوراً متعددة: فبيان

(١) الصواعق المرسلة، ٤/١٥٦٤.

(٢) مسلم، ٢٨٦٥.

الحق وإزالة الشُّبَه ورفع اللبس عن الحق وأهله مدافعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مدافعة، وبيان سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين مدافعة، والصبر والثبات على ابتلاء الأعداء من الكفرة والظلمة مدافعة، ويأتي الجهاد والقتال في سبيل الله - عز وجل - على رأس هذه المدافعات وذروتها لكف شر الكفار وفسادهم عن ديار المسلمين ودينهم وأنفسهم وأعراضهم وأموالهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: (والجهاد منه ما هو باليد، ومنه ما هو بالقلب والدعوة والحجة والبيان والرأي والتدبير والصناعة؛ فيجب بغاية ما يمكن)[1].

وما يحصل الآن في غزة المحاصرة عدوان صارخ يجب على المسلمين مدافعته بكل ممكن، وكلٌّ بحسبه، ولا يُعذَر أحد حتى يزول العدوان ويندفع الفساد:

* فالقادرون على حمل السلاح عليهم واجب المدافعة بالجهاد والسنان حتى يندحر العدو الصائل.

* وعلى رموز الجهاد وقادته في الأرض المباركة أن يتقوا الله - عز وجل - ويستعينوا به وحده، وألا يرضوا بغير الجهاد بديلاً وخياراً؛ لأن العدو لا يوقفه إلا الجهاد.. والجهاد فحسب. والتجارب تشهد بضياع الأوقات والجهود معه في مناورات سياسية ورهانات خاسرة. كما يجب عليهم أن يتقوا الله - عز وجل - في مَن تحت قيادتهم، فلا يدفعونهم في طريق إلا بعد أن يتأكدوا من موافقته للشرع وأنه الأرضى لله - عز وجل - وأن يربوا فيهم الإخلاص والولاء لهذا الدين وليس لطائفة أو حزب أو تراب، كما عليهم أن يتقوا الله - عز وجل - في جمع الكلمة ووحدة الصف مع إخوانهم المجاهدين الموحدين، وينزعوا أيديهم من الأحزاب الجاهلية المحادّة لله ورسوله ﷺ ولو أظهرت المقاومة والوطنية.

* وعلى علماء الأمة واجب المدافعة بإعلان النصرة لإخواننا هناك، وتوجيههم والتضامن معهم، وحث الأمة على دعمهم والوقوف معهم، ومخاطبة الأعداء من اليهود والأمريكان ببيانات قوية شديدة اللهجة؛ يأمرونهم بالكف عن الظلم والعدوان، وتهديدهم إن لم يكفوا بتوجيه الأمة إلى الانتقام ورد العدوان وإلحاق الأذى بمصالحه.

* وعلى الأغنياء في هذه الأمة واجب المدافعة بدعمهم بالمال الذي يخفف من معاناتهم ويعينهم على جهاد أعدائهم.

* وعلى أصحاب الأقلام والمنابر الإعلامية النُّفْرة لنصرة إخواننا هناك؛ بالتعريف بقضيتهم، وفضح أعدائهم من الكفرة والمنافقين، وإظهار صور الظلم والعدوان التي يواجهونها، ومخاطبة الأمة بالوقوف معهم ونصرتهم.

* وعلى المسلمين عامة واجب المدافعة؛ بالاهتمام بشؤونهم، والحزن لمصابهم، والدعاء لهم، ودعمهم قدر الإمكان.

٢ - سنة الابتلاء والتمحيص:

يقول الله - عز وجل -: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

وقال الله - عز وجل - معقباً على غزوة أحد: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقال - سبحانه - في الحدث نفسه: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا...﴾ [آل عمران: ١٦٦ - ١٦٧].

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - عند الآية الثانية: (أي: لا بد أن يعقد سبباً من المحنة يظهر فيه وليُّه، ويفتضح فيه عدوُّه، يُعرَف به المؤمن الصابر والمنافق الفاجر).

ويقول صاحب الظِّلال: (ويقطع النص القرآني بأنه ليس من شأن الله - سبحانه - وليس من مقتضى ألوهيته، وليس من فعل سنته؛ أن يدع الصفَّ المسلم مختلطاً غير مميز، يتوارى المنافقون فيه وراء دعوى الإيمان ومظهر الإسلام، بينما قلوبهم خاوية من بشاشة الإيمان وروح الإسلام، وكل هذا يقتضي أن يُصْهَر الصف ليخرج منه الخَبَث، وأن يُضغَط لتتهاوى اللبِنات الضعيفة، وأن تُسَلَّط عليه الأضواء لتتكشف الدخائل والضمائر، ومن ثم كان شأن الله - سبحانه - أن يميز الخبيث من الطيب، ولم يكن شأنه أن يذر المؤمنين على ما كانوا عليه قبل هذه الرجة العظيمة).

وبالنظر لهذه الأحداث الجارية في فلسطين في ضوء سنن الابتلاء والتمحيص؛ نرى أن هذه السنة المطردة الثابتة تعمل الآن عملها بإذن ربها - سبحانه وتعالى - لتؤتي أُكُلَها الذي أراده الله عز وجل، ومنه اللطف والرحمة من الله - عز

(١) الاختيارات الفقهية، ص ٤٤٧.

وجل - والمتمثل في تمحيص المؤمنين في فلسطين وخارجها، وتمييز الصفوف حتى تتنقَّى من المنافقين وأصحاب القلوب المريضة وينكشف أمرهم للناس، وحتى يتعرف المؤمنون أنفسُهم على أنفسهم وما فيها من الثغرات والعوائق التي تحول بينهم وبين التمكين والنصر، فيتخلصوا منها ويغيروا ما بأنفسهم؛ فإذا ما تميّزت الصفوف وتساقط المتساقطون في أتون الابتلاء، وخرج المؤمنون الصابرون الموحدون الصادقون منها كالذهب الأحمر الذي تخلَّص من شوائبه بالحرق في النار؛ حينها تهب رياح النصر على عباد الله المصطفَيْن الذين يستحقون أن يمحق الله من أجلهم الكافرين، ويمكِّن لهم دينَهم الذي ارتضى لهم. وقبل هذا التمحيص والتمييز؛ فإن سنة محق الكافر وانتصار المسلمين التي وعدها الله - عز وجل - عباده المؤمنين؛ لن تتحقق.

هكذا أراد الله - عز وجل - وحكم في سننه التي لا تتبدل: أنّ محْقَ الكافرين لا بد أن يسبقه تمحيص المؤمنين، ولذلك لما سئل الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى -: أيهما أفضل للرجل: أن يمكَّن أو أن يبتلى؟ كان من دقيق استنباطه وفهمه لكتاب الله - عز وجل - أن قال: (لا يمكَّن حتى يبتلى)، ولعله فهم ذلك من قوله - تعالى -: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١]؛ حيث ذكر الله - عز وجل - المحقَ بعد التمحيص.

ومن الحِكَم العظيمة والألطاف الإلهية التي ظهرت لنا في أحداث غزة في ضوء هذه السنة الربانية؛ ما يلي:

أولاً: ظهور المنافقين المندسين في الصفوف سواء أكان ذلك في صفوف الفلسطينيين أو خارجها، وهذه رحمة بالمسلمين، حيث انكشف أمرُهم، وافتُضِح نفاقهم وخيانتهم، وبذلك يحْذَرُهم المسلمون ويمقتونهم ويُعَرُّونهم. وما أمرُ محمود عباس وبطانتُه من المنافقين بخفي على المسلمين بعد هذه الأحداث.

بل إن المنافقين في دول المسلمين خارج فلسطين من العلمانيين والليبراليين والحكام الخانعين؛ قد أظهرت هذه الأحداث خُبثهم وموالاتهم للأعداء، حيث لم نسمع لهم صوتاً ولم نرَ لهم موقفاً مشرفاً ينصرون به إخوانهم المسلمين في الأرض المحتلة؛ إلا ما شاء الله. كما أظهرت هذه الابتلاءات خبث دولة الرفض والتشيع في إيران ونفاقها وكذبها وخداعها، لمن كان مخدوعاً بهم من المجاهدين في فلسطين، فأين وقوفها ونصرتها؟ وأين إعلامها ودعاياتها التي رأيناها على أشدها وسُعارها مع قائد حزب الشيطان (حسن نصر الله) إبَّان مناوراته مع اليهود منذ سنة ونصف تقريباً؟ إذن؛ آن الأوان لمعرفة الأعداء على حقيقتهم. وهذا من حكمة الله - عز وجل - ورحمته في سُنَّة الابتلاء.

ثانياً: تعرُّف المجاهدين أنفسهم على بعض الآفات والهَنات الكامنة في نفوسهم، وعلى قوة صبرهم وثباتهم، وكل هذا لم يكن ليُعرَف وينقدح زناده لولا هذه الابتلاءات والتمحيصات. وفي هذا خير - إذاً - أدى إلى العلاج والتخلص مما يكدر القلوب ويؤخر النصر.

ثالثاً: ظهر في الأحداث معرفة الولي المناصر من العدو والمخذل، وفي هذا خير للمجاهدين هناك؛ حيث تميز لهم الموالي من المعادي، وذلك على مستوى الأفراد والهيئات والحكومات.

٣ - سُنة التغيير:

يقول الله - عز وجل -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

ويقول - سبحانه - عن أحداث غزوة أحد المؤلمة للمسلمين: ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[آل عمران: ١٦٥].

ففي هاتين الآيتين تنبيه من الله - عز وجل - لعباده المؤمنين إلى أن يتفقدوا أنفسهم وواقعهم ومواقفهم، ويبدؤوا بالتغيير من الداخل إلى ما يحبه الله ويرضاه؛ لأن أكثر ما يؤتى المسلمون أفراداً وجماعات إنما هو من قِبَل أنفسهم. لذا؛ وجب في مثل هذه الأحداث محاسبة النفوس، ومراجعة المواقف، والبعد عن كل ما يسبب الهزائم وتسليط الأعداء من الذنوب والمعاصي والفرقة والأهواء، فمن هنا يبدأ التغيير ويبدأ الإصلاح. وقد يقول قائل: إخواننا هناك يواجهون الحصار والإبادة؛ فهل هذا وقت المعاتبة والمحاسبة؟ وأقول: نعم! هذا هو وقتها، بل هو أنسب وقت لها. وإن لم نملك الجرأة على طرحها الآن؛ فمتى نطرحها؟ وهذا هو ما قاله الله - عز وجل - لأوليائه في غزوة أحد ودماؤهم طرية وجراحاتهم لم تندمل.



٤ - سُنة الإملاء والاستدراج للكفار والمنافقين:

قال - تعالى -: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾

[آل عمران: ١٧٨].

وقال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢ - ١٨٣].

وقال - سبحانه -: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥ - ٥٦].

وهذه السُّنَّة الإلهية تعمل عملها في هذه الأوقات وذلك في معسكر أهل الكفر والنفاق، وبخاصة أولئك الذين بلغ بهم الكِبْر والغطرسة والظلم والجبروت مبلغاً عظيماً، ونراهم يزدادون يوماً بعد يوم في الظلم والبطش والكبرياء، ومع ذلك نراهم ممكَّنين ولهم الغلبة الظاهرة، كما هو الحاصل الآن من دولة الأمريكان واليهود؛ حيث ظلموا وطغوا وقالوا بلسان حالهم ومقالهم: (من أشد منا قوة؟).

وقد يحكُّ في قلوب بعض المسلمين شيء وهم يرون هؤلاء الكفرة يبغون ويظلمون، ومع ذلك هم متروكون لم يأخذهم الله بعذاب من عنده! وقد يتسرب اليأس والإحباط إلى بعض النفوس، ولكن المسلم الذي يفقه سنة الله - عز وجل - ويتأملها، ويرى آثارها وعملها في الأمم السابقة؛ لا يحك في نفسه شيء من هذا؛ لأنه يرى في ضوء هذه السنة أن الكفرة اليوم - وعلى رأسهم أمريكا ودولة اليهود - هم الآن يعيشون سُنّة الإملاء والاستدراج التي تقودهم إلى مزيد من الظلم والطغيان والغرور، وهذا بدوره يقودهم إلى نهايتهم الحتمية؛ وهي الهلاك والقصم في الأجل الذي قد ضربه الله لهم. قال - تعالى -: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩].

ففي الإملاء للكفار وتركهم يتسلطون على المسلمين في مدة من الزمن؛ ابتلاء وتمحيص للمؤمنين، حتى إذا آتت سُنّة الابتلاء أُكُلَها، وتميز الصف المؤمن الذي خرج من الابتلاء نظيفاً ممحَّصاً؛ عندئذ تكون سنة الإملاء هي الأخرى قد أشرفت على نهايتها؛ فيحقّ القول على الكافرين ويمحقهم الله كرامةً للمؤمنين الممحَّصين الذين يمكّن الله لهم - عز وجل - في الأرض ويخلفون فيها بعد محق الكافرين.

قال - تعالى -: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾.

[آل عمران: ١٤١].

فذكر الله - سبحانه - التمحيص قبل المحق، ولو محَق الله الكفار قبل تهيُّؤ المؤمنين الممحَّصين؛ فمن يخلفُ الكفارَ بعد محقهم؟ إن الله - عز وجل - حكيم عليم، وما كان - سبحانه - ليحابي أحداً في سننه، ولله - عز وجل - الحكمة في وضع السُّنَّتين: سُنة الابتلاء وسنة الإملاء، في آيتين متتاليتين في سورة آل عمران. قال - تعالى -: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨]. ثم قال بعدها: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

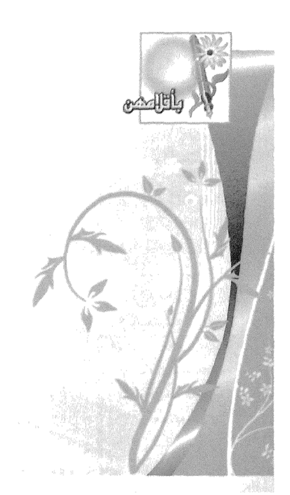
[آل عمران: ١٧٩].

ولعل من الحكمة - والله أعلم - أن يعلمنا الله - عز وجل - أن هاتين السُّنَّتين متلازمتان ومتزامنتان، وأن إحداهما تهيئ للأخرى.

وفي الوقوف مع سُنة الإملاء فوائد، منها: عدم الخوف والاغترار بقوة العدو؛ ذلك لأن ناصيته بيد الله - عز وجل - والله - سبحانه - يملي له ليُمْحَق لا ليدوم ظُلْمُه، ولو شاء الله - عز وجل - لقصمه، ولكن الله - عز وجل - له الحكمة في تأجيل هذا القصم. وهذا الإيمان يُذْهِب اليأسَ عن النفوس، ويزيل الإحباط والخوف الذي ينشأ من تسلط الأعداء وقوتهم.

اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، اللهم أبرم لهذه الأمة أمراً رشداً؛ يعز فيه وليك ويذل فيه عدوك، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر، إنك سميع الدعاء. اللهم ارحم عبادك الموحدين، والطف بهم في فلسطين والعراق وأفغانستان وفي كل مكان، اللهم احقن دماءهم، واحفظ لهم دينهم وأعراضهم وأموالهم، اللهم فُك أسر المأسورين من المسلمين في كل مكان، اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في كل مكان، اللهم اشفِ صدورنا وأقرَّ أعيننا بنصرة دينك وأوليائك، اللهم قاتلِ الأعداءَ الذين يكذّبون رسلك ويعادون أولياءك، ويصدون عن سبيلك، وأنزل عليهم رجزك وعذابك إلهَ الحق، اللهم إنا نعوذ بك من شرورهم وندرأ بك في نحورهم!

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين.



رسالتي إلى ابنة الإسلام

لبنى شرف

يـا درةً حُـفِـظـت بـالأمـسِ غـاليـةً
والـيـومَ يـبـغـونـهـا لـلـهـو والـلـعـبِ
يـا حـرة قـد أرادوا جـعـلـهـا أَمَـةً
غـربـيـةَ الـعـقـل، لـكـنّ اسـمـهـا عـربـي
هـل يـسـتـوي مَـنْ رسـولُ الـلـه قـائـدُه
دومـاً، وآخـر هـاديـه أبـو لـهـبِ؟!
وأيـن مـن كـانـت الـزهـراءُ أُسـوتَـهـا،
ممـن تـقـفّـت خُـطـى حـمّـالـةَ الـحـطـبِ؟!

حال المسلمات اليوم يدمي القلب ويدمع العين، فهذا التبرج، وهذه الميوعة، وهذا الخروج والاختلاط بالرجال بغير حاجة شرعية، وهذا الحجاب المتبرج إن جاز التعبير، وهذه الأفكار المسمومة كحق الحرية والمساواة بالرجل، وأن المرأة تصلح للعمل في كل مكان؛ هـذا كله وغيره يجعل من المرأة المسلمة معول هدم في صرح الأمة.

أبنيّتي: ليس التبرج والخروج هو الفضيلةْ
هذا ادعاء العابثين ليقتلوا الأخلاق غيلةْ
جاؤوا به من عالَم قد ضلّ في الدنيا سبيلَهْ
لا تخدعنّكِ دعوةٌ هي بين أظهرنا دخيلةْ
أنا لا أقول: (تمرغي في ظلمة الجهل الثقيلةْ)
شرفُ الفتاة وحصنها ألا تميل مع الرذيلةْ

يا ابنة الإسلام! لا يخدعنك من يقول إن جلوس المرأة في بيتها لتربي أولادها يجعلها عالة على المجتمع، وهي بهذا امرأة تقليدية تعيش في عصر الجهالة والظلمات، فلا بد من أن تخرج لتعمل كالرجل وفي كل مجال، فهي ليست أقل منه في شيء! فإنها دعاوى باطلة، فكثرة الخروج والاختلاط بالرجال يذهب بحياء المرأة المسلمة، وإن أجمل ما في المرأة حياؤها.

ويـا لِـقـبـحِ فـتـاةٍ لا حـيـاءَ لـهـا
وإن تحـلّـت بـغـالـي المـاسِ والـذهـبِ!
نـريـد مـنـهـا احـتـشـامـاً، عـفـةً، أدبـاً
وهـم يـريـدون مـنـهـا قـلّـةَ الأدبِ

وعن حمزة بن أسيد الأنصاري، عن أبيه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو خارج من المسجد، فاختلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال رسول الله ﷺ للنساء: «استأخرن! فإنه ليس لكُنَّ أن تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق!»، وفي حديث آخر: «ليس للنساء وسطُ الطريق»، وقال: «خير مساجد النساء قعرُ بيوتهن»، وقالت فاطمة – رضي الله عنها – عندما سألها والدها النبي – عليه السلام –: «ما خيرٌ للنساء؟»، فقالت: «خيرٌ لهن أن لا يرين الرجال ولا يرونهن».

ولا يخفى على عاقل ما لكثرة الاختلاط بين الرجال والنساء من فتن وأضرار، فقد قال - عليه السلام -: «ما تركت في الناس بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»، وقال: «لا يخلون رجل بامرأة؛ فإن ثالثهما الشيطان»، ويقول - تعالى -: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

يقول سيد قطب: فلا يقل أحد: إن الاختلاط وإزالة الحجب والترخص في الحديث واللقاء والجلوس والمشاركة بين الجنسين؛ أطهر للقلوب وأعف للضمائر. واقرؤوا قول هذه الصحفية الأمريكية بعد زيارتها لمصر في عام ١٩٦٢م: إن المجتمع العربي كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيِّد الفتاة والشاب في حدود المعقول، وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبي والأمريكي، فعندكم أخلاق موروثة تحتِّم تقييد المرأة، وتحتم عدم الإباحية..، ولذلك فإن القيود التي يفرضها مجتمعكم على الفتاة صالحة ونافعة. لهذا؛ أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم، امنعوا الاختلاط، وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية أوروبا وأمريكا ومجونهم وانطلاقهم.

- وقد دفعت نتائج الاختلاط والإباحية في أوروبا وأمريكا إلى تشغيل باصات خاصة في لندن للنساء فقط من الساعة السادسة وحتى منتصف الليل؛ للحد من حوادث الاعتداء عليهن، وكان هذا في عقد الثمانينيات من القرن العشرين.

ثم من قال: إن المرأة كالرجل، وأنها تصلح للعمل في كل مجال يعمل فيه الرجل؟ إن الله - تعالى - خلق المرأة والرجل ليعمِّرا الكون، كل يعمل في مجاله الذي خلق له، فينبغي ألا تختلط الأدوار وإلا شاعت الفوضى، فإقحام المرأة نفسها في خارج ما اختصت به هو خروج على طبيعتها. وحتى على مستوى اللباس، فقد لعن النبي - عليه السلام - الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل، ولعن المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال، ولعن المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء، وقال: «أخرجوهم من بيوتكم».

يقول الأديب الرافعي: ويا ويل المرأة! حين تتفجر أنوثتها بالمبالغة العقلية فتتفجر بالدواهي على الفضيلة.. إنها بذلك حرة مساوية للرجل، ولكنها ليست بذلك الأنثى المحدودة بفضيلتها، إنها خلقت لتحبيب الدنيا إلى الرجل، فكانت بمساواتها مادة تبغيض.

لا تحسبي أن الاسترجالَ مفخرةٌ!
فهو الهزيمة أو لونٌ من الهربِ
ما بالأنوثة من عارٍ لتنسلخي
منها، وتسعي وراء الوهم في سَرَبِ
ولستِ قادرةً أن تصبحي رجلاً
ففطرةُ الله أولى منك بالغَلَبِ

ولكن الغريب أننا نرى أن المرأة تزاحم الرجل في عمله، وهذا مما زاد في نسبة البطالة عند الرجال، ولكننا لا نراها مثلاً في محلات بيع الملابس النسائية! ونراها -وللأسف - رضيت بأن تُستَغل بشخصها أو بصوتها في الدعايات والإعلانات، وفي الفضائيات والإذاعات - وحتى الملتزمة منها - وعلى واجهات المحلات التجارية، وفي أجهزة الرد الآلي... وغيرها، والمرأة بطبيعتها فيها نعومة، وفي صوتها رقة، فكيف يكون هذا؟!

يا ابنة الإسلام! إن المهمة الأولى لك هي رعاية شؤون زوجك وأولادك، ثم بعد ذلك - إن أردتِ الخروج - فيكون خروجك من باب المسابقة في الخيرات، ولتنهضي بأمتك، لا من أجل مزاحمة الرجال بحجة أنك لا تقلين عنهم بشيء.

تقول امرأة ألمانية أسلمت: الإسلام وأنظمة الأسرة هو الذي يوافق المرأة؛ لأن من طبيعتها أن تستقر في البيت؛ لأن الله خلق الرجل أقوى من المرأة في تحمُّله وعقله وقوّته الجسدية، وخَلَقَ المرأةَ عاطفية جياشة الشعور، لا تملك الطاقة الجسدية التي هي للرجل، وهي إلى حد ما متقلبة المزاج عنه. لذلك؛ فالمنزل سَكَنٌ لها ولنفسها، والمرأة المحبة لزوجها وأولادها لا تترك منزلها من غير سبب، ولا تختلط بالرجال إطلاقاً.

يا ربّة الشرفِ المصونِ على التقى أرخى سدولَهْ
عطفُ الأمومة والحنان الثر إكسيرُ البطولهْ
فارعي به أغراسَك الخضراء في أزهى خميلهْ
وتعهدي - برعاية الرحمن - أزهارَ الطفولهْ

وختاما، أقول لك:

يا ابنة الإسلام، يا نسل الألى
سطّروا الأمجادَ بالفتح المبينِ
فتحوا الأقفالَ في وجه الضحى
أسعدوا الإنسان في دنيا ودينِ

فهل أسعدتِ الإنسانَ - اليوم - في دنياه ودينه؟





قُطَّاع الطريق



د. عبد العزيز بن محمد آل عبداللطيف(*)
www.alabdlltif.net

«لقد دعونا نحن وغيرنا كثيراً من أهل الكتاب إلى الإسلام، فأخبروا أن المانع لهم ما يرون عليه المنتسبين إلى الإسلام ممن يعظّمهم الجهّال؛ من البدع والظلم والفجور والمكر والاحتيال، ونسبة ذلك إلى الشرع ولمن جاء به؛ فساء ظنهم بالشرع وبمن جاء به.

فالله طليب قطّاع طريق الله وحسيبهم»[1].

وقد أكّد ابن القيم – رحمه الله – مقالته السالفة في موطن آخر، فقال: «علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم؛ فكلما قالت أقوالهم للناس: (هلموا)؛ قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم؛ فلو كان ما دعوا إليه حقاً لكانوا أول المستجيبين له. فهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قُطّاع الطرق»[2].

فابن القيم يتوجّع من حال هؤلاء المتبوعين أرباب الظلم والبدع والفجور والاحتيال، والذين يلصقون تلك الشناءات كلها بالشرع المطهّر، فأضحوا سبباً للصدّ عن سبيل الله تعالى، والنفرة عن دين الله عز وجل. كما ذم ابن القيم – في مقالته الأخرى – علماء السوء الذين يقولون بألسنتهم ما ينقضونه بأفعالهم.

– وقد أطنب ابن القيم في تحريم نكاح المحلِّل وذمّه وتغليظ جرمه كما في كتابه «إعلام الموقعين»، ومن قبله شيخه ابن تيمية في «بيان الدليل على بطلان التحليل»، وبيّنا ما فيه من استحلال المحرمات، ومخادعة الله عز وجل، والتوثّب على محارم الله، تعالى. بل كان تجويز هذا «النكاح» مسبّةً على أهل الإسلام، وذريعة لشماتة الأعداء، وتزهيداً في الإسلام.

يقول ابن تيمية – في بطلان نكاح التحليل وذمّه –: «ولما رأى كثير من أهل الكتاب أن بعض المسلمين يقول: (إن

(1) إغاثة اللهفان، لابن القيم ٢/٤١٦.

(2) الفوائد، لابن القيم، ص ٩٤.



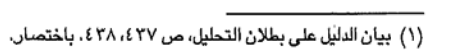
المطلّقة تحرم حتى توطأ على هذا الوجه)، وقد رأى أن معنى هذا معنى الزنا، وحَسِب أن هذا من الدين المأخوذ عن رسول الله ﷺ أو تجاهل بإظهار ذلك؛ أخذ يعيّر المسلمين بهذا، ويقول: (إن دينهم أن المطلقة تحرُم حتى تزني، فإذا زنت حلّت)! وأخذ ينفّر أهل دينه عن الإسلام بالتشنيع بهذا. ولم يعلم عدوُّ الله أن هذا لا أصل له في الدين، ولا هو مأخوذ عن السابقين ولا عن التابعين لهم بإحسان، بل قد حرّمه الله ورسوله، فإن دين الله أزكى وأطهر من أن يحرّم فرجاً من الفروج حتى يستعار له تيس من التيوس، لا يُرغب في نكاحه ولا بقاؤه مع المرأة أصلاً، فينزو عليها، وتحلّ بذلك. فإن هذا بالسفاح أشبه منه بالنكاح، بل هو سفاح وزنا كما سمّاه أصحاب رسول الله ﷺ...»[1].

– وسرى وباء قطّاع الطريق فأصابَ عامّة المسلمين ما أصابهم من الانحراف والزيغ، إذ استحوذ على كثير منهم الضُّلال، واستحكمت عليهم الشبهات، حتى إن النصارى شغّبوا على ابن تيمية في أكثر من مناظرة، محتجين بهذا الواقع المريج. ومن ذلك: أن ابن تيمية لما ناظر ثلاثة من رهبان مصر وأقام عليهم الحجة، وأنهم ليسوا على دين إبراهيم ولا المسيح – عليهما السلام – عندئذٍ قالوا: نحن نعمل مثل ما تعملون؛ أنتم تقولون بالسيدة نفيسة، ونحن نقول بالسيدة مريم، وقد أجمعنا نحن وأنتم على أن المسيح ومريم أفضل من الحسين ومن نفيسة، وأنتم تستغيثون بالصالحين الذين من قبلكم، ونحن كذلك.

فقال لهم: «إنّ من فعل ذلك ففيه شبه منكم؛ فإن الدين الذي كان إبراهيم عليه أن لا نعبد إلا الله وحده لا شريك..» إلخ. فلما سمع الرهبان ذلك منه؛ قالوا: الدين الذي ذكرتَه خير من الدين الذي نحن وهؤلاء عليه[2].

– وقَبلَ شيخ الإسلام، كَابَد ابن الجوزي هذا الداء، فكشف عن عُوار هذه الآفة في غير موطن. ويتجلى ذلك في ذمّه للمتصوفة وبيان حالهم، كما قال في إحدى خواطره: «فجاء أقوام فأظهروا التزهد، وابتكروا طريقة زيّنها لهم الهوى، ثم تطلّبوا لها الدليل. وإنما ينبغي للإنسان أن يتبع الدليل، لا أن يتبع طريقاً ويطلب دليلَها، ثم انقسموا: فمنهم متصنع في الظاهر، يتناول في خلواته الشهوات، ويعكف على اللذات، ويُرى في الناس بزيّه أنه متصوف متزهد، وما تزهّد إلا القميص، وإذا نظر إلى أفعاله فعنده كِبْرُ فرعون»[3].

ولا يخلّف هذا التلوّن والنفاق إلا زهداً في التدين وفراراً من الاستقامة. ولذا؛ صار هؤلاء المتصوفة محلّ تندُّر عند الظَّلَمة المستبدين، فضلاً عن غيرهم. وهاك مثالاً سطّره ابن الجوزي في هذا الصدد، إذ يقول: «ولقد بلَغَنا أن بعض الصوفية دخل على بعض الأمراء الظلمة، فوعظه، فأعطاه ألف درهم، فقبلها، فقال ذاك الظالم: كلنا صيّادون ولكن الشباك تختلف»[4]. وصدق الظالم!

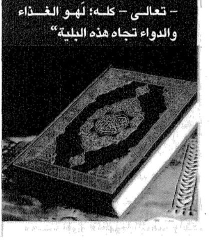

(١) بيان الدليل على بطلان التحليل، ص ٤٣٧، ٤٣٨، باختصار.

(٢) انظر: الجامع لسيرة ابن تيمية، ص ٨٩، ٩٠، ومجموع الفتاوى ١/ ٣٧٠، ٢٧/ ٤٦١.
(٣) صيد الخاطر، ص ٥٥.
(٤) تلبيس إبليس، ص ٢٠٧، والمنتظم لابن الجوزي، ١٤/ ١٢، ١٣.



وقد قيل لصوفي آخر: تبيع جُبّتك الصوف؟ قال: إذا باع الصيّاد شبكته؛ بأي شيء يصطاد؟![1] فتماثلتْ مقالة الصوفي ومقولة الظالم، كما تشابهت قلوبهم.

– وقد تحدَّث الشيخ محمد الغزالي عن ذاك الداء الذي فتَكَ بنفر من المنتسبين للدعوة في هذا العصر، وسطّر عبارات لاذعة تليق بهذا الصنف، فقال: «ومن صِدْق الداعية مع ربّه – في أخذ نفسه ابتداء بكل إصلاح – أن يكون مدى ما يصيب من توفيق في عمله مع الناس.



"إنّ أَخْذَ الدين بقوة عِلماً وعملاً، والقيام بدين الله – تعالى – كله؛ لَهو الغذاء والدواء تجاه هذه البلية"

ومن أعجب النقائض في دين الله ودنيا الناس، أن هناك نفراً ممن يتسمَّوْن بالدعاة يحسبون أن ما يقولون لغيرهم من عِلْم إنما هو أمر يخص المخاطَبين فحسب! إنهم نَقَلة فحسب، إنهم «أشرطة مسجلة» تدور بعض الوقت ليستمع الناس إليها وهي تهرف بما لا تعرف. والدعاة الذين يَحْيَوْن على ذلك النحو المتناقض هم آفة الإيمان، وسَقام الحياة، ذلك أنهم تكذيب عملي للكلام الذي يلقون، والمبدأ الذي إليه ينتمون. أي أنهم عُذْر قائم بين يدي كل مقصر، وإياس من الصلاح أمام بغاته من السامعين والمطّلعين. وكثير من هؤلاء المنتسبين إلى الدين بألسنتهم، الخارجين عليه بأعمالهم؛ من يُلوِّن الدين برغبته، ويمزُج تعاليمه بشهوته، فهو – أولاً – يتعرف ما يشتهي، فإذا حدّده ألبسه ثوب الدين، وربما أقنع نفسه بأن شهوته هذه حق محض، ثم سعى إلى بلوغها، وكأنما هو يؤدي عبادة ولا يشبع نهمة!

إن الرجل القذِر البَدَن لا يغني عنه أن يحمل بين يديه قِطَع الصابون. ودعاة الدين الذين تهُبّ من سيرتهم سموم حارقة، إنما هم عار على الدين وصدٌّ عن سبيله.

والمراد من الدعاة المسلمين أن يتحسسوا أنفسهم، وأن يداووا ما قد يكون بها من عِلل، تلك العلل التي تشيع بين من لم يُرزقوا العصمة، والتي يستحيل أن نخلو منها يوماً..»[2].

إنّ أَخْذَ الدين بقوة عِلماً وعملاً، والقيام بدين الله – تعالى – كله؛ لَهو الغذاء والدواء تجاه هذه البلية، وقد ورد في الأثر: «إنه لا يقوم بدين الله إلا من أحاطه من جميع جوانبه»[3]، كما أن التأسي برسول الله ﷺ كفيل برفع هذا الداء ودفعه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، إضافة إلى أن النظر في سير السلف الصالح (العالمين العاملين) باعث على سلوك سبيلهم ومدافعة تلك الآفة.

«قيل لعبد الواحد صاحب الحسن البصري: أي شيء بلغ الحسن فيكم إلى ما بلغ، وكان فيكم علماء وفقهاء؟ فقال: كان الحسن إذا أَمَر بشيء أعملَ الناس به، وإذا نهى عن شيء أتركَ الناس له»[4].

«وكان يحضر حلقة الإمام أحمد بن حنبل خمسة آلاف، منهم خمسمائة يكتبون، والباقون يتعلمون منه حُسْن الأدب والسَّمْت»[5].

«وقال بعض تلاميذ عبد الوهاب الأنماطي عنه: استفدت من بكائه أكثر من روايته»[6].

وما قد يقترفه بعض المنتسبين للعلم لا يعدّ مذهباً لهم – فضلاً عن أن يُستدل به؛ فالعبرة باتباع نصوص الوحيين – إذ قد يكون فَعَلَه ناسياً أو ذاهلاً أو متأولاً، أو ذنباً يستغفر الله منه، كما بينه ابن القيم في إعلام الموقعين[7].

﴿رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٥].

(١) انظر: تلبيس إبليس، ص ٢٢٢.

(٢) كتاب «مع الله»، ص ١٨٢ – ١٨٤، باختصار.
(٣) قال ابن كثير في البداية ٣/١٤٢: «أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة، والحاكم، والبيهقي».
(٤) أخبار الحسن البصري، لابن الجوزي، ص ٢٨.
(٥) سير أعلام النبلاء، ١١/٣١٦.
(٦) ذيل طبقات الحنابلة، ١/٢٠٢.
(٧) ٣/١٩٦.

